ساحر الكتب

عمرو المنوفي

الطبعة 2

مخطوطة ابن الشيطان

رواية

مخطوطة ابن الشيطان

الكتاب: مخطوطة ابن الشيطان

الكاتب: عمرو المنوفي

تصميم الغلاف: كريم آدم

تدقيق لغوي: د/ سيد الشريف

رقم الإيداع: 2018/1531

الترقيم الدولي: 978-977-778-029-2

الطبعة الأولى: 2018

ن للنشر والتوزيع

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت: 35860372 02 -27772007 011

Noon_publishing@yahoo.com

عمرو المنوفي

مخطوطة ابن الشيطان

رواية

ن
للنشر
والتوزيع

اليوم يُشترى الشر بالشر

والحقد بالحقد

والكره بالكره

اليوم يباع الشر للشيطان

يبتسم الموت في وجوهنا

فنربت على كتفه ليخبرنا:

أن موت أكثر من هذا سوف يأتي.

ما من سبيل لاستعادة الثقة في عالم أجهز عليه الرعب..

«فيلم موسيقانا، للمخرج جان لوك جودار»

بُعد أخر

(1)

القرن الثاني والعشرين..

هل تعتقد أن الحياة تغيرت، وتحولت للأفضل؟.

أنت واهم..

الحياة في القرن الثاني والعشرين لم تختلف كثيرا عما هي موجودة عليه الآن، إنها فقط أصبحت أسرع، وأسوأ، وأكثر قسوة، وهمجية.

فمازال البشر على طمعهم وجشعهم وحقارتهم، وما زالت الدول العظمى تتلاعب بالصغرى، والإرهاب هو الورقة الرابحة.

الدول التي امتلكت سلاحها وطورت من اقتصادها ونوعت مواردها نجت بصعوبة، والدول التي فشلت أصبحت مستعمرات تحت إدعاءات عديدة، كحماية الأقليات، والحرب على الإرهاب، أو نشر الديمقراطية.

نسخة مشابهة من السياسات الحالية للبلدان العظمى تطبق دون هوادة، ولكن لا أحد يتعلم من أخطائه أو من التاريخ.

والنتيجة، هي خراب تلك البلدان التي لم تستطع حماية نفسها من الإرهاب المباشر، أو الاستنزاف الاقتصادي الذي يغلف في شكل

توصيات بنك النقد الدولي أو البنك الأممي الأسيوي المستحدث.

والتي أدت سياستها إلى أن أصبحت ثلث دول العالم عبارة عن مستعمرات تغص بالقواعد العسكرية للدول العظمى، كاحتلال مستتر، نتيجة تفاقم الديون وعدم القدرة على سدادها.

الأخلاق تدهورت بشكل كبير، وضاعت القيم مع توغل الفقر، وسعار الأسعار، وانعزال الأغنياء خلف الأسوار، واستبداد النظم والخوف من الغد، ومن القادم الذي لا يأتي أبدًا إلا أسوأ.

الأديان أصبحت مجرد مسميات في سجلات الهوية الالكترونية، وانتشرت الخرافة بشكل لا يمكن تخيله، فصارت عبادة وتبجيل الأشخاص والطبيعة شيء لا يلفت الإنتباه.

وتطورت مع البعض إلى تبجيل المخلوقات الفضائية التي ينتظرونها لتأتي لهم بالمعجزات؛ ويقيمون لها الشعائر والطقوس، والتي بدأت تسريبات كثيرة تخصها، تنتشر عبر العالم الرقمي، نتيجة اختراقات تقنية غير شرعية، دلت على وجود سابق، وربما حالي لتلك المخلوقات الغامضة، مع التعتيم التام من الأنظمة، التي لا تبوح بتلك الأسرار الفارقة.

وانتشرت موجات التطرف الحادة، وموجات الإلحاد المضادة وسط الشباب في المدن المسورة، نتيجة عدم وجود قدوة حقيقية، أو برامج توعية صادقة أو خطاب ديني متطور يلامس عقلية النشء التي يتم العبث بها ليل نهار عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل البث المسموعة والمرئية.

ومع كل هذه الوسائل الضاغطة، تشتت هوية هؤلاء الشباب،

وما يربطهم بتاريخهم وتراثهم، وفقدوا القدرة على وزن الأمور، فلم يعد هناك من يفرق بين الحرية الحقيقة، والوقاحة في تناول العقائد، أو الممارسات الجنسية، أو التعامل مع الآخرين في إطار القوانين أو الأعراف أو التقاليد.

وزاد الأمر سوءً تحول كل شيء إلى الصيغة الاستهلاكية، فأصبحت التجارة بالأحلام والرغبات والشهوات هي الأولوية العظمى للشركات عابرة القارات والتي مازالت تتحكم في العالم منذ نشأتها.

سواء بالحروب المصطنعة لتعمل لديها مصانع الأسلحة والذخائر، أو افتعال أزمات اقتصادية لترفع أسعار الغذاء، أو نشر أمراض وأوبئة خاصة، كي لا تتوقف خطوط إنتاج الأدوية أو الأمصال، التي تكون في معظم الأحيان أقل كفاءة وفاعلية من المطلوب، دون النظر إلى فداحة النتائج.

الجريمة المنظمة توحشت، وتغولت، وتوغلت في كل المجالات، ووصلت لأعتى صورها بشراء الذمم والضمائر.

وكل شيء أصبح متاحا لأعلى سعر.

المناخ أصبح متطرفا، والتلوث انتشر كالنار في الهشيم، والرقعة الزراعية تتقلص بمتوالية هندسية، حروب المياه لا تتوقف. والجفاف والجوع والموت أشهر مفردات يتم تداولها بين الأحياء، وعلى شبكات التواصل الاجتماعي التفاعلية.

عالم القرن الثاني والعشرون -لو أردتم رأيي- عالم بشع، مادي، لا يطاق، ومستحيل العيش فيه دون مخدر قوي يُذهب العقل، وينتزع الروح من هذه الأجواء الكئيبة المسمومة القاتلة، التي تقودها إلى الهاوية.

وبالطبع لم تغفل الشركات الأخطبوطية عن أهمية هذا الأمر، مع الأرباح المهولة المتوقع جنيها من ورائه، فأتاحته للجميع.

التكنولوجيا.. كانت هي المخدر الحديث.

وهو ليس تعبيرا أدبيًا، بقدر ما هو واقع مخيف قائم، بعد أن أصبحت المخدرات الالكترونية شيئا معتادًا، فلم يعد يُسمح خاصة في المدن الصناعية الكبرى بوجود المخدرات بشكلها القديم، الذي يستنزف من العمالة صحتهم، ويقلل من إنتاجيتهم.

وإن تركوا لها العنان في العشوائيات خارج أسوار المدن، التي أصبحت حقل تجارب لكافة العقاقير المنتجة حديثا سواء المشروعة منها أو غير المشروعة، وسوقا رائجة لتجارة الأعضاء، وكل الممنوعات الأخرى.

أنفقت الشركات أموالها التي لا تنضب، ووفرت لعملائها البديل وكالعادة، كان بديلًا مبهرًا.

تحفة تكنولوجية يطلق عليها المحاكي.

وهو أحد أجهزة الواقع الافتراضي شديدة التطور، القادرة على صنع عوالم خيالية كاملة حسب الطلب، بالاضافة إلى الخاصية الأكثر شهرة ورواجًا، وهي قدرته على سحب ذكريات الموتى إلى ذاكرته الحيوية، وتهيأتها لإعادة معايشتها مرة أخرى.

قفزة علمية هائلة، ومخدر قوي أدمنه الجميع.

يكفي أن تدخل إلى المحاكي، وتطلب أن تعيش في عالم رومانسي حالم، أو عالم خلى من البشر وامتلأ بالوحوش، أو عالم فنتازي متكامل، أو أن تكون بطل لرواية شهيرة أو مغمورة، ليتجسد العالم

بالكامل أمامك في لحظات، وتكون جزءًا فاعلًا به.

كما أنك تستطيع وضع نهايات محددة مسبقا أو تجعلها عشوائية، فيختار لك المحاكي النهاية التي يراها ستشبع شغفك.

أنت قائد رحلتك، وإله هذا العالم الجديد، كما تقول الحملات الدعائية.

أدخل أشطح أفكارك وتخيلاتك وستعايشها على الفور، أو أطلب محاكاة بعض من الذكريات المتاحة الموجودة في أرشيفه الالكتروني لا نهائي المساحة لتحظى بحياة أحد المشاهير أو العباقرة أو المشعوذين أو القتلة، أو أحد أحبابك الذين وافقوا مسبقا بعقد قانوني على نسخ ذكرياتهم فور موتهم، وإدراجها في ذاكرة المحاكي الرقمية.

ولك أن تطلب أن تعايش الحالة التي يضعك فيها أي نوع من المخدرات القديمة، أو المشاعر الحسية المعبقة بالرغبة، ليتم برمجة وعيك، والسيطرة على خلاياك العصبية لتصل لذروة نشوة المخدر أو الرغبة المطلوبة، مهما كانت متطرفة أو شاذة أو مستحيلة، في وقت قياسي، وبكفاءة منقطعة النظير..

وكالعادة لا شيء دون ثمن..

والثمن في القرن الثاني والعشرين هو:

العمل..

الكثير من العمل..

العمل دون توقف..

فمن لا يعمل لا مكان له في تلك المنظومة التي لا ترحم..

من لا يعمل ينفى خارج إطار المدن الكبرى، التي أصبحت أسوارها مزودة بوسائل رصد وردع، لحمايتها من المتمردين والمخربين، والطبقات الدنيا الغير مصرح لها بالاقتراب من الأسوار.

ومن يقوده سوء الحظ صدفة أو عن عمد إلى محاولة اختراق سياج المدن، يسقط في الفخاخ المنصوبة في كل مكان، والتي مهمتها الأولى هي قتل المخترق، وفي أفضل الأحوال -إن كان حسن الحظ- يخرج من تلك التجربة الخطيرة بأطراف مبتورة، وأما من يتجاوز تلك الفخاخ -وهو شيء نادرًا ما يحدث- ويقترب أكثر، تبخره الطلقات الإشعاعية.

الأمر معلن، وموثق بالكاميرات، ويذاع للعبرة والتحذير طوال الوقت باستخدام البث الهولوجرامي المتطور، الذي يصل إلى كل مكان، عبر شبكة البث العالمية التفاعلية.

والرسالة هي:

- «على من يحيون خارج المدن أن يلتزموا بالنظام أو يجبروا عليه».

هذا هو القانون الأول الذي يعلمه الجميع، ويلتزمون به، وإلا نالوا العقاب.

وعن طريق القمع تم ترويض العديد من القطاعات المتمردة، وأصبحوا يحيون حياة أقرب لحياة الحيوانات، ويتم قمع وتأهيل المزيد منهم طوال الوقت.

بالطبع ليست حياة الحيوانات الأليفة التي تقتنيها طبقات الصفوة من قاطني المدن المسورة المعزولون عن العالم الحقيقي، ولكن كحيوانات الشوارع سيئة الحظ، التي كادت تنقرض بعد أن أصبحت

تعامل كطعام لسعداء الحظ القادرين على اقتناصها من المنبوذين خارج المدن السعيدة، كما يطلقون عليها في وسائل الإعلام.

هل فاجأكم الأمر؟!

لا أعتقد.

إنه وضع معتاد ومتوقع، وتنبأ به الأدباء والكتاب، خلال قرن كامل أو يزيد، الأغنياء يعيشون بمخاوفهم خلف الأسوار تحت حراسة مشددة، والفقراء يموتون مع أحلامهم في كل مكان آخر.

وفي هذه الأجواء غير الصحية يعمل (وليد فتحي)، والمائة ألف عامل الذين تم انتقاؤهم من معسكرات الفرز خلال الخمس سنوات الفائتة.

تلك المعسكرت التي تقيمها الشركات الأمنية كنوع أخر من تجارة الرقيق الحديثة، وذلك بعد إخضاعهم لفحوصات عديدة، للتأكد من خلوهم من الأمراض المُعدية أو التشوهات الناتجة عن التلوث، أو الطفرات الجينية التي قد تؤثر في السلوك العام، أو اعتناقهم لأفكار متطرفة أو تخريبية.

ويطلق على معسكرات الفرز، الحضانات.

وهي تشبه تلك التي تستخدم من أجل إنتاج الدواجن التي كادت تقضي على سوقها الهرمونات، لتنتج أفرادًا أصحاء، هم تروس آلة العمل العملاقة، والذين يعملون في المنطقة الصناعية، التي ينخفض فيها معدل الأمن والأمان الصناعي، وهو شيء لا يلتفت له أحد كثيرًا.

فبرغم كل شيء هو مستوى من الحياة والأمان، أفضل ألف مرة من العيش خارج الأسوار.

كما أن العاملين في هذه المدن الصناعية العملاقة يحصلون على مقابل مادي، وهو شيء نادر في هذا الزمن الذي يتم فيه استعباد العمالة.

فالسائد هو حصولهم على طعام صحي إلى حد ما، ومأوى آمن مقابل عملهم وبقائهم على قيد الحياة ليوم أخر.

ولكنها كانت نصيحة الخبراء النفسيين، ليسطيروا على جحافل العمال، ويشعرونهم بأنهم جزء لا يتجزأ من المنظومة نفسها، فلا تنشأ أي حالات تمرد أو فوضى تعيق العمل.

وعلى كل حال كان المقابل المادي مجرد وحدات رقمية زهيدة تضاف إلى حسابهم الأمني يعينهم على التمتع ببعض المتع المقننة.

كل هذا النظام والمجهود، كان له ما يبرره، فمازالت العمالة البشرية هي الأرخص بعد استهلاك معظم الوقود الحفري والحجري، وعدم التوصل لبدائل حقيقية.

فتكلفة التكنولوجيا في هذا العصر فادحة، مع ندرة المعادن، والموارد، وارتفاع أسعار الطاقة، والنقل، والصيانة، وقطع الغيار، والمبرمجين.

وهذا كان من حسن حظ وليد الذي لاقى الأمرين في سنوات عمره التي سبقت التحاقه بمعسكرات الفرز، سواء على المستوى الاجتماعي من فقر، وأمراض، وقلة طعام، وانعدام الأمان، في بيئته التي انتشرت فيها الجريمة العشوائية والمنظمة، وانهارت مرافقها، وانعدمت خدماتها.

أو على المستوى النفسي من تلك الصفعات التي زلزلت روحه بدءًا من الطريقة البشعة التي ماتت بها حبيبته، إلى فقدانه كل من يحب

أو يهتم لأمرهم لأسباب عديدة ترتبط جميعها بظلم وإهمال المجتمع والنظام.

في مستهل حياته كان وليد ساخطًا من كل هذا الظلم، ويحيا كقنبلة موقوتة كالآلاف غيره من المواطنين، ولكن صرامة النظام وقوته وقسوته، جعلته يدفن سخطه وأفكاره، ولا يعلن عنها حتى بينه وبين نفسه، قبل أن تتحول قبلته إلى النظام نفسه، أملًا في وسيلة أيسر للحياة.

فالتمرد والثورات والحروب أثبتت الأحداث والتطورات عبر القرون، أنها مجرد أدوات لأطراف خارجية هدفها إيقاف تقدم الدول، بل تدميرها لتظل تابع خاضع ذليل، بمخططات شيطانية يتم تطويرها طوال الوقت للجم الشعوب والسيطرة على مقاديرها.

التاريخ الذي يعرفه وليد، هو مؤامرة عظمى لا يتورط في محاولة تبديلها إلا الحمقى،الذين يحركهم من خلف الستار أعوان الشيطان، الذين لا هدف لهم إلا تحويل الأرض إلى مستنقع فاسد عفن مادي همجي، خالٍ من الروحانيات والإنسانية.

وبعد هزائم كثيرة، ونكبات شخصية دمرته نفسيًا، وصراعات كاد يدفع ثمنها حياته، أدرك في النهاية، عبثية القتال من أجل شخص أو قضية مهما كانت أهميتها على المستوى العام، والشيء الوحيد فقط الذي يستحق القتال من أجله، وهو الحياة بشكل أفضل، والحصول فيها على كل المتع الممكنة، وكان هذا انتصار عظيم للنظام.

وليد يمثل نموذجًا واضحًا للطبقة الأدنى في مجتمع المدن السعيدة -الطبقة العاملة المروضة- والتي لم تتركها الشركات لتنعم بالفتات

الذي يحصلون عليه، بل وضعتهم ضمن برنامجها الاستهلاكي، فصاروا ينفقون ما يحصلون عليه بداخل نفس المنظومة، مقابل بعض الرفاهية المقننة.

الأمر يشبه السخرة.

فالعمل ينجز تقريبًا بلا أجر.

وأحط أنواع السخرة، هي السخرة المقنعة.. فبها يبذل العامل جهده مقابل وهم، ومتع زائلة.

ومن أجل إحدى هذه المتع المبهرة، دفع وليد مدخرات شهرين كاملين،عمل خلالهما بدون إجازات أو راحة، ودون توقف ليحقق معدل الإنجاز المطلوب، لجمع المقابل الذي يستهدفه.

وتطلب هذا ورديتان تمتدان إلى ثماني عشرة ساعة كاملة، في عمل بدني عنيف في مصنع اللحوم الصناعية العملاق.

مائة وحدة رقمية(بيتكوين)، مقابل عرض خرافي قد لا يتكرر مرة أخرى، بمناسبة انتخاب رئيس الدولة للدورة الخامسة على التوالي.

نعم إنها الدورة الخامسة.

وما توقعتموه حدث بالفعل.

فقد تبدل الدستور مجددًا.

إنه الميثاق الأكثر عبثًا في التاريخ برغم أهميته القصوى.

وبهذه المناسبة السعيدة، وكأحد أنواع التملق والدعاية، كان هذا العرض الخاص الذي فاجأ الجميع.

فلم يكن هذا العرض إعادة إحياء لأحد العروض القديمة كما

هو معتاد منهم عند تقديم عرض مماثل. بل كان العرض يخص محاكاة تفاعلية، لحياة أحد أشر كهنة عبدة الشيطان المصريين في القرن الثاني والعشرين.

مازن شهاب.

القاتل المتسلسل الشهير، الذي تم إعدامه مؤخرًا باستخدام الكرسي الكهربائي، والذي كان من ضمن ضحاياه زوجة رئيس الوزراء شخصيًا، مع خمس عشرة امرأة فاتنة أخرى من نجمات المجتمع، أوقعهن في حبائله ثم انتزع حياتهن بأبشع الطرق، وأكثرها وحشية، كجزء من طقوسه الوثنية الملعونة، التي قام بتوثيقها بالصوت والصورة.

أتيحت ذكريات ذلك القاتل بعد جدل عنيف، وتم نسخها عبر المحاكي الخارق، عن طريق شركة الحراسات الخاصة التي تشرف على جميع سجون ومعتقلات الدولة، وطرحها كإصدار خاص يمكن الراغبين من معايشة تلك الذكريات الدموية. ولكسب المزيد من التعاطف والتأييد، كانت نسبة هامشية من أرباحها تذهب إلى أسر ضحاياهم.

العرض كان مغريًا.

والمغامرة المثيرة القادمة كانت تستحق ثمنها من وجهة نظر وليد، والذي كانت معظم مدخراته تذهب إلى شركة الحراسات، بعد أن أدمن الولوج إلى المحاكي.

وإن كانت فرصة القيام بهذه الزيارات الممتعة، يتم في المعتاد كل ستة أشهر، فالمحاكي فادح التكلفة، وعمل شهرين مكثفين لم يكن

ليكون مجديًا إلا مع العرض الخاص، بمناسبة مسرحية الانتخابات الرئاسية المحسومة مقدمًا، للعجوز المفدى.

فقط ما كان يقلقه ألا يستطيع حجز الموعد أو جمع المبلغ المحدد في الوقت المناسب، خاصة وأن شبكات التواصل الاجتماعي التفاعلية، تكاد تحترق من حماس من خاضوا هذه التجربة الدموية، وما يوثق عنها، أثار جنون الجميع.

ولكن ها هو في النهاية قد نجح في مسعاه وجمع المبلغ المطلوب، وحجز الموعد، وسط الآلاف الذين جرفتهم الحماسة، لنبش ذكريات ذلك القاتل الطقوسي الدموي، وعيش كل أجواء التوتر التي عاشها أو سببها.

فمع المحاكي شديد التطور المزود بذكاء صناعي خارق، يمكن تقمص حياة القاتل أو الضحية، تحت ظروف إلكترونية مقننة كي لا تحدث حالات وفيات غير مقبولة.

مثل تلك الحوادث التي واكبت إطلاق الجيل الأول من المحاكي، والذي استخدمه البعض كجهاز متطور للانتحار، مستخدمين الخيال وحده لقتل أنفسهم، دون الحاجة إلى أي أداة أخرى، وهذا تسبب في مشكلات عديدة لشركة الحراسات تم تداركها على الفور بواسطة مبرمجيهم المحترفين.

وظل وليد يحلم بتلك اللحظة التي سيتقمص فيها شخصية القاتل، ويفكر بشغف في تلك الحياة الدموية البديلة التي سيحياها، وسيكون فيها ذلك القاتل الدموي الذي لا يأبه بقيم أو أعراف أو قوانين، سيعيش هذا الشعور الأسطوري بأنه قادر على القرار والفعل.

صديقه راغب لم يعجبه تفكيره كثيرًا، بل انتقده عليه، وأخبره أنه لو كان الأمر بيده، ولديه القدرة على جمع وحدات البتكوين الرقمية المطلوبة لتقمص حياة ذلك السفاح الجنسية دون غيرها.

إن مجموعة النساء المشاهير اللاتي خدعهن في حياته، كافية لصنع حياة جنسية كاملة، من يحظى بها، لن يتمنى شيء أخر.

ولكنه كان يتمنى الشيء الأخر.

شهوة التمرد والتوتر، وحياة الظلام بعيدًا عن العيون التي تراقب الجميع حتى في دورات المياه.

هذه الحياة التي بلا قيود، أو ممنوعات، هي المتعة الخالصة التي ستمنحه النشوة التي لن تفوقها أي نشوة أخرى.

أن يمارس سلطة الإله بنزع الأرواح ..

أن يقول (لا) ولو في حياة افتراضية الكترونية..

أن يقتل..

أن ينتهك الأجساد ويمزقها ..

أن يبقر البطون، ويقتلع العيون، ويصنع من الأحشاء أشكالًا دموية هندسية تثير الرعب في القلوب.

إنه يريد أن يفجر أقصى طاقات الشر بداخله.

يريد أن يسفك الدماء، ويحرق العذراوات الطاهرات، والفاسقات الفاجرات، ويعلق الجامحات منهن من شعورهن حتى تنتزع فروتهن، وهن على قيد الحياة، ويستنزف أرواحهن قطرة قطرة .

إنه على وشك القيام بكل هذه المتع المحرمة التي كان يتقنها ذلك السفاح مازن شهاب، وعلى وشك الخروج من هذا العالم الروتيني الكئيب، وربما سيخوض جزءًا من حياته الجنسية، لا أن يجعلها هدفًا في حد ذاته. إنه من سيقود خياله هذه المرة.

ووسط جو شديد التعقيم، استلقى وليد ممددًا على تلك الطاولة المصنوعة من ذلك المعدن الحديث الفريد في خواصه، والذي يمثل سبيكة خاصة من المعادن والألياف شديدة النعومة، التي تجعلها قريبة في ملمسها من المخمل وتمنح راحة مضاعفة، وتواصل عصبي متكامل مع المحاكي.

احتوى المعدن المخملي المطور جسده القوي، واتصلت برأسه ألياف ضوئية دقيقة، بثت إلى عقله موجات فائقة القصر، هيأت خلاياه الرمادية للرحلة العقلية القادمة.

وفي نفس الوقت قامت هذه الموجات، بعمل مسح شامل لذاكرته، ونسخها ثم قامت بإرسالها إلى مركز المتابعة الأمني دون معرفته أو موافقته.

وهو نوع مسبق من التجسس والتأمين يقوم بها النظام، من خلف إطار تقديم المتعة، للقيام بضربات استباقية ضد المخربين المحتملين، وكان الأمر ناجحًا للغاية.

وما لم يعلمه وليد، أنه خلال هذا الشهر وحده، تم القبض على ثمانية من المخربين المحتملين، ولا بد أن الغير متعاونين منهم فقدوا بعض أطرافهم قبل أن يدلوا بكل معلومة دخلت عقولهم منذ مولدهم.

اعتاد وليد كل مراحل عملية الانتقال، فهي ليست المرة الأولى التي يخوض في مثل هذه الرحلات العقلية المثيرة، وبرغم الراحة الصناعية التي أجبرت جسده على التراخي إلا أن عقله كان يشتعل بالأفكار، فها هو حلمه يتحقق، وجهود شهرين كاملين لم يضيعا هباء.

سيختار الزمن الممتد.

هذا ما قرره من أول لحظة سمع فيها اسم السفاح مازن شهاب، وهي خاصية حديثة يعتمد فيها المحاكي على نسبية الزمن العقلي، لمنح العميل وقت لا نهائي من المتعة.

فأهم خواص هذه التقنية هي جعل الوقت يمر بداخل العالم الخيالي الذي صنعه المحاكي، أبطأ آلاف المرات من العالم خارجه، وبالتالي سيحيا وليد خلال ساعتان فقط، عشرة أعوام من حياة القاتل الدموي.

وهو يبحث عن الهروب الطويل، كما أنه نهم للمعرفة، ولن يترك خبرة واحدة مر بها مازن شهاب لن يختبرها، ربما سيصل إلى لحظة إعدام هذا السفاح، ويجرب مقدمات الموت أيضًا.

إنه مستعد للذهاب لأقصى مدى في هذه التجربة.

شعر بالذبذبات تجتاح كيانه، فجز على أسنانه حماسًا، إنها اللحظة الحاسمة التي سيحدث فيها الانتقال.

كان يتوقع أن ينتقل وعيه إلى تلك الغرفة الافتراضية ذات الأبواب المتعددة التي سينفذ منها إلى ذكريات القاتل، وهي نوع من التنظيم العقلي يقوم به المحاكي، كي لا يسقط العميل في دوامة الذكريات المجهدة التي لا يستطيع التحكم بها.

وكل باب في هذه الغرفة يقود إلى ذكرى محددة، وساعده هذا كثيرًا في الاستمتاع بالتجارب السابقة..

ولكن ما رآه هذه المرة بداخل عقله كان بغيضًا.

الغرفة..لم تكن هناك.

الأبواب..لم تكن هناك.

الضوء الأزرق المريح، كما يحب أن يراه، ويهيئه له عقله.. لم يكن هناك.

بل كان بديلًا عنهم..

الظلام.

ظلام دامس وثقيل وخانق.

والعجيب أنه احتواه بشكل سريع ومباغت، فشعر بروحه تكاد أن تزهق، فحاول أن يتحرك.. أن يخرج من ذلك الفخ التقني الذي لم يمر به من قبل دون جدوى.

رائحة عفنه تتسرب إلى روحه..

ترانيم جنائزية مقبضة تزلزل كيانه..

همسات لا تنقطع تدور من حوله، بلغات عجيبة تصدم مسامعه..

خوف هائل اعتراه، وجعله يتساءل: هل استقبل المحاكي طلباته العقلية وفسرها بطريقة عكسية، وهو يمر الآن بتلك اللحظة المفزعة التي بدأ فيها إعدام السفاح مازن شهاب ؟!.

هل سيموت مثله، ويشعر بكل آلام الصعق الكهربي؟!

الزمن يمضي ببطء، وعقله يكتنفه الدوار..

هل هناك خلل ما في عملية الانتقال ؟!

ذبذبة عالية تجتاح جسده..

فهل يعيدون التجربة من البداية لتدارك الخلل ؟!

صوت صرخات مزلزلة تصعق روحه ..

فهل هم ضحايا مازن ؟!

الأدرينالين يتفجر في عروقه..

الذبذبة تتزايد، فهل هي اللحظة الحاسمة، بعد أن قاموا باكتشاف الخطأ وإصلاح كل شيء ؟!

هيأ نفسه للقفز لنقطة البداية، حيث الغرفة الافتراضية، والضوء الأزرق الرقراق، والأبواب.

إلا أن صاعقة من النار سرت في جسده بشكل مفاجيء، وزلزلت أعماقه، قبل أن تنكمش، لتتركز في منتصف صدره، ليتسلل بعدها إلى أنفه رائحة احتراق جلده، وصوت انفجار مكتوم يعصف مدويًا بعقله.

والشيء المفزع أكثر أنه أصبح يرى مشاهد متعاقبة للشياطين بهيئتهم المثيرة للهلع، وهم يتحركون بين البشر بخفة وسرعة، ويوسوسون لهم بفعل الشر دون أن يروهم.

إن أعدادهم لا تحصى، والبشر في غفلة عما يحالك لهم في الخفاء.

صاعقة عقليه تزلزله، وتسحب وعيه إلى أكثر الأماكن اظلاما واشتعالًا .

إلى الجحيم ..

الآن يرى النيران والدخان..

يشم رائحة الكبريت، ويشعر بالحرارة الخانقة..

يـرى شـيطان هائـل الحجـم بأجنحتـه السـوداء العملاقـة التـي لا تتوقـف عـن الخفقـان، وقرونـه العظميـة الملتفـة، ويلتـف حولـه العشرات مـن الشـياطين والكائنـات بشـعة الخلقـة ..

لماذا يقترب من هذا الشيطان الزنيم؟!

بل لماذا يسجد له ؟!

عقلـه يزدحـم بـألاف الذكريات التي لا تخصـه وتـكاد تصيبـه بسـكتة دماغيـة، والتـي لم تكـن يومـا مـن اهتمامـات عامـل بسـيط مثلـه، كل همـه الطعـام، وبعـض المتـع الالكترونيـة، وأن يمـضي يومـه دون أخطـاء تخصـم مـن رصيـده الأمنـي.

فمن أين أتى عقله بهذا المحتوى المروع ؟!

والإجابـة الوحيـدة المنطقيـة في هـذه اللحظـة؛ أنهـا ذكريـات عابـد الشـيطان الملعـون ..مـازن شـهاب.

إنه التفسير الوحيد المنطقي، وهو يحيله إلى تساؤل مخيف :

هـل أفسـد إعدامـه بالكهربـاء خلايـا عقلـه فلـم يعـد هنـاك فاصـل بـين الخيـال والذكريـات؟!

إنـه يعلـم أنهـم كانـوا حريصـين جـدا عـلى الحفـاظ عـلى محتـواه العقـلي _استثمارهم المربـح_ مـن الدمـار، مـع طريقـة الاعـدام العنيفـة التـي أقرهـا القـاضي الآلى فلـم يعـد منهـا فـكاك.

تشـابكت الـرؤى المخيفـة التـي كانـت ترجـم عقلـه، ولم يمـضي وقـت

طويل عليه، قبل أن يغص عقله بشياطين وسحرة، ومخلوقات عجيبة لا يمكن أن تكون سكنت الأرض يوما.

الرؤى تنتقل من الأرض إلى الفضاء، فيرى كوكب له شمسان، وثلاثة أقمار.

يشاهد حفلات تعذيب جهنمية، وعمليات حرق جماعية لا تتحملها روحه.

مذابح، ومجازر..

ألهة من نار، وألهة من ظلام..

فراعنة، ومماليك، وأتراك..

سيارات تمشي بالوقود الحفري..

فرسان وكهنة يسجدون لرأس بافوميت النحاسية بقرونه القصيرة، ووجه الشبيه بالماعز، وصدره الشبيه بصدر المرأة.

قتلة وسفاحين يقومون بطقوس تعبدية معقدة، لكائنات جهنمية لم يتخيل أن يصل لها عقل طبيعي من شدة بشاعتها.

عقله يكاد يحترق من هول ما يرى والتساؤلات لا تنقطع :

- «هل كان هذا الوغد عابدا للشيطان أم ساحرا أم كاهنا أم أي صفة لعينة أخرى؟!».

ماذا يحدث له أي جحيم ألقى به عقل ذلك السفاح مازن، وهل يتابعه الكمبيوتر التفاعلي المركزي، وسينقذه من هذا العذاب ؟!

- « النجدة».

صرخ بها بكل ما يعتمل في عقله من ألم وحيرة.

- «النجدة».

صرخ بها فدوى رنين أجراس جنائزية عنيفة بداخل أروقة عقله، وانبثق من قلب الظلام أمام عيناه شهاب دخاني، يقطع أجواز الفضاء.

- «النجدة».

قالها بيأس للمرة الأخيرة، ومعها شعر بزلزال عاصف، قبل أن يحيط به ضباب غامض، ويسمع صوت شفط هواء قوي، ثم الصمت.

وفي لحظة واحدة هدأ كل شيء، ليشاهد أمامه عينيه أبشع كائن حي قد يكون رآه في حياته.

هذا الكائن تجسد له من قلب الظلام العقلي الدامس.

كل الهول الذي رآه منذ أصاب الخلل المحاكي، لا يمكن مقارنته بهذا الكائن المقزز المتجسد أمامه كأبشع كوابيسه.

صرخ بكل قوته وهو يقول:

- «اللعنة عليك أيها المحاكي الأحمق، لم أنفق من عمري شهران في عمل لا ينقطع، كي تبث لي فيلم رعب، إن هذا نصب».

وهنا دوى صوت ذلك الكائن الشيطاني المشوه، الذي كان يرفرف من حوله بجناحان عجيبان هما مزيج من ريش وجلد مهترئ، وكأنها جناحا خفاش مصاب بمرض جلدي، وقال بلهجة مقززة صدرت عن شفه متقرحة ومشقوقة وجافة، وهو يحدجه بنظرة صارمة بعيناه المختلفتان في اللون والهيئة:

- «أما زلت تعتقد أن كل ما تراه وهم، وغير حقيقي ؟!».

رمق وليد الكائن البشع الذي بثت رؤيته في روحه مشاعر هي مزيج بين الاشمئزاز، والرهبة، وقال بدهشة :

- « لا شيء حقيقي في هذا.. الأمر كله محاكاة مختلة، ولابد أن يتداركها الكمبيوتر المركزي، ويعود بعدها كل شيء طبيعيًا، وأعايش حياة مازن شهاب السفاح، ما أنت إلا برنامج تفاعلي أصابه العطب، لن أستمر في جدالك».

وهنا ارتسمت على وجه ذلك الكائن البغيض ابتسامة كريهة، وخفق جناحاه المهترئان بقوة، قبل أن يقول بصوت مقبض :

- « سنرى أيها البشري.. سنرى.. إنهم سيوقظونك الآن، وسيكون لنا لقاء أخر، فأنت ملكي من الآن».

ارتعدت فرائص وليد، وهو يتأمل ابتسامته المقبضة، وعيناه المزعجتان وشعر بقبضة باردة كالثلج تجتاح كيانه، وعقله المحدود يحاول استيعاب ولو جزء ضئيل من هذا الهول الذي يمر به.

وعجز عقله عن ايجاد أي تفسير، غير أن المحاكي تم اختراقه بعنف عن طريق هاكر قوي، وأنه يعبث بعقول الواقعين تحت سيطرته بتلك البرامج التفاعلية الحديثة التي يمتلكها، والتقنيون يحاولون استعادة السيطرة على هذا العبث.

والذي دعم هذه الفكرة المنطقية، أنه بعد مرور وقت قصير، بدأ يشعر بالذبذبة القوية، التي يليها في المعتاد مرحلة الإيقاظ، وانسحاب الصور، والعودة للهدوء العقلي، ثم الشيء الذي افتقده بشدة.

الضياء..

وكم كان حظه عظيما عندما تحقق ما تمناه بالسرعة الكافية أو هذا ما اعتقده..

كان مستعدا لصدمة الضياء، فأغمض عيناه، وهو يتحدث إلى نفسه قلقا من أن يكون جهد شهرين كاملين قد ذهب هباءا فقال:

- «كانت تجربة شنيعة، أتمنى ألا تتكرر، وأن يعوضونني عنها».

سحب نفسا عميقا، ثم فتح عيناه مجددا، متوقعا أن يرى غرفة المحاكي الباردة، وجدرانها المعدنية، بأجهزتها المتطورة.

ولكنه هذه المرة وجد نفسه فوق فراش ناعم مريح، لم يتخيل يوما أن يحظى برفاهية النوم عليه.

الفراش في مكان جيد الإضاءة والتهوية إلى حد لم يعهده في حياته، وأمامه يقف طبيبان بشريان ومساعد آلي، يتابعون مؤشراته الحيوية في اهتمام ملحوظ افتقده طوال حياته..

ولأنه تم تدريبه على الطاعة؛ استجاب لكل أوامر الأطباء، وجميع الاختبارات التي أخضعوه لها، لقياس درجة وعيه، واستجابته للمؤثرات الخارجية، دون أسئلة كثيرة.

تم الفحص وظهرت نتائجه في وقت قياسي، فتم إخضاعه لعدة جلسات لتهيئته نفسيا ليتقبل فقدانه لثلاثة من أطرافه في حادث انفجار المحاكي، وتعويضه عنهم بأطراف آلية عالية الكفاءة.

هذا غير نتيجة عملية التجميل الحتمية التي أجراها له، أمهر الأطباء، والتي غيرت من ملامح وجهه، ومنحته وجه جديد مقبول فلم يعد يعرف نفسه.

وذلك النقش الغامض الغريب الذي وصم به على صدره بلغة غير مفهومة، أوحت له بتلك المحتويات الرقمية التي كان يدمن مشاهدتها عبر البث التفاعلي، بديل التلفاز الذكي المندثر، والتي تدور حول استحضار الأرواح الشريرة والشياطين، وظهور علامتهم على صدر ضحاياهم، والذي لم يفهم لماذا وصم به حتى هذه اللحظة؟!

الأمر كله أثار دهشته أكثر مما أثار هلعه.

فبرغم فداحة ما فقده، وأنه كان قاب قوسين أو أدنى من الموت، لم يكن يتوقع أن يحظى ولو بجزء ضئيل من اهتمام مشابه، فهو من المهمشين الذين لا قيمة لهم إلا وهم أصحاء.

إن زملائه في العمل يصابون، ويموتون، ولا يهتم أحد بغير توفير البديل كي لا يتعطل العمل.

فما الدافع الذي جعلهم ينفقون عليه كل هذه الأموال الطائلة بهذه الأريحية؟

إنه يدرك جيدا أن الإنسانية ليست من أولوياتهم.

المتوقع منهم في حدث مماثل هو تركه ليموت، دون أن يهتز لهم جفن، فهذا يقلل التكلفة والخسائر!.

استمرت تساؤلاته دون إجابة، وإن لم تستمر طويلا..

وجاءته الإجابة على لسان مندوب شركة التأمين الذي زاره بعد أسبوع، وساق له أسعد خبر في حياته، بأنه قد حظى بتعويض غير مسبوق، سيؤمن له حياة مريحة حتى نهاية عمره.

فالمحاكي تعرض لهجمة فيروسية مجهولة المصدر أدت إلى سلسلة

محدودة من الانفجارات، تلقى هو بعضها بشكل مباشر، مما تسبب في إصابته وبتر أعضاءه، وتشوه وجهه، ووقوعه في هذه الغيبوبة القصيرة.

ومع تناول وسائل الإعلام للحادث، تضخم الأمر رغم محاولة احتوائه بشكل سريع، وأدى هذا إلى انتشار حالة من الذعر والهلع بين مستخدمي المحاكي عبر العالم.

ولأنها السابقة الأولى من نوعها، كان على القائمين على المحاكي مواجهة الموقف بمرونة وذكاء، فتلقى وليد المعدم المهمش هذه المعاملة الاستثنائية، وهذا التعويض الضخم. فلا أحد يجازف بضياع أو تعطل استثمار مربح كالمحاكي.

وبعدها صار وليد في هذه الفترة أشهر شخصية في العالم، وكان الخبر الأول في كل وسائل الإعلام الرقمية لمدة ثلاثة أشهر، وخصص له مرافق طبي دائم.

وهو ربوت عالي الكفاءة ذو ذكاء صناعي تفاعلي متطور، أوقفته له الشركة الراعية، ليشرف على إدارة شئون حياته، وليعينه على استعادة قواه، واستخدام أطرافه الآلية، التي مازالت بحاجة لوقت كاف كي يعتادها.

وكان هذا الربوت خير معين له.

فلم يتوقف دوره على متابعة حالته الصحية ومؤشراته الحيوية، ومنحه العقاقير المقررة، بل ساعده في التواصل مع المتاجر الالكترونية للحصول على الطعام والماء، وتكفل بتنظيم فواتيره، وإدارة أمواله بالمضاربة في أسواق العملات الرقمية المشروعة، بل والعناية بكافة تفاصيل حياته، وكان هو مرشده إلى العالم الجديد، عالم الأثرياء.

عالم الأسياد.

وبينه وبين نفسه اعتبره وليد هو صديقه الوحيد الذي خرج به من هذه المحنة، بعد أن انحسر عنه الاهتمام وتم نسيانه، ككل شيء عرضي يصبح ذا أهمية فجأة.

ونتيجة لذلك المسار الذي آلت إليه الأحداث، انزوى وليد في شقته الجديدة بأحد أحياء الطبقة الثرية المتوسطة، يمارس تمارين عقلية وبدنية شاقة ليستعيد مرة أخرى قدرته على التعامل مع أطرافه، وملامحه الجديدة.

وظل وليد يخضع لمتابعة دقيقة من المركز الطبي، أخذت تقل مع تقدمه في العلاج، وقرب الشفاء.

وبعد مرور ستة أشهر على الحادث، قام فريق تقني متخصص بنزع أجهزة المراقبة الطبية والأمنية من جسده، بعد أن استقرت حالته، وصار مؤهلا لحياته الجديدة.

وهنا، بدأت الأمور مع وليد تأخذ منحا جهنميًا.. وجحيمًا..

فنزع الأجهزة، تلاه وقف العقاقير النفسية التجريبية، التي تم استخدامها معه بعد انتكاسته العقلية السابقة، قبل أن تظهر آثارها الجانبية على مخه، وأعصابه الطرفية.

وتلك العقاقير القوية، كانت تكبح جماح التغيرات النفسية والعصبية المحتملة، وشرا مستطيرا لم يكن يعلم عنه، هو أو أطبائه شيئا.

شر شيطاني كامن منذ زمن بعيد.

ونتيجة لهذا التطور الماورائي الجديد، ومع عقله الذي كان يقاوم دون هوادة، صار وليد نهبا لنوبات متقطعة من الهلاوس، تصل في حدتها إلى فقدان الوعي، وأحيانا إلى الغيبوبة.

نتيجة لتلك الأحداث والمشاهد شديدة الكثافة، التي كانت تتفجر في عقله طوال الوقت، وتكاد تصيبه بالجنون مع غزارتها وإصرارها.

وكأنما تلف عقله تمامًا، أو انهار الخط الفاصل بين الواقع والخيال، بايقاف تلك العقاقير التي بدأت في التأثير سلبا على أجهزة جسده الحيوية، ولم يكن لها بديل حقيقي.

حاول أن يجد تفسيرا مقنعا بمساعدة الروبوت الطبي، دون فائدة.

فاكتفى في النهاية بأحد العقاقير المخدرة شديدة القوة المتاحة في السوق الإلكترونية السوداء، والتي كانت تتيح له هدنة مؤقتة، بوضعه في غيبوبة قصيرة بلا كوابيس أو هلاوس يسترد فيها جسده بعض عافيته، وتمنعه من الجنون الذي أصبح يطرق الأبواب.

ومع الوقت واعتياد جسده عليه، ضعف تأثير العقار.

وقلت فترات نومه..

وانتقلت الهلاوس إلى يقظته، في تطور مرعب ومربك. وهو يسابق الزمن ليعرف سبب هذه التطورات الرهيبة قبل أن تطيح به.

لدرجة أنه فكر في الاتصال بأحد برامج التوك شو التفاعلية، ليفضح شركة الحراسات ومحاكيها الخرب، الذي يسير به بخطى حثيثة نحو الجنون.

ولكن شيء مجهول كان يمنعه!.

شيء غامض أثر على إرادته، وقهر رغبته، وأجبره على عدم الاستعانة بأي مساعدة خارجية، وكأنه كان يعزله عن العالم الحقيقي لسبب يجهله.

وأصابه هذا بهلع بالغ، ولم يعد يعرف إلى متى سيتحمل عقله كل هذا التدفق الذي لا ينقطع من الأحداث والمشاهد المروعة، والتي لا تنتمي لحياته أو عالمه أو ثقافته.

لعن وليد اليوم الذي سمع فيه عن السفاح مازن شهاب، وعن المحاكي الذي أفسد عقله، بدمج كل الذكريات التي يحتويها أرشيفه الالكتروني، مع ذاكرته الخاصة- فلا تفسير منطقي أخر لكل ما يراه- فلا يمكن أن تكون هذه الذكريات الكثيفة هي محتوى عقل السفاح مازن شهاب وحده، إن الأمر أكبر وأعقد وأكثر شرا.

وها هو عقله يكاد ينهار تحت وطأتها.

إنه شخص نحس، فبعد أن ابتسم له الحظ، وأصبح من الأسياد، ها هي كل أحلامه تتبخر، وينحصر كل تفكيره في عودة حياته إلى سابق عهدها أمجرد عامل بسيط في مصنع اللحوم المصنعة يكافح من أجل حياة عادية وبسيطة، وليس هذا الجحيم الذي يكابده وحده، بعد أن نساه الجميع.

والوحدة مدمرة ما لم تكن اختيارية.

وظل هو وحيدا في مواجهة كل هذا الهول، برغم عشرات المراكز التقنية البحثية التي حاولت مساعدته عن بعد، والتي كانت تستنزف ثروته ككلب نهم، والذي أدرك من فواتيرهم الفادحة أنها ليست أبدية، فأوقف التعامل معهم.

وفي أحد الأيام، وبعد مواجهة عقلية عنيفة مع ذاته التي تجسدت له في هيئة شيطانية مفزعة في إحدى نوبات الغيبوبة، قرر أن ينهي الأمر.

وينتحر..

الموت هو الراحة الوحيدة التي ستخلصه من هذا الجحيم.

وقبل أن يتناول السم المركز المستخرج من (شيرونكس فليكري) أحد أشد قناديل البحر سمية، والذي وفرته له أحد المتاجر الالكترونية، اختطفته الغيبوبة على حين غرة.

وهذه المرة لم تكن غيبوبة عادية..

بل لم تكن غيبوبة من الأساس..

كان الأمر اختطافا عقليا رهيبا، قام به كائن شيطاني مخيف، له قرنان عظميان متآكلان، وجناحان من الريش والجلد المهترىء، وملامح مشوهة لا يمكن وصف بشاعتها أو تحملها، وعينان مختلفتان مزعجتان.

هل يذكركم هذا الوصف بشيء ؟

نعم.. إنه هو..

إنه ذلك الكائن المخيف الذي واجهه بقلب المحاكي، وظنه مجرد خلل تقني في برنامجه المتطور.

لقد عاد للظهور.

وهذه المرة عاد بقوة ليستولي على عقل وليد الذي أصبح في أوهن حالاته، وها هو يمده بالمعلومات التي كاد ينتحر لجهله بها، والتي سينتحر بالفعل لو امتلك الفرصة بعد معرفتها.

فانفجار السيرفر الفرعي للمحاكي نتج عنه خرق أمني كارثي بكل المقاييس، وهو إيقاف وسائل التحكم في تدفق الذكريات غير

المقننة، التي قد تمثل خطورة على العملاء، و تلاها سقوط جدران الحماية النارية، والأكواد الأمنية المشفرة.

ومن خلال هذا الفشل التقني، أتاح العقل الالكتروني للمحاكي كل ذكريات مازن شهاب، حتى تلك التي تم حجبها لتأمين العملاء.

ونتيجة لذلك خرج ما كمن بداخل تلك الذاكرة الخبيثة، إلى عقل وليد الذي لم يتم تهيئته للتعامل مع هذا الكم الفادح والخطير من الذكريات غير المقننة، فوقع في هذه الدوامة العقلية التي كاد من شدتها أن يقتل نفسه.

ولكنه لم يكن السبب الوحيد في حدوث تلك الكارثة العقلية، فالأسباب الحقيقية تعود بنا إلى عدة آلاف من السنين.

نعم ما قرأتموه صحيحًا ..

الأمر لم يكن له علاقة بالتكنولوجيا، ولا بخلل طارئ أو تخريبي للمحاكي في المقام الأول.

السبب كان يقبع هناك.

في أعماق ذاكرة عابد الشيطان الملعون مازن شهاب، والتي تم نسخها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بثوان محدودة بتكنولوجيا المحاكي المعقدة، وإضافتها بعد فلترتها إلى الأرشيف الرقمي العالمي، لاستخدامها في تقديم ساعات من المتعة الدموية للعملاء الشغوفين بحياة ذلك السفاح.

تلك الفلترة التقنية التي تسببت في حجب شر عظيم عن المستخدمين السابقين، هذا الشر الذي فلت من عقاله مع سقوط كل حواجز المراقبة الرقمية، مع الهجوم الفيروسي الذي قام به قراصنة معلومات مجهولين ضد سيرفرات المحاكي الفرعية.

وانتقل هذا الشر الرهيب مع ذاكرة مازن شهاب الملعونة؛ والتي امتزجت بوسيلة شيطانية مجهولة بذاكرة وليد، والذي يعتبر أحد أخطر أسرار التاريخ الغير معلوم.

ذاكرة الشيطان نفسه الذي عبده مازن شهاب، والذي أقام له صلواته، وقدم له تلك الطقوس الدموية.

الشيطان الذي وشم صدر وليد بشعاره الملعون..

الشيطان الابن كما يطلق عليه أتباعه..

الابن المنبوذ..

الابن الذي حاول إبليس - الشيطان الأكبر- قتله، ولم يستطع..

الابن الذي بدأ الاستحواذ على عقل وليد..

فهل يمهد للاستيلاء على جسده أيضًا ؟...

۞ ۞ ۞

(2)

- «الشيطان الابن.. المنبوذ.. إبليس».

ترددت الكلمات في عقل وليد بقوة، تعبر عن دهشة عاتية، بعد أن صدمت عقله تلك الأفكار الأخيرة التي أفصحت عنها ذاكرة ذلك الملعون مازن شهاب، والتي تسببت في بلبلة فكره، وجعلته يستعيد كل معلوماته عن الشيطان، وعن من لديهم رفاهية عبادته، في ظل عالم مادي لا يمنح وقت كاف للنوم أو التنفس، وهو يهمس بقلق مضاعف:

- « إن هذا جنون .. جنون حقيقي » .

كان يدرك ككل الشغوفين بمتابعة محتويات الإثارة الرقمية، على شبكة البث العالمية التفاعلية، وكل مدمنين المحاكي، ممن خاضوا من قبل غمار مغامرات عقلية متنوعة، عبر ذكريات المشاهير أو عبر العوالم الصناعية التي يهيئها المحاكي لعملائه، أن عبادة الشيطان تنتشر وتتوسع في القرن الثاني والعشرين دون كابح أو اعتراض مجتمعي، بعد إعادة إحياء كنيسة الشيطان، وطقوس عبادة الشيطان، التي أسسها الأمريكي الذي يعود إلى أصول يهودية أنتون سزاندور ليفي عام ١٩٦٦م.

والذي دعمها بتأليف الإنجيل الشيطاني بعدها بثلاث سنوات،

والذي لم يكن يؤمن بوجود الخالق العظيم، ويرى أن كل إنسان يخلق الله بداخله ليحقق استقرارًا أخلاقيًا، ويكبح شهواته. ورفض الحقائق المتجلية في الخالق، ومجد القوة، والاستمتاع بكل ما حرمته الأديان، وحلل الاستعانة بالسحر الأسود، كما آمن أن الشيطان يكافئ أتباعه بالسرور والسعادة وامتلاك الدنيا بكل مسراتها، في حال عبادتهم له.

وبرغم موت أنتون ليفي وهو على يقين من ارتكابه (خطأ جسيم) كما كانت أخر كلماته..

فلم تنتهِ أفكاره بوفاته.

وكانت البداية الثانية في فرنسا في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين عندما تم الإعلان عن تدشين أول كنيسة حقيقة للشيطان.

لتخرج من إطار المنتديات والمجموعات المنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي إلى أرض الواقع، بعد أن حصلت العريضة الإلكترونية على مائتين وستة وثلاثين ألف توقيع، لتحصل بعدها على كافة التصاريح القانونية، وإن لاقت اعتراضًا كبيرًا من شرائح كثيرة في المجتمع الفرنسي.

ولأسباب كثيرة أهمها انتشار الجماعات الدينية المسلحة، وانتهاء تلك القداسة التي كانت تحيط برجال الدين مع انغماسهم في السياسة وجمع الثروات، والسعي الدائم ليكونوا من نجوم المجتمع وبرامج التوك شو.

ومع قيام الحروب، والهجمات الإرهابية الموسعة التي تلت الربيع العربي، والتي طافت بمعظم بلدان العالم، عادت كنيسة الشيطان لتتصدر المشهد بقوة بأفكار أقرب إلى الإلحاد.

وجعل عبدة الشيطان في القرن الثاني والعشرين أنتون ليفي أب روحي لهم، وأقنعوا مريديهم أنه هو التجسد البشري للشيطان، وقدسوا إنجيله الشيطاني وتعاليمه، التي تطورت على يد كهنته.

فروجوا أن الشيطان روح خالصة ذاتية الخلق، وأنه ذاتي التلقيح، وكل مخلوقات الكون الأوائل نتجت عن قيامه بوضع بيض لا نهائي، يفقس فيمنح الحياة، وأن جميع المخلوقات الحية ستعود ذات يوم لتندمج بذاته اللانهائية . لذا فهم يؤمنون بألوهيته، ويقدمون له الطقوس الدموية.

وتقوم ديانتهم على الإيمان الغيبي التام، وإنكار الأديان الأخرى بانتظار التجلي الأخير، الذي سيتبعه نهاية العالم، وبأن يرث عبدة الشيطان الأرض، التي ستكون ملكهم إلى الأبد بعد أن يحظوا بالخلود، ويصبحوا محصنين ضد الموت، وتنتهي الأمراض، وتتحول الأرض نفسها إلى الجنة الموعودة، قبل الاندماج العظيم لمن يرغب.

وبرغم اهتمام وليد المحدود بالأديان، إلا أنه كان يدرك أن فكر عبادة الشيطان فكر شاذ، ومريض، ويناقض بعضه.

فكيف تكون المهابة والولاء لكائن يبيض ويفقس كالدجاج، وربما يرقد على بيضه؟!

إن بعض الأديان التي تعادي الشيطان، ذكرت تلك النقطة بالفعل، وبعض رجالها يؤمنون عن يقين أن الشياطين تلقح نفسها ذاتيًا وتبيض ولا تتزوج، وهو فكر غريب أيضًا، ويتعامل بثقة مع أحد الغيبيات.

ولكن ما يهمه في الأمر أن أتباع الشيطان ادعوا كل شيء يمكن تصوره، ولكن لم يدعِ أي منهم أن الشيطان ظهر له، أو يحدثه وجهًا لوجه.

كما لم يذكر أحدهم، أن ملامحه يمكن أن تكون بمثل هذا التشوه، وأنه يحمل عينين مختلفتين مرعبتين بهذا الشكل.

إنه يراه كجثة مسخ مجذوم تساقط جلده، لديه جناحان من الريش والجلد اليابس المهترئ، له عينان عجيبتان، إحداهما بشرية شبه مطموسة، والأخرى صفراء مشقوقة كأعين الثعابين، وقدماه بشريتان مجدورتان، وكأنه زومبي شيطاني تم إحيائه بعد موت طويل.

الكل يصف الشيطان ببشاعة الهيئة، ولكن ليس بالمشوه!

فلماذا هذا الشيطان اللعين، يحمل هذه الهيئة المنفرة، وما الذي كابده ليتحول لهذا المسخ ؟!

كان الأمر مزعجًا وغريبًا على عقله وثقافته واهتماماته، فتلك الخوارق لا تتلاقى أبدًا مع عالمه المادي المحدود، الخالي من الروحانيات أو الأمور الفوق طبيعية، التي تخبره أن هناك عالمًا خفيًا كبيرًا مؤثرًا على عالمه المادي وحياته البائسة، وكأن معاناته ينقصها مثل هذه اللمسة الشيطانية.

إن عاملًا بائسًا مهمشًا مثله، أقصى تفاعل له مع العالم الخارجي هو العمل المستمر لتوفير الطعام، والمخدرات الإلكترونية، ثم المرض والموت بهدوء، فلم يكن ذا قيمة ليذكره العالم أو لينساه.

هي قصة حياة عادية كآلاف بل ملايين القصص التي تبدأ وتنتهي في القرن الثاني والعشرين دون صخب.

إنه لم يقم صلاة واحدة منذ أعوام لا يعلم حصرها، ولا يهتم بوجود حياة أخرى بعد الموت، ولا ثواب وعقاب، فوجوده في هذه الدنيا، هو العقاب الأبشع والأصعب، ولن يوجد عقابًا مماثلًا أو أشد، إن كان هناك حياة أخرى بعد الموت بالفعل.

ولم يفعل أي شيء خيري أو أخلاقي من أجل الآخرين طوال تلك السنوات التي تلت فقدانه لحبيبته، وكأنما انسلخ عن العالم وغرق في ذاتيته، بعد أن فقد بموتها كل هدف أخر في حياته، قبل التحاقه بمعسكرات الفرز.

وكانت هذه هي غاية الأسياد، عمالة أنانية لا هم لهم إلا أنفسهم.

وما حوله إلى هذا المسخ البشري، أنه كان في قتال دائم لوأد جوعه والمحافظة على حياته من الصيادين، أو المغتصبين، أو المغيرين، ثم إن من تنتهي به أفكاره وطموحاته إلى الالتحاق بمعسكرات الفرز لا يعرف دين أخر غير العمل.

كما أن السادة القابعين في مدنهم خلف الأسوار؛ لا يعتبرون هذه الطبقة القادمة من خارج الأسوار من البشر؛ فلا أحد منهم حريص على منحهم الوقت لأداء أي طقوس، إنهم عبيد، وعلى العبيد فقط أن يعملوا.

الملائكة والشياطين والإيمان بالغيبيات خارج نطاق حياته، الشياطين الوحيدة التي يعرفها، هم الأسياد.

الأسياد الذين لم يصبح منهم، إلا بمصادفة بحته، دفع ثمنها ثلاثة من أطرافه، ومازال يدفع المقابل الأكبر، وهو وجوده في ذلك السجن العقلي الرهيب، والذي لا يظن أنه سيغادره أبدًا، بعد أن أتلف عقله المحاكي، إلا جثة هامدة.

عقله الذي بدأ يقنعه بأنه واقع تحت سيطرة استحواذ عقلي جهنمي، من خارج عالمه، ولكنه لا يرغب في الاعتراف به؛ لأنه خائف.

خائف أن يحوله الاعتراف إلى حقيقة!.

جاهد وليد كي يقنع نفسه أن كل ما يمر به مجرد هلاوس، وأن الغرفة المظلمة التي يجلس في أحد أركانها يبكي ويخفي وجهه، وفي الركن المقابل يجلس أمامه ذلك الشيطان بشع الخلقة، هي محتوى عقلي صناعي يعبر عن مخاوف مازن شهاب السفاح الدموي.

وهذا المحتوى العقلي نسخ إلى ذاكرته مع خلل المحاكي، وسينتهي في لحظة ما، لتنتهي معاناته.

وبصعوبة بالغة، وبعد مرور وقت طويل، استطاع عقله المنهك دون تدخل منه، أن يتكيف مع إعصار الذكريات والأحداث الذي يرجم عقله دون هوادة.

بل يتكيف مع ذلك الحضور العقلي الصاعق، لذلك الكيان الرهيب، الذي أصبح يعرف دون مجهود أنه ابن الشيطان.

لماذا ابن الشيطان، وليس الشيطان نفسه ؟!

كان هذا هو السؤال الأخير الذي لم يجد له إجابة، قبل أن يجنح عقله إلى شاطئ خال من التفسيرات أو التساؤلات.

ونتيجة لهذا الهدوء العقلي، بدأ وليد يتفاعل مع ما يراه أو يعرض أمامه، بنفس الكيفية التي كان يتعامل بها مع المحتوى الرقمي للمحاكي، فحدد ما يخشاه.

وكان العدو الوحيد هنا، هو ذلك الشيطان بشع الخلقة ذو العين المطموسة، الجاثم على عقله كالكابوس، بصمته المريب الذي لم يكسره حتى هذه اللحظة.

وبحرفية من قضى سنوات عمره الخمس الأخيرة في التعامل مع عوالم المحاكي الخيالية، صنع وليد بعقله عدة حواجز عقلية حجبت عن ذهنه صورة هذا الشيطان المشوه، وجعلته يختفي من مساحة رؤيته العقلية، ثم استدعى من أعماق عقله تلك الغرفة المضيئة ذات الأبواب، وبدأ ينظم كل شيء، وكأنه سيقوم بمحاكاة حياة شخص عادي في ظروف عادية.

وبسلاسة مدهشة غادره الروع، وسيطر على نفسه.

هو لن ينكر أنه مازال يشعر بوجود ذلك الشيطان الخبيث من حوله، ولن ينكر أن ابتسامته الطيفية تثير توتره، وهو يراقب تكيفه وتعامله مع الوهم المحيط به، لكنه قرر أن يتجاهل كل شيء، وأن يبدأ مغامرته ليسبر كنه ما يمر به، ويعرف حقيقة مازن شهاب، وكيف استطاع أن يمتلك ذاكرة هذا الشيطان الزنيم، بل وسيكشف السر في انتقال تلك الذاكرة لعقل سفاح مثله.

إن عقله يخضع له الآن، ويتعامل مع الأمر كأنه مجرد وهم صناعي مختلق، وهذا يريحه إلى حد ما.

الآن عليه أن ينسى تمامًا أنه بداخل سجن عقلي، وأن سجانه شيطان مريد بشع الخلقة، وعليه أن يخترق ذكريات هذا السفاح ليجد طريقة للتحرر منه.

وقف بقلب الغرفة الوهمية ذات الأبواب، أشار بيده فتحول الضوء الباهت، لضوء أزرق رقراق مريح للعين، ثم اختار الباب الأول.

في المعتاد كان يدخل من الباب ثم يغلقه خلفه ليحدث الانتقال، وتبدأ سلسلة الأحداث، ولكن هذه المرة كان الوضع مختلفًا، خرجت دوامة ضوئية سوداء عبر الباب المتألق، وسحبته إلى الداخل.

وترجم هو هذا الحدث الغريب، بأن الشيطان الابن القابع في ذاكرته يخبره أن الأمر ليس رهن اختياره، لا يوجد كمبيوتر تفاعلي متحكم في سير الأحداث، أو برمجة سابقة لها، وأنه يتحرك وفق مشيئته، وأنه المتحكم الأوحد في تفاصيل هذه الرحلة العجيبة.

وهذا جعله لأول مرة من سنوات طويلة يستعيذ بالله من شره.

لن نتحدث عن الدوار العنيف الذي شعر به، ولا الغثيان الذي كاد يطيح بمعدته خارج جسده الافتراضي، ولا البرد العنيف الذي احتواه.

فكل هذا تلاشى بعد لحظات، ليجد وليد وعيه يتجسد في قلب قاعة هائلة الحجم تزين جدرانها مجموعة منتقاة من اللوحات المقبضة، التي تمثل معارك حامية الوطيس، تدور بين مجموعات مختلفة من الشياطين والملائكة ومردة الجن.

لوحات رسمها فنان مريض نفسيًا، أو رسمها شيطان يعتنق الفن من واقع تاريخ سري أراد أن يجسده بفرشاته وألوانه، لينتج هذا الهول.

لوحات لو رآها فرنسيسكو جويا صاحب أبشع لوحات في التاريخ، لخر صريعًا من كل هذا الهول المتجسد.

أعطت اللوحات للقاعة سمتًا منفرًا، ومع الديكورات التي تعود لعصور قديمة، شعر بأن القاعة كلها تشع منها ظلمة غير مفهومة. ولو لم يخب حدسه، فهو في محفل ماسوني، أو شيء أقرب لهذه الأجواء، فجو المؤامرات يشع في كل تفاصيل المكان.

كانت القاعة تغص بمجموعة متباينة من الرجال والنساء المقنعين، بأقنعة جلدية أنيقة تخفي هوياتهم، وكل قناع نقش عليه كلمة غامضة

باللغة السريانية. وكان هؤلاء المقنعين متحلقين حول مائدة عملاقة، وظهر من جلستهم المتحفزة حولها، أنهم ينتظرون شيئًا ما أو شخصًا ما.

وبعد مضي بعض الوقت دوى في المكان صفير طويل، وعلى أثره وقف من في القاعة وقفة شبه عسكرية، وكأنهم مجموعة من الجنود، ينتظرون قائدهم وعيونهم معلقة بباب القاعة الإلكتروني الذي انفتح تلقائيًا، قبل أن يغلق رتاجه في نعومة لتتحول القاعة لخزانة منيعة.

تحرك خلالها شخص غامض مهيب، قطع في خطوات واسعة تلك المسافة التي تفصله عن منصة أنيقة تحتل صدارة القاعة، نقش عليها رسم لغراب أسود نائح. وانتصب أمامهم بجسده الرياضي القوي، الذي أضافت إليه الحلة السوداء الأنيقة، وحرملته التي كانت من نفس اللون، مهابة إضافية، ومنحه قناعه الجلدي المحكم سمت أسطوري مخيف، فظهر للعيان كمصاص دماء أرستقراطي بأنيابه البارزة، وعينيه الحادتين، وحضوره القوي.

وكان هذا المكان هو قبو فيلته الخاصة المؤمن، والذي تم تهيئته والإنفاق عليه ببذخ هائل، ليكون قاعة اجتماعات عملاقة، ذات مواصفات خاصة، لها العديد من الأبواب المصفحة.

وتلك الأبواب الخارقة لا يمكن الولوج عبرها إلا عن طريق خوارزمية تتغير طوال الوقت، يتم إرسالها إلى أجهزة خاصة لا يوجد مثيل لها في العالم، إلا مع العشرين شخص المتحلقين حول المائدة الخشبية الأنيقة التي تفوح منها بشدة رائحة السحر الأسود.

الجو كله يبدو شيطانيًا ومريبًا، ويحمل العديد من المتناقضات.

فالتكنولوجيا التي تعمد إلى تأمينه تختلف تمامًا عن تلك المائدة

الأثرية الطويلة التي تحتل قلب القاعة بالكامل، والتي رسمت فوقها نجمة داود مقلوبة، وامتلأت بالعديد من النقوش الغامضة والتعاويذ والأوفاق والطلاسم، وتضيئها الشموع في مشهد مقبض.

وكأن في هذا المكان المزدحم، وفي القريب العاجل، سيقام بداخله طقس وثني غامض، ستراق على أثره الدماء.

هواء القاعة يفوح برائحة عطرية منفرة، لمزيج خاص من بخور وعفن، رائحة لا يمكن وصفها إلا كرائحة الموت.

لا يوجد شخص سوي على هذه الأرض من الممكن أن يطيق مثل هذه الرائحة الشنيعة التي اعتادتها أنوفهم، والتي كانت تتسرب إلى القبو عبر مجموعة من أجهزة تعطير الهواء الخاصة.

كل شيء في المكان بدا مخيفًا مقبضًا غامضًا، ويوحي بشر كبير قادم.

نفس الإحساس الذي كان ينتاب وليد كلما وقع بصره على صور جماعات الكو كلوكس كلان بأقنعتهم الشيطانية وأهدافهم الخبيثة، أو يشاهد تلك المحتويات الرقمية الدموية التي تتحدث عنهم.

وقف ذلك العملاق المقنع المهيب، يرتب تلك الأوراق المشئومة التي يغلب عليها طابع القدم والأصالة، والتي يحملها بين يديه، وعيون الجميع معلقة بها، فجميعهم يعرفونها جيدًا، بل يحفظون تاريخها، كما أنها أحد أسباب قدومهم لهذا المكان، من أنحاء العالم الأربعة.

وبرغم علمه التام بإلمامهم بمثل هذه الأمور، ولكنه لم يستطع أن يقاوم سحر مهنته القديمة كإعلامي مخضرم، وهذا جعله يرفع الأوراق بشكل مسرحي، وكأنه في عرض سحري خاص قبل أن يقول :

- « أوراق التاروت.. أوراق السر المقدس.. وخريطة المختارين نحو أعظم أسرار العالم القديم..

أوراق التاروت صندوق بندورا السحري الذي يحوي من الأسرار ما لا يتخيله عقل، فعبرها يظهر الملاك والصقر والثور والأسد..

قالها وهو يظهر تلك الأوراق التي تحمل تلك النقوش الفرعونية الأصيلة، التي تعتبر شعارًا سريا لأخويتهم الشيطانية، قبل أن يعيد خلطها ليستطرد قائلًا:

- «أوراق التاروت.. ليست لعنة تستخدم لفضح الناس وكشف أسرارهم فقط، كما كان يفعل الغجر الذين نقلوها إلى أوروبا في عهد هنري الثامن، بل هي تحتوي كل حكمة مصر القديمة، والعالم القديم.

وصمت قليلًا ثم أكمل:

- « والحضارة التي تستطيع فك شفرتها الحقيقية ستحوذ المعرفة الكاملة.. ربما لم أحوذ بواسطتها على المعرفة الكاملة بعد، ولكنها منحتني من المعرفة ما جعلتني أعجل بعقد هذا الاجتماع شديد الأهمية، وجمعكم معًا من أطراف العالم الأربعة، ومن قبلها الاتصال بكاهنتنا الأم، التي لها كل التقديس والاحترام والطاعة.

وهنا أحنو جميعًا رؤوسهم في احترام وإجلال لذكر الكاهنة، ففعل مثلهم ثم أكمل حديثه قائلًا:

- «لقدأخبرتكم الآن بما تعرفونه، وقبل أن أخبركم بما لا تعرفونه.. عليكم أن تجددوا لي العهد والقسم..

عهد الولاء والطاعة.. وقسم الحفاظ على السر.. لأن ما سأطلبه منكم لن يقل عن الموت.. بل هو الموت نفسه».

وبلا تردد وقف الجميع متحلقين حول تلك المائدة الأثرية الأنيقة المليئة بالطلاسم، ثم فرد كل منهم راحته قبل أن يضعها فوق جزء مدبب من المائدة معد لهذا الغرض، وسال على أثرها خيط رفيع من الدماء على أكفهم، قبل أن يضموا أصابعهم، ويضعونها على صدرهم، ويقسمون جميعًا بصوت واحد قسم الدم:

- «المجد لرسول الظلام، المجد للقادم من خلف النجوم، نقسم على الولاء والطاعة والموت حرقًا ثمن التقصير أو الخيانة».

استمع المقنع الذي يلقبونه برسول الظلام إلى القسم بانتشاء، ثم أشار إليهم بالجلوس، قبل أن يعود للحديث قائلًا:

- «أوراق التاروت، أخبرتني بالأمس بنبأ عظيم، راسخ في ظلمته، مهيب في شروره، غارق في كابوسيته ..»

إن الكوكب سيشهد أحداثًا جسامًا، وحان موعد الحضور العظيم، وعلينا أن نعد العدة لمهمتنا الكبرى».

همهم الجمع حماسًا، ولمعت عيونهم بقوة فتجاهلهم، وهو يكمل بلهجته الرصينة الساحرة كإعلامي مخضرم:

- « اليوم ستفتح إحدى البوابات التي أغلقها سحرة الفراعنة منذ عشرات القرون، والتي تقود إلى العالم السفلي كما يطلق عليه العامة، ونطلق نحن عليه العالم العلوي، لأننا نملك العلم، ونعلم أن الشيطان الأكبر عندما قرر أن يجعل كرسيه فوق عرش الخالق فشل، وهبط به ولكنه لم يهبط به إلى دناءة الأرض، وأنشأ مملكته هناك حيث السماء الأولى هي السقف، والفضاء هو حدود مملكته، والبرد والظلام هم جنوده .

وهذه البوابة هي ثغرة خلفية لهذا العالم، تتخطى كل وسائل الحماية والمنع المفروضة عليه، وتمنع أي كائن من كان من تتبع المخترق، لذا هي وسيلتنا لتحرير السيد.

العيون تلمع، وهو يتابعها كصقر قبل أن يضيف:

- «التاروت أطلعتني بالأمس على أحد أكبر أسرار مملكة الشياطين، عن السر الأسود الذي أراد إبليس وأده ولم يستطع.. عن المنبوذ، ذلك الكائن الخارق، الذي وجد على ظهر الأرض في حدث نادر، في يوم، وشهر مميزين.

في اليوم الثالث عشر من أكتوبر، الشهر المقابل لشهر الموت حسب توقيت المايا.

وهنا صدرت منهم همهمات حماسية، فتلك المعلومات تطابق ما استنتجوه عن طبيعة السيد، وربطوه بالنبوءة، فأضاف:

- «وهو كما استنتجتم جميعًا، أحد أقوى الأدلة على أنه نبي الشيطان، الحاكم القادم للعوالم جميعًا، حسب النبوءات التي فشل الشيطان الأكبر وأتباعه في طمسها عبر القرون، بجهودكم وجهود آبائكم وأجدادكم.

فخلد ذكره في معظم الحضارات على اختلافها كالسومرية والإغريقية والفرعونية، والعديد من الطوائف الدينية، كاليهودية والإسلامية والمرمون والثيوصوفية، وتم خلالها وصفه بأشكال عديدة ومسميات مختلفة، إنه القادم ليهدم ممالك الخير والشر، وينشأ مملكته الخاصة على أنقاضهم، ذلك الذي كنا ننتظره، ليسود.

صمت للحظات ليلتقط أنفاسه ثم قال بصرامة:

- «والكاهنة العظمى تطلب منكم، أن تفوا بعهدكم المقدس، فالدماء وحدها هي المفتاح».

- «بعضكم حظي بشرف رؤيتها، والبعض على موعد بهذا اللقاء المرتقب، ولكنكم جميعًا ترفلون في النعيم بسببها، إنكم أثرياء العالم وأكثر أهله نفوذًا بفضلها، وحان الوقت لرد الجميل، واكتساب المزيد من القوة والثراء والنفوذ.

إن نبي الشيطان قادم بكل قوته، وبكل العلوم المحرمة التي اقتنصها من بين أنياب أبيه.

وعلينا أن نعد العدة لاستقباله، ولتنفيذ أوامره..

إنه قريب جدًا، وحان موعد قيامته..

وحان الوقت، ليقود جيشه..

ولينتصر في حربه الأخيرة ضد عدوه الأوحد..

إبليس..

الشيطان الأكبر».

وهنا وقف المقنعون جميعًا، رجالًا ونساءً، ووضعوا أيديهم فوق صدورهم، ورددوا بكل حماسة وقوة، بصوت هادر امتصته جدران القبو العازلة للصوت:

- «المجد لرسول الظلام، المجد للقادم من خلف النجوم، نقسم على الولاء والطاعة، والموت حرقًا ثمن التقصير أو الخيانة».

❁ ❁ ❁

(3)

- «المجد لرسول الظلام، المجد للقادم من خلف النجوم، نقسم على الولاء والطاعة ، والموت حرقًا ثمن التقصير أو الخيانة ».

وجد وليد نفسه يردد قسم الدم دون وعي، وعقله ينسحب تدريجيًا من هذه الذكرى المشئومة، وهو يحاول بكل جهد أن يتفوق على الألم الذي يعتصر ويحرق خلايا عقله، التي تنهبها التساؤلات.

وكان أهمها ، هدف هؤلاء المقنعين الذين يقودهم رسول الظلام ؟

وقد أطلق عليهم لقب المقنعين، لحصرهم لا أكثر فهو يعلم شخصياتهم جميعًا، إنهم أباطرة المال والجريمة والسياسة في هذ الزمن، وهذه المعلومة وصلت إلى عقله دون جهد لأنها من محتويات ذاكرة الشيطان الابن الغامض الذي يلم بالتأكيد بكل التفاصيل مهما كانت تافهة.

إن ما يلح عليه ليكتشفه هو هدفهم النهائي من هذا الحلف الشيطاني غير المضمون، والذي يعتمد على نبوءات قد تكون حقيقية أو لاتكون.

كما يريد أن يشبع فضوله عن تلك الكاهنة العظمى، التي ساعدتهم ليصلوا لما هم فيه من نفوذ وسلطة وثراء.

والتساؤل الملح أكثر: طالما أنهم يمارسون الشر بمثل هذه الأريحية، فلماذا يتخذون جانب العداء من الشيطان الأكبر بكل ما له من نفوذ وسلطة وقوة، ويدينون بالولاء لشيطان سجين لم تكن لديه القدرة ليحرر نفسه، والذي مهما فعل لن يصل لقوة أبيه، ومعارفه التي جمعها عبر الزمن؟!.

إن الأمر متشابك، ولن يفصح عن أسراره إلا إذا، أكمل رحلته.

وبالفعل ركز وليد مع الباب الذي تألق أمامه بعد أن عاد إلى تلك الغرفة العقلية المضيئة ذات الأبواب المتعددة، فأنفتح الباب وخرجت منه الدوامة الضوئية السوداء واختطفته دون مقدمات.

وبدون تمهيد وجد وعيه يمتزج بوعي شخص أخر لا يعرف عنه أي تفاصيل، وهذه المرة كان في القاهرة، وتحديدًا في العام ١٩٩٠ أي قبل قرن ونصف من ولادته على هذا الكوكب الملعون. وفي نفس الحقبة الزمنية التي دار فيها اجتماع المقنعون.

لابد وأن هذا التوقيت مهم جدًّا، وربما فيه بدأت الأحداث الحقيقية.

وبلا تردد قرر أن يكون حاضرًا في هذه الذاكرة بشكل كامل، بل وسينبش فيها حتى يمتص كامل رحيقها من المعلومات.

وصدمه الأمر عندما شرع فيه.

فصاحب هذه الذاكرة، كان أضعف وأقل شأنًا من أن يكون مشاركًا في أحداث بمثل هذه الأهمية، أو فاعلًا فيها بقوة، وكان يتحرك بوازع غريب، يختلف عن مفردات هذا العالم الدموي الدنس المحيط به:

وهو الحب!

إن رفاهية الحب والمشاعر في ظل الأزمات، تظهر لمن يعايشها على أنها أكبر قدر من السخافة في هذا العالم.

أحكم وليد تركيزه ليخرج من هذه الأفكار، فامتزج وعيه تمامًا بوعي كريم، وهو اسم صاحب هذه الذاكرة الحالية، وعندما بدأت المعلومات تداعب خلايا عقله وترسم له صورة شبه واضحة عن الموقف، أدرك وليد أن كريم في هذا التوقيت، كان قد مر عليه عام كامل لم ينطق فيه بكلمة واحدة.

إنه يعيش حالة من الصمت التام، وكان يستعمل الإشارة لو اضطر لشيء بشكل قهري، وفي أضيق الحدود.

وهذا الصمت الكبير من وجهة نظر وليد، لا أحد يقدر عليه بإرادته، ولكنه فعلها، وبرغم ذلك كان كريم محبطًا لكل تصوراته!

فمن هو مثله لا يمكن أن يمتلك مفتاحًا للإجابة على كل ما يحير عقل وليد، فهو كئيب كالمقابر المحيطة بذلك الحوش الذي يقطن فيه، نحيلاً كشواهدها، صامتًا مثلها، ولم يكن الموت الذي أحاط به، وتسلل إلى أنفاسه ومساماته هو سبب كآبته، ولا سبب صمته الطويل وعزلته.

بل كان السبب الوحيد والدائم أنه فقدها.

شوقه إليها هو السبب الرئيس في صمته وكآبته، ووصم الناس له بالجنون، وكانوا على حق إلى حد كبير.

فمن يعشق يكون بينه وبين الجنون أن يفارق من أحب رغمًا عنه.

لقد توقف نهائيًا عن التعامل مع المحيطين به، وعن التفاعل الاجتماعي، بل وترك عمله وكل ماضيه خلفه وكأنه زهد الحياة، وبالتالي تركه الجميع لعزلته وصمته، وكأنه لم يكن أبدًا حاضرًا بينهم.

وكان هذا هو الشيء الوحيد الجيد الذي حدث له طوال الأشهر السابقة ..

لقد أصبح نكرة للجميع ..

ومع صمته صار شبحًا، لا يراه مصادفة إلا بعض زوار المقابر، فيمنحونه بعض الطعام المعد لمثل هذه الأماكن، دون أن يحظى أي منهم باهتمامه أو كلمة شكر.

امتنع عن الكلام حتى لم يعد يتذكر أنه تحدث يومًا، ولم يكن يبالي بالاسم الذي أطلقوه عليه.

الأخرس ..

الفكرة الوحيدة التي سيطرت عليه، هو السعي بكل جهد، وبجسده الذي لا قوة فيه، وروحه المفتتة، ليعبر هذه الأيام المتشابهة في كآبتها، فيذهب إلى حبيبته أو تعود إليه.

إن عقله سليم كما كان طوال حياته، هو فقط فقد روحه بفقدها، ثم فقد اتزانه بطريقة موتها العجيبة، والمخيفة !

لماذا عجيبة، ومخيفة ؟!

والإجابة بسيطة:

لقد انشقت الأرض، وابتلعتها أمام عينيه، ووسط صرخاته.

هكذا فقط..

نعم هكذا فقط..

كانت أمامه تملأ العين والبصر والحياة برقتها وطيبتها.. ثم لم تعد.

في لحظة واحدة انتهت حياته، وتيبست روحه، فاعتزل الناس، وكل مظاهر الرفاهية والحياة.

وفي وحدته الطويلة التي لا يؤنسه فيها غير الموتى، في هذا الحوش الفسيح، الذي يقطنه منذ فراقها، يجلس كشبح وحيد يجتر ذكرياته معها، ولا يصل أبدا لتلك اللحظة التي أختطفها منه سكان العالم السفلي.

هكذا كانت جدته تطلق عليهم، وهي تقص عليه شيئًا جديدًا من قصصهم، كلما كان الوقت متاحًا، ويذكر لها حديثها القديم، الذي لم ينسى منه حرف واحد بأية حال من الأحوال:

- «إننا لسنا وحدنا، ولا نمتلك كل ساعات اليوم، هناك من يشاركنا في كل شيء، حتى فراشنا وطعامنا.. هناك من يخرجون من قلب الأرض، متخفين أحيانًا في شكل حيوانات كالقطط والكلاب، أو زواحف كالأفاعي، أو بعض الكائنات الأسطورية كالتنانين والغيلان، وبعضهم يتشكل في هيئة جماد، تلك الستارة الزرقاء الثقيلة، والتي تحركت كثيرًا دون سبب واضح، كانت تخبره دومًا أن أحدهم يقبع هناك يراقب أو ينتظر».

وهذا كان يثير هلعه وخياله وشغفه..

ولكنها لم تكن تتركه لمخاوفه لتنهش روحه، ولا لخياله ليورده مورد التهلكه، فكانت كلما رأت جسده الصغير يرتجف، تضمه إليها ليشتم من ملابسها وجسدها رائحة المسك قبل أن تقول:

- « ما دمنا لم نؤذهم فهم لن يؤذوننا ».

لم يكن يعرف كيفية إذاء الطرفين للآخر، لذا كان في طفولته يتجنب شرهم، بترك بعض الطعام على الأرض لهم، ودائمًا ما كان يحتفظ بداخل أشيائه أو طيات ثيابه، بقنينة ملح؛ لأنه يقال إنها تمنع آذاهم وتحميه من شرهم وغضبهم..

ودائمًا ما كان شغوفًا ليصل إليهم ..

ليتواصل معهم ..

ليراهم رؤى العين ..

وعندما حاول الوصول إلى مدخل عالمهم، باستخدام عزيمة سحرية سوداء، كانت مكتوبة بدم فاسد في أحد الرقاع الجلدية القديمة، والتي دفع لاقتنائها مبلغًا فادحًا لأحد سماسرة هذا العالم المظلم، الذي لا يعرف إلا مفردات السحر والطلاسم والتعاويذ والأضاحي.

سرقوا منه حياته ..

وهاهو الآن قد عاد ليقرأ في تلك الرقاع المحرمة، ويترنم بتلك الترانيم الوثنية الخبيثة، وقد نذر الصمت الذي أصبح جزءًا من شخصيته كقربان لتلك الشيطانة التي قادتها الرقاع الملعونة إليه، لعلها تستجيب لإلحاحه، وتعيد له زوجته من أسرها، سليمة كما يتمنى.

إنه يصلي الآن لماردة شيطانية مخيفة، ويتوجه إليها بالدعاء.

ماردة يطلق عليها الملكة الزرقاء؛ لأن كل شيء يخصها يختلط باللون الأزرق، طلاء مخالبها، ردائها الغريب، والأجواء التي يتجسد فيه طيفها.

إنه يعلم أنه قد قطع مسافة مخيفة في هذا الطريق المظلم الشائك، ولكنه لم يتردد في إكماله ..

لقد صار عبدًا لفكرة واحدة ..

إنها يجب أن تعود له.

كان يدرك عن يقين تام لا يعرف مصدره بكونها حية، وعندما

أكدت له تلك المـاردة المعلومة، وهب ما تبقى من حياته لإخراجها من الفخ الذي أوقعها فيه بجهله وقلة علمه، بعد أن تقبلها قاطني العالم السفلي كقربان.

وهذا ما يثير جنونه، فهو لم يقدمها إليهم كقربان أو أضحية، ولم يكن ليجرؤ في يوم من الأيام في فعل هذا بمن امتلكت قلبه وروحه، وبدلت حياته من النقيض إلى النقيض.

كان يعتقد بجهله أن ملوك العالم السفلي سيستولون على روحه، أو على جسده، أو إرادته، ولكنها ألاعيب الشياطين الكذبة التي لا يمكن توقعها.

لا يوجد على وجه الأرض من هو نادم أو حزين مثله. ولو كان الأمر بيده لما سار في هذا الطريق أبدًا، ولأحرق تلك الرقاع الملعونة التي قادته إلى العالم السفلي، ليفقد حب حياته.

والمحبط أن الحياة لا تمنحك أبدًا، القدرة على العودة للخلف لتصلح أخطاءك ..

إن الثمن فادح جدًّا وغير مقبول أبدًا..

بالفعل كانت زوجته بالنسبة إليه هي أثمن شيء في الوجود، ولم يكن يدرك أن سلوكه هذا الطريق المظلم المفخخ، سيسلبه مصدر النور الوحيد في حياته ..

ولأن الظلام هو ما سلبه نور حياته، قرر أن يكمل في طريقه، لذلك لم يكتفِ بالعيش في حوش إحدى المقابر، ولكنه قرر أن يقتحم إحداها.

مقبرة قديمة أنيقة تعود لعهد الملك فاروق وبداخلها يرقد جثمان

أحد بشوات عهده البائد وزوجته وأطفاله، اللذين ماتوا جميعًا في حادث سير عنيف قلما يحدث في هذه الفترة الغابرة.

من أين استقى كريم تلك المعلومات، من حارس المقابر وسمسارها، الذي شارف على المائة عام، وما زال منهمكًا في جمع المال، وتدخين الحشيش.

الحاج شديد الطيب..

الذي قص عليه قصة المقبرة دون أن يطلب كريم منه ذلك، عندما رأى اهتمامه بها.

وهو بالطبع لم يحج أو يزور هذا المكان المقدس، ولكنه لقب منحه له كبر سنه، ولحيته البيضاء لا أكثر.

ولماذا هذه المقبرة؟.

لأن الماردة الخبيثة التي أصبح يدين لها بالولاء الآن، وعدته بإصلاح الأمور، بعد أن قدم لها قربانًا من الدم.

كانت طفلة شوارع بائسة، ستموت على كل حال من البرد أو الفقر أو الانتهاك، أو ستحيا لتصبح لعنة حقيقية على هذا العالم، لقد خلصها من حياتها ومعاناتها، وخلص العالم منها.

وأسعد تلك الماردة الزرقاء قربانه.. فدلته على إحدى بوابات العالم السفلي السرية، التي ستقوده إلى زوجته. كما أنها منحته تعويذة الوصال، التي ستساعده في الاجتماع بزوجته ولو كانت في أعمق نقطة من هذا الجحيم.

ولم يكن هذا دون ثمن، فتلك العجوز التي قيدها، وترك القطار ليمر فوق جسدها النحيل، والتي ماتت من الفزع قبل أن يمزق القطار جسدها إربا وينثره فوق قضبانه. كانت قد عاشت بما يكفي.

إن سنواتها الأخيرة في ظل كل هذه الأمراض التي تعاني منها جحيم حقيقي، ومن حسن حظه أن عثر في غرفتها على مبلغ كبير من المال كان عونًا له في مشواره الملعون، والذي بدأ بالصمت والألم .

إنه لم يصل لهذه النقطة ببساطة.

في كل خطوة كان عليه أن يدفع الثمن،

العهد الدموي الذي ربطه بتلك الماردة الخبيثة، بدأ بشرط يسير؛ أن يمدد صمته الذي بدأ بفقدان زوجته لعام كامل، وهذا ما لم يبذل فيه أي مجهود حقيقي، فلم يكن لديه أي رغبة في التحدث إلى أحد بعدها، ولو أصيب بالصمم أيضًا، لما فت هذا في عضده، وربما تمناه كي لا يستمع إلا لصوتها الهامس الذي يقرع قيثارة روحه.

الشرط الثاني كان أكثر دموية:

أن يقدم إبهامه الأيسر كتضحية دموية أخرى ..

فلم يتردداً

وأخيرًا كان عليه أن يمارس الجنس مع حيوان ذكر، وكان هذا أصعبها !!.

ولكنه فعلها، وظل يتعافى من أثار مخالبه لفترة من الزمن .

لم تطلب منه الماردة الشيطانية أن يجاهر بالكفر الصريح، ولكنها جعلته يفعل كل ما يمكن إدراجه تحت هذا البند المشئوم ..

بعدها دلته على مكان جب حجري خفي، يحتوي على عشرات الرقاع الجلدية في قلب مدق جبلي على طريق الواحات. وجعلته يكسر تعويذة الحماية التي كانت تحيط به،ويجلب لها كل الرقاع الجلدية.

أحد كنوز الشياطين المعرفية المخفاة في مهارة على كوكب الأرض، والتي نجت من حملة الشيطان الأكبر المسعورة ومساعده عزرا، للتخلص من فنون الظلام كي لا يملكها من يسيء استخدامها ضده، بعد أن كاد يحرقهم الشيطان الابن بنارها.

نقاط غامضة بدأت تضح لوليد الآن، الذي كان يتساءل طوال عمره عن سر اختفاء السحر الحقيقي القوي من الأرض، والذي كان يتحكم في عناصر الطبيعة ويشكلها، وكانت هذه الإجابة.

كما أنها توضح نقطة أخرى شديدة الأهمية، وهي سر عداوة ابن الشيطان لأبيه إبليس..

ربما امتلك الابن القوة، فقرر استخدامها ضد أبيه، ولذلك دارت رحى هذه المعركة الخفية.

لقد شاهد محتوى رقمي ذات مرة، عن الشيطان والملائكة الساقطين، وكيف أنهم أعلنوا ثورتهم على خالقهم؛ لأن مشيئته التى أرادها لمخلوقاته أن يسلكوا طريق الإيمان بالحب، وقرر الشيطان أن القوة هي الطريق الوحيد.

الشيطان الابن امتلك القوة، فقرر أن يستخدمها ضد أبيه، وهذه القوة هي العلوم السحرية السوداء، التي انتزعها الشيطان من عالمه، ومن الأرض فيما بعد، كي لا تصبح تهديدًا لمملكته.

لم يكن وليد متأكدًا من استنتاجاته الأخيرة، ولكنها مهدت له طريق الفهم. وكلما انغمس في الأمر صار تقبله أيسر.

ولم يترك وليد العنان لأفكاره، وعاد ليندمج بذاكرة كريم، الذي منح للشيطانة كنز معرفي هائل من السحر المندثر.

والآن ها هو بقلب المقبرة.

أعد كل ما يتطلبه الأمر بدقة وصبر.

أنهى كل التعليمات.

ثم ردد الكلمات المشئومة، وسط الجثث التي غصت بها المقبرة، والتي دلت على أن المقبرة لم تعد تقتصر على أسرة الباشا فقط، بل صارت تضم رفات العديدين من أسرته وأقاربه من بعده:

- مهراق.. سمسائيل.. بوطار.. أنجور.. افتحوا الباب.. باسم المعظم..

الصمت..

رددها مرة أخرى، كما سمع المارده تقصها على أسماعه:

- مهراق.. سمسائيل.. بوطار.. أنجور.. افتحوا الباب.. باسم المعظم..

الصمت ودقات قلبه والطرقات.

في البدء كانصوت الطرقات العنيفة، الذي يشبه دوي طبول الحرب.

ثم تبعها هزيم الرعد، وأنين الأطفال.

رددها مرة أخرى.

- مهراق.. سمسائيل.. بوطار.. أنجور.. افتحوا الباب.. باسم المعظم..

فتحول صوت أنين الأطفال، لصراخ قوي..

تساءل في قلق:

هل هم يتألمون حقًا، أم أنهم يصرخون من الخوف فقط؟.

ثم تساءل في هلع:

كيف يكون هناك أطفال أحياء في مثل هذا المكان المخيف، ثم لماذا هزيم الرعد، هل ستمطر بداخل المقبرة؟!.

ثم دوت الفكرة في رأس كريم، إن نصف الأطفال المختفون عن ذويهم والذين لم يعثر عليهم قط، تتخطفهم الشياطين ليستخدموهم في طقوس الأضاحي المدنسة إرضاءً لملوك السحر الأوائل.

لا يعرف من أين جاءت هذه المعلومة لرأسه، لابد وأنه قرأ عنها في مكان ما.

وبرغم ذلك وترته أكثر، وجعلته يفكر.

كم طفل يتم التضحية به الآن من أجل عودة زوجته!!

أطفال في عمر الزهور، أسرى لدى شياطين دمويين سيستعملوهم أضاحي لإنفاذ تعاويذهم الملعونة.

- مهراق.. سمسائيل.. بوطار.. أنجور.. افتحوا الباب.. باسم المعظم..

شعر بوخزة مؤلمة في قدمه اليسرى، فأغمض عينيه وجسده ينتفض في قوة، متوقعًا كونها لدغة عقرب جبلي؛ وهو ما تمناه من قلبه لأن لديه مناعة ضد لدغات العقارب، بعد أن تعرض لسمها عدة مرات، وتلقى المصل المضاد في الوحدة الصحية القريبة من منزله في بلده الأم جنوب الصعيد، وهو شيء روتيني للغاية، فهذه الهوام، تنتشر حيث يحيا بشكل كبير ومعتاد.

وعندما فتح عينيه، كانت الصدمة.

لم تكن هناك عقارب ولا جدران، ولا أي شيء مما كان حوله منذ لحظات.. تلاشى من أمام عينيه المصباح القابل للشحن، وتلك الأجساد فاقدة الحياة التي تراصت بجانب جدران المقبرة، والتي مازال بعضها يصدر رائحة شنيعة، توحي بموته منذ وقت ليس ببعيد.

الكتابات والرسوم الدقيقة، التي استقطعت منه عدة أيام عمل، تلاشت هي الأخرى، ومعها تلك القرابين المزعجة التي ذبحها بنفسه منذ لحظات، والتي لم يكن أغربها فأرة تحمل في أحشائها العديد من الأجنة، وضب، والثعبان المقرن الشهير (بالطريشة)، وجثة الحاج شديد الطيب حارس المقبرة، التي أغرق دمها المكان.

والمخيف أكثر هو تلاشى الدرج الحجري الذي هبط به إلى هذا المكان المفعم بالموت، فلم يعد هناك مخرج حقيقي.

عجز عقله عن التفكير لوهلة، وهو ينصت لتلك التراتيم الوثنية التي كان يرددها منذ دقائق، تتردد في خلفية المكان بصوت يجمد الدماء في العروق.

- مهراق.. سمسائيل.. بوطار.. أنجور.. افتحوا الباب.. باسم المعظم..

المكان من حوله متسع، لا حدود له، كصحراء مترامية الأطراف، رمالها رمادية وسماؤها حمراء لا نجوم فيها أو قمر.

لم يمنحه البراح الممتد راحة، بل وجوده بداخل المقبرة، كان يمنحه بعض الطمأنينة عن هذا المكان البارد المقفر.

يتأمل كل ما يحيط به في رهبة.

هل هذه رمال حقًّا؟.

وهل هذه سماء حقيقية؟.

وما سر هذا اللون الأحمر، أهو لون السحب المتكاثفة أم هو دماء تفتقت عن رحم شيء أكبر،أكثر بشاعة من كل كوابيسه؟

الأمور ملتبسه في عقله، ولكنها أمام عينيه شديدة الوضوح.

لقد عبر البوابة التي تفصل العالمين.

ولكنه لا يعرف لأي مكان عبرها.

الأمر يبدو وكأنه يمضي بطريقة عكسية عن كل ما رتب له وسعى إليه، كان يتوقع أنه في خلال هذا الوقت، سيكون في حضرة شيء عظيم، شيء غامض وقوي، آت من أعماق العالم القديم، يقوده إلى زوجته، ولكن ما يراه أمامه لا يعني إلا الضياع .

كان يشعر بالقوة المفرطة الكامنة في المكان.

قوة مفزعة، تثير كل غرائزه بشكل مروع.

إنه يرغب في القتل..

في التهام الطعام..

في ممارسة الجنس..

في العراك..

إنه يريد أن ينفجر ويفجر كل شيء..

إن مشاعره تصير أكثر همجية وتطرفًا..

لابد وأن بداخله يسكن شيطان حقيقي..

يردد الكلمات التي لا يملك غيرها:

- مهراق.. سمسائيل.. بوطار.. أنجور.. افتحوا الباب.. باسم المعظم..

الطرقات مجددًا..

صراخ الأطفال..

الآن يدرك أنهم يتألمون..

وربما سيتألمون إلى الآبد..

ردد الكلمات، فبدأ الموتى الذين تركهم خلفه ينهضون، ويستيقظون من سباتهم العميق..

وها هي أذرعهم العظمية تخترق التربة الرملية الرمادية، لتعلن عن أبشع مشهد في الوجود..

جيش كامل من الموتى، متآكلو الأطراف والجلود..

مشوهون بشكل عنيف، وكأنهم مصابون بالجذام..

يسعون إليه.

ولتكتمل بشاعة المشهد، تفتقت السماء، وظهرت فيها فجوات حمراء داكنة، أخذت تتدفق منها الدماء لتلوث كل شيء..

كان يريد أن يفقد الوعي..

أن يموت..

فقط ليغادر المكان، عندما سمع الصوت الثخين الجاف:

- لقد تأخرت كثيرًا.. كنت أنتظرك..

تشبث بالصوت، الشيء الوحيد المنطقي في هذا الجحيم من الموتى والدماء والأشلاء..

ألم أخبركم!

فجوات جديدة في السماء فُتحت، وبدأت تتدفق منها الأشلاء..

المكان كله أصبح جنونيًا، حتى إن إغماض عينيه لم يحجب عنه قبح وبشاعة المشهد الدائر أمامه، فقال بصوت هلع:

- أريد أن أغادر.. أنا أتيت هنا بالخطأ.

دوى الصوت الثخين الجاف، كصدى لآلاف الأجراس الجنائزية، وقال:

- لا أحد يأتي إلى هنا بالخطأ، عليك أن تقدم التضحية.. عليك أن تفتح البوابة.

ردد تعويذة الوصال بصوت مكتوم، فهي من التعاويذ السرية، التي قولها بصوت مرتفع يفسدها، وقرنها باسم زوجته أمل.

ومن قلب العدم تجسد خنجر عظمي عجيب، لا يعرف بالضبط متى رآه وقبض عليه.

وعندها دوى صوت المَاردة في المكان، وهي تردد تعويذة تنتمي لسحر الإكراه، ثم وجهت حديثها إلى كريم متسائلة:

- «أما زال ولاؤك لي؟!».

نظر كريم للخنجر في هلع، وقال بصوت مضطرب:

- «بالتأكيد».

وهنا أشارت لنقطة تزداد توهجًا في قلب الظلام وقالت:

- إذًا لتقتل رغبتك فيها».

لم يستوعب حديثها المباشر، ولكنه ودون أن يشعر بنفسه، وجد قبضته تشتد على الخنجر العظمي، قبل أن يرفعه ويغمده في قلب زوجته التي ظهرت أمامه من قلب النقطة المضيئة.

لتسيل دماؤها على أرضية المكان ليرتج بقوة، ويبدأ في التهاوي، ليظهر أمام عينيه الذاهلتين اللتين سكنهما الذهول والجنون، فضاء أسود رهيب يمتد إلى مالانهاية، وعلى بعد عدة أمتار منه شاهد أبشع مخلوق يمكن أن يراه في حياته.

كائن لزج كأخطبوط عملاق أسود بلا أذرع، له عينان مشتعلتان مختلفتان في الشكل، إحداها مشقوقة والأخرى مطموسة، يرصع هيكله الخارجي، قطع عجيبة من الريش والجلد، وكأنه خفاش عملاق تم سحقه ومزجه بسائل هلامي أسود.

لم يمنحه هذا المخلوق وقت ليهلع.

أو ليبكي على زوجته التي قتلها منذ لحظات، والتي تلاشى جسدها وغاص في العدم وكأنها لم تكن.

بل انقض عليه واخترق جسده، واستحوذ عليه.

وقبل أن يفقد عقله كل ذكرياته إلى الأبد..

أدرك أن هذا الكائن العجيب..

هو شيطان مريد..

كان ينتظر محاولة دخول محرم إلى كوكب الأرض، ليسترد هيئته التي بعثرها الانتقال قبل عدة آلاف من السنين..

وتسبب في سجنه في العدم..

ذلك المكان ذو الخصائص الفيزيائية الغير مسبوقة، والذي يوجد بين الأبعاد.

ذلك المكان الذي لا يعرف بوجوده إلا من انتهى إليه ولم يعد..

لم يفهم أي شيء..

ولم يسعَ للفهم..

فقط كان يرغب في الموت، لتنتهي كل هذه المعاناة..

ولم يتأخر الموت كثيرًا..

فقد غادرت روحه جسده سريعًا، وحلت محلها روح الشيطان الابن، وبدأ الجزء البشري الذي فقده منذ مئات القرون يستعيد، قوته، ووعيه وشعوره بالحياة.

كان يدرك أنه بعودته سيستعيد الكثير مما اكتسبه في البعد الخارق الذي كان محتجزًا بداخله.

لقد عاد أقوى.. وأكثر غضبًا وحقدًا..

وبكل ما بداخله من قوة، عبر البوابة بطريقة عكسية، وقبل أن يغادر قال بصوت واهن:

- سأعود من أجلكم..

وقبل أن يفصح العدم عمن يحدثهم، أغلقت الثغرة من خلفه، وتجسد هو في جسد كريم، بداخل المقبرة، وبكل جوع السنوات الماضية، انقض على أول جثة قابلته ليلتهما..

❁ ❁ ❁

(4)

تمنى وليد في هذه اللحظة البشعة، لو كان يمتلك جسدًا حقيقيًا، كي يقيء روحه ذاتها، بعد هذا المشهد البشع الذي شاهد فيه الشيطان الابن يلتهم الجثث الموجود في المقبرة تباعًا.

إنه لم يكن يطفيء جوعه فقط، أو يستعيد كيانه البشري بتلك الطريقة البشعة، بل كان مستمتعًا لأقصى درجة، إنه يتلذذ باللحم البشري، مهما كانت حالته، إنه يلتهمه عن شهوة، إن إبليس اللعين لم ينجب شيطان مشوه فقط، ولكن مسخ آكل للحوم البشر أيضًا.

حاول وليد أن يغادر هذه الذكرى المفجعة، ولكنه أجبر على متابعتها، وبرغم أن مشاهد الرعب المماثلة التي كان يراها كمحتوى رقمي على شبكة البث العالمية التفاعلية، أو يعايشها عبر المحاكي، كانت تثير سخريته، ولكنه هذه المرة كان يمر بتجربة شنيعة لا يمكن وصفها.:

كان يشعر بطعم العفن والديدان والجلود المتيبسه في حلقه، عندما كان هذا الشيطان يلتهم الجثث اليابسة الجافة، وعلق في فمه طعم الدم الصديء من جثة حارس المقبرة شديد الطيب، وملمس أشلائه ونخاع عظامه الذي كان يتسرب إلى كيان الشيطان الابن..

هذا غير المذاق المقرف للضب الصحراوي، والثعبان السام، والفأرة الحبلى الذين قدمهم كريم كقربان للمماردة و ...

تجارب رهيبة ومقززة خاضها لنهايتها، حتى فرغت المقبرة من محتوياتها، وانهارت روحه، ليسمح له أخيرًا ذلك الشيطان القابع في عقله بمغادرة تلك الذكرى البشعة.

وبعد أن هدأت روحه، وغادره القرف والاشمئزاز، بدأ يربط خيوط القصة كلها، في محاولة ليفهم سر هذه الرحلة الرهيبة المجبر على خوضها.

فالمعلومات التي تجمعت عنده حتى هذه اللحظة أن ابن الشيطان لسبب ما استخدم العلوم السحرية القديمة في الوقوف أمام أبيه. مما جعل إبليس يجمع هذه العلوم أو معظمها ويحظر تداولها، ليندثر السحر من الأرض، وبعدها تم نفيه خارجها.

وبعد مرور قرون لا حصر لها عاد الشيطان الابن إلى الأرض، بمساعدة تلك الماردة العجوز، التي استخدمت سحرها في إغواء كريم، وخدعته إلى درجة أنه ضحى بزوجته وعشق حياته، لتنفتح تلك الثغرة الخلفية التي كانت تقود إلى عالم الشياطين، واستخدمتها هي للوصول إلى عالم العدم، حيث تم سجنه هو ومجهولين آخرين لا يعلم عنهم أي شيء، وبعودته سيكتسب قوى معينة ستعينه على مواجهة إبليس مرة أخرى.

علاقة ابن الشيطان بمازن شهاب ليست واضحة له حتى هذه اللحظة، ووجوده في رأس وليد لا تفسير له..

وهذا سيحيله إلى الشيء الوحيد الذي أصبح يكره معايشته..

وهو ذاكرة الشيطان الابن..

الأبواب مشرعة أمامه كأبواب معتقل..

يتفاعل عقليًا بتوجس مع إحدها..

تخرج الدوامة الضوئية السوداء لتحتويه..

ويظلم كل شيء..

قبل أن تعود له الرؤية مجددًا، ليجد أن الدوامة ألقت به في آخر مكان يتوقعأن يتواجد فيه..

الفضاء اللا متناهي..

حيث مادة الكون المظلمة والنجوم..

وفي لحظة واحدة، لم يعد هو وليد المضطرب المتوتر، بل صار جزءًا من هذا الكون الفسيح. وتلك اللوحة الربانية شديدة العظمة، ينطلق كنيزك مندفع منذ بدأ الخليقة، لا يعرف متى تنتهي طاقته ولا متى يتوقف.

لم يحاول أن يقاوم ما يحدث، فشعور التحرر كان أكبر من رغبته في المعرفة.

ولم يستمر الأمر طويلًا، فقد شاهد على البعد شهاب ناري منطلق يخترق الفضاء بسرعة رهيبة، تابعه لفترة من الزمن بعقل متوتر متوجس، ومشهد نيرانه العظمى يزعزع ثقته بنفسه، ويستفز ذكرياته الأليمة التي كاد ينجرف معها، قبل أن يسحبه منها دخول شهاب أخر مختلف إلى مرمى بصره، ظهر لعينيه، وكأنه قطعة من الفحم المندفع ذات ذيل دخاني عظيم.

لا يعرف ما الذي دفع عقله لمتابعة تلك الكتلة الدخانية المنطلقة بسرعة مروعة، ولا ما الذي جذبه إليها وأثار فضوله، لينطلق وعيه قاطعًا مسافة شاسعة في الفضاء، وخلال لحظة واحدة كان هناك بالقرب منها..

نظر عبر الدخان ..

لمح النيران الرابضة في أعماقها..

فكتم صرخة عقلية عاتية كادت تفلت منه، وهو يضغط على عقله كي لا ينجرف إلى أعماق ذكرياته المخيفة التي تزكيها رؤية النيران، وهو يخترق تلك الحواجز السحرية المطلسمة التي صنعت سياجًا ضبابًا محكمًا، حول ذلك الكائن المقيد بشع الخلقة، ذو العين المطموسة، والذي ظهرت على وجهه آثار معاناة لا يمكن وصفها .

أدرك وليد من أول وهلة أنه يشاهد الشيطان الابن الآن، في أحد أكثر المواقف مأساوية التي يمر بها في حياته.

كان ضعيفًا..

ذليلًا..

مقيدًا..

لا يملك من أمره شيء..

وكان يندفع عبر الفضاء مبتعدًا عن كوكب الأرض، بل مبتعدًا عن المجموعة الشمسية نفسها ..

لقد تم نفيه من الأرض ..

ولكن لماذا ؟!

يقترب وليد من الكتلة الدخانية المندفعة، يحاول أن يخترق ذاكرة الشيطان المقيد، وفي لحظة واحدة وجد نفسه هناك.. بداخل عقله الشيطاني.

أي جحيم يمر به هذا الشيطان الابن !!.

الموت أهون بالتأكيد مما يكابده منذ بدأت رحلته، ومن معاناته الروحية والجسدية..

الآن وعيه يمتزج مع وعي الشيطان الابن..

الآن صار هو..

الآن يعيش معاناته.

يرى بعيناه.

يتألم كما يتألم..

يشعر بالذل والهوان..

لا يرغب إلا بالموت..

تلاشت كل ذكريات وليد عن نفسه، وتماهى تمامًا مع تقمصه لدور الشيطان الابن، وبدأ يتعايش مع الموقف..

إنه يفكر ويشعر كأنه هو ابن الشيطان ذاته، وكانت أول صدمة عصفت به، هي طول رحلة العبور بين الأبعاد فلم تكن شيئًا هينًا أبدًا، حتى لو كان من يقوم بها، نصف شيطان..

إنها حقيقة أخرى تتكشف له..

فلم يكن هذا الشيطان الذي يسكن عقله شيطانًا أصيلًا..

وهي حقيقة صادمة لم يعرف كيف يستفيد منها، ولكنه احتفظ بها مع المعلومات التي جمعها من قبل.

ولابد أن هذا الشيطان الهجين يكرهه، ليجعله يكابد ذلك الألم النفسي القاتل الذي كابده في رحلته..

لقد عانى هذا الشيطان بشكل بشع، حتى أن وليد يتعجب من أنه لم يقضي نحبه مع هذا القدر الكبير من الألم والعذاب.

فطول فترة الانتقال، هشمت روحه وأنهكت خلاياه، وحطمته ملايين المرات، وجعلته يتمنى الموت لمرات لا يستطيع حصرها، خاصة وأنه تم في وقت طويل جدًّا.

فهذا العبور المشئوم كلفه قرن ونصف من عمره، بسبب بنيته الهجينة نصف الآدمية، كي يصل إلى ذلك العالم الغامض الذي تم نفيه إليه بأمر من أبيه اللعين، إبليس.

والذي حكم عليه بالنفي، ثم نسي أمره تمامًا، وكأنه كم مهمل أو لاشيء..

هو من البداية يعتبره لاشيء..

مجرد نزوة مع بشرية عذراء راقت له في زياراته التي لم تنقطع لكوكب الأرض، تصادف أنها أنجبت له كائن ممسوخ ظل على قيد الحياة، على عكس ما كان يحدث في معظم نزواته السابقة، بأن تموت الأم وجنينها عند الولادة،وتطوى في غياهب النسيان.

مسخ لن يفخر الشيطان الأكبر يومًا بإنجابه.

مسخ يلفظه عالم الشياطين، ولا يقبل به عالم البشر..

إنه المنبوذ..

هكذا فقط..لا اسم له، ولا هوية، ولا كينونة..

أمه التي أنجبته لم تكن أقل قسوة عليه من أبيه، فتخلصت من جنينها المشوه الشؤم، بإلقائه في كهف جبلي مهجور ليقضي جوعًا وعطشًا، فتربى على يد كلبة برية، ورضع من لبنها.

كانت الكلبة أقل قسوة عليه من مخلوقات العالمين.

وعندما شب عن الطوق أصبح مدركًا لحقيقته وقدراته التي لا مثيل لها، والتي جعلت لديه القدرة على العبور بين العالمين من ثغرات معينة دون الحاجة لإذن مرور، أو تعويذة عبور خاصة. برغم المعاناة التي سيتكبدها في كل مرة يعبر فيها إلى عالم الشياطين، ولكنها كانت تستحق، وهي ميزة عظيمة، لم يملكها غيره.

وبحماس غاضب لا مثيل له، وعن طريق رابطة الدم، توصل لمن ألقت به حيا في الكهف المهجور، توصل لأمه البشرية.

ظهر لها بهيئته الشيطانية المشوهة ليثير هلعها..

عرفته من الوهلة الأولى، وتوقعت مصيرها المظلم..

لا أحد يتوه عمن أنجبه من رحمه..

ذكرها بخطيئتها رغم أنها تعلمها.

وانتقم منها انتقامًا بشعًا، بأن أحرق أبناءها البشريين أمامها، مستمتعًا بكل لحظة أطال فيها عذابهم، ليراها تموت على قيد الحياة ألف مرة.

وبعد أن أجهز تمامًا على أبنائها الخمسة، مزق أطرافها، وأحرق أعضاءها التناسلية، وأخرج رحمها وهي على قيد الحياة والتهمه، وكأنه يعاقب المكان المدنس الذي حمله وأتى به إلى هذه الدنيا.

وأمام عينيها الفزعتين التهم أطرافها وأعضائها الحيوية، جزءًا جزءًا وهي حية، ولم يشفع لها تضرعها أو صرخاتها، حتى فارقت الحياة.

وهذه المرة لم يشعر بلذة اللحم البشري، فقد كان في فمه كالعلقم..

ثم كانت الخطوة الأكبر والأكثر خطورة، وهي اختراق الحد الفاصل بين العالمين، والوصول لأبيه الشيطاني في مملكته ووسط جنوده.

كان الأمر فادح الصعوبة والألم والخطورة، ولكنه في النهاية نجح في النفاذ إلى بُعد الشياطين بعد عبور خاص كاد يكلفه حياته. فالسحر الذي يحمي مملكة الشيطان تفاعل مع نصفه البشري بقسوة، قبل أن يتغلب نصفه الشيطاني على وهنه البشري، ويتحقق مراده بالعبور.

وعندما التقى بأبيه إبليس بعد محاولات شاقة، كان يظن أن لديه القدرة على مواجهته ولومه وربما عقابه، ولكنه أدرك من أول لحظة كم هو قزم وضعيف أمامه، فحاول التقرب منه وإثارة عطفه وشفقته عليه، ولكن رد فعل إبليس كان صادمًا، وجعله يلوم نفسه لأنه قرر نسيان انتقامه والانضمام تحت لواء أبيه بعد أن أدرك مدى قوته ومكانته.

وأشعل حقده أكثر سخرية أبيه من هيئته، وطموحه، ورغبته في أن يعامل كشيطان حقيقي أمام أتباعه، فقرر أن يستعمل الحيلة ليصل إلى غايته المشئومة ويحقق انتقامه.

ولأن العالم السفلي لكل مملكة يخفي أعظم أسرارها، وأخطر متمرديها، ومارقيها، ومجرميها.

فخلال قرن كامل، ومع إصراره ودأبه، وتجاهل الشيطان الأكبر

لوجوده أو أهميته، قام تحت إشراف غول مارق يدعى كسير، يدير تلك العوالم السرية بقبضة من حديد، بسلسلة من عمليات العبور السرية بين العالمين، لنقل مواد أو علوم محظورة تستخدم في ممارسات السحر الشيطاني، الممنوع تداوله إلا بين الخاصة من سحرة إبليس، باستخدام قدراته على العبور في كلا الاتجاهين.

ومع الوقت وذكائه الفطري الحاد، أخذت علاقاته وصلاته تتوسع، وتتشعب وتصنع له مكانة ونفوذًا لم يحلم بهما.

ومع نجاح عملياته التي كانت نسبة الخطأ فيها صفر، أصبح من مشاهير مجرمي العالم السفلي، وأكثرهم طلبًا، بل أصبح الذراع اليمنى للغول كسير.

وبوساطة قوية من الغول، الذي شفع له لدى ماردة عجوز تدعى (آجر)، كانت ذات مكانة وحظوة لدى الشيطان الأكبر. تحقق جزء عظيم من طموحه، فقبله أبوه في مملكته، وأسبغ عليه حمايته، فردت إليه جزء من مكانته الضائعة، وأصبح مدين لآجر، وكسير، بدين كبير.

تمتهن آجر تعليم فنون السحر الشيطاني الأسود الذي لا يعود معظمه لأصول أرضية، لأبناء الشيطان المقربين منه، والذين اصطفاهم من بين ذريته اللانهائية ليصيروا سحرته وهيئة حكمه، تحت إشراف معلمها الحكيم يوناس.

وقد حاز الشيطان الابن على إعجابها ودعمها بذكائه الجهنمي ولسانه المعسول، وبمساعدتها في القضاء على أحد أعدائها غيلة، وهو أحد سحرة العالم السفلي الخبثاء، باستخدام دمائه القاتلة للجنسين،

والتي لا تترك خلفها أثر يمكن تتبعه، ليمتهن من حينها مهنة جديدة هي القتل، قتل الشياطين.

وكمكافأة إضافية من آجر، بعد وساطتها الناجحة له لدى إبليس، أضافت إلى سلسلة علاقاته ومعارفه إضافة قوية، بأن صنعت بينه، وبين أحد أشقائه من الشياطين الأصليين ذوي النفوذ والسلطة، تقارب خاص، والذي كان واحدًا من أعظم أمراء مملكة الشيطان، ويحمل لقب شهير جدًّا في عالم الظلام، وهو:

(المدون).

والمدون شيطان أصلي نقي الدماء، هائل القوة، حكيم، كثيف العلم، حاد الذكاء أنجبه الشيطان الأكبر، من شيطانة خبيثة مثله، تكاد تكون المفضلة لديه، وهو أكبر أبنائه، ومستشاره المقرب.

وهو المسئول عن الديوان الشيطاني، والمفوض بتسجيل مراسيم أبيه الشيطانية، وإرسال أوامره لأمرائه عبر الأبعاد، ويؤرخ تاريخ هذه الممالك، فكان على اطلاع دائم بخطط الشيطان، وأسراره الخفية، وكان له نفوذ غير محدود، وكان هذا مكسب عظيم للشيطان الابن المهجين.

وبناء على شفاعة آجر، وبدعم من أخيه المدون، والحكيم يوناس معلم آجر، الذي حاز على إعجابه به وبعقله شديد الذكاء، وبعد مجهود كبير، كلفه أبوه بأعمال حقيرة في مملكته التي تمتد من السماء إلى الأرض، وكأنه كان يحاول أن يدفنه بداخلها، وإمعانًا في إذلاله لم يمنحه اسمًا، فهو برغم كل شيء يجامل المقربين منه، ولكنه لن يعلن رضاه عنه.

فحمل لقب المنبوذ.

على عكس أخيه المدون الذي نال كل اهتمام الشيطان الأكبر واحترام أعوانه، فتضاعف الحقد بداخله، هو الذي كان لديه المرونة اللازمة ليصفح عن خطيئة أبيه الأولى.

فقرر ألا يؤجل انتقامه أكثر..

وسيكون انتقامًا لا مثيل له، بأن يهدم مملكة أبيه التي تتسع حدودها طوال الوقت، وينشأ هو مملكته الخاصة، على انقاض مملكته الشيطانية، وبداية هدم هذا الصرح المهول، أن يتخلص من أبيه نفسه أو على الأقل أن يسيطر عليه، فهو حتى هذه اللحظة لم يختبر ما يشاع عن خلوده.

ومع إحساس النقص الذي تملك الشيطان الابن، وكرغبة عارمة منه في إثبات ذاته، بدأ يحتل مكانة كبيرة في العالم الذي اختاره من البداية، العالم السفلي لمملكة الشيطان.

وأصبحت آجر هي رفيقته الدائمة برغم فارق السن الكبير بينهما، وبنيته الهجينة التي يراها مجتمع الشياطين مشوهة..

وبذكاء حاد هو مزيج بين جيناته البشرية والشيطانية، أدرك أن آجر قربته من المدون، لهدف بعيد عما كان يعتقد.

فلم تكن تزيد مساحة علاقاته، أو تصنع له حليف مقرب من الشيطان الأكبر، ليحوذ مساحة أكبر من الرضاء لديه، بل كانت تعده لأخطر مهمة في تاريخه، بل في تاريخ مملكة الشيطان، وهي الحصول على كتاب المدون السري، أو المخطوطة السرية كما أطلقت عليها، والتي يكتبها المدون بدون علم أبيه..

تلك المخطوطة التي تحتوي أخطر أسرار العلوم القديمة،

وخطة الشيطان الفوق طبيعية التي كرست لتدمير البشرية، وإفساد الأرض والسيطرة على الأديان والحكومات والشعوب، عن طريق الحروب والثورات.

وخطته الكبرى للسيطرة على مخلوقات الكون عبر غزو الكواكب، وإعداد الجيوش للمواجهة الأخيرة بينه وبين خالقه.

وصلته تلك المعلومة العرضية، بعد أن نال ثقة المدون، وصار أقرب إليه من أي من أخوته، وأخبره هو عن سره المستغلق هذا ..

وعندما صارحها لم تنكر، كانت حادة الذكاء، وألمحت إليه أن المصلحة مشتركة. هي نهمة للعلم والمعرفة وشغوفة بأسرار الشيطان الأكبر وخاصة التي تتعلق باللقاء العظيم بينه وبين خالقه، والذي انتهى بطرده من ملكوت السماء.

وهو سيملك السلاح الذي سيمكنه من السيطرة على أبيه الخالد، عن طريق العلوم السحرية القديمة، وستجعله مثله في مصاف الآلهة، وستفتح له السبيل لتسيد العالمين، عالم البشر والشياطين، وربما العوالم التي وراؤها، والتي كان يجهل عنها كل شيء.

وعندما أدرك الشيطان الابن أنها كانت تعلم هدفه من البداية بذكائها اللامحدود، أو باستخدامها لسحر التلصص، لا فارق الآن، قرر اللعب معها بأوراق مكشوفة، فهذا سيختصر وقت كبير.

ولأن عمل بهذه الخطورة والدقة كان يحتاج لأعوان ونفوذ وموارد، وضعت الماردة العجوز آجر تحت يديه من أعوانها وثرواتها ما شاء. وبنفوذها ذللت له الدخول والخروج من الأماكن المحظورة في مملكة الشيطان، وتم الأمر بالفعل ..

واستطاع الشيطان الابن بمساعدة أعوان آجر الحصول على المخطوطة، بعد قتل شقيقه المدون، لكسر تعويذة الحماية التي وضعها على الخزانة التي تحتوي على المخطوطة.

لم تكن مواجهة هينة أو سهلة، فالمدون برغم علمه وحكمته، كان مقاتلًا شرسًا، ولم ينجُ من بين مهاجميه إلا ابن الشيطان الذي قتله غيلة، بخنجر مطلسم تم تسميمه بدمائه، ليستولي ابن الشيطان على المخطوطة السرية.

وتسبب هذا في اضطراب كبير في مملكة الشيطان، التي ضُرِبَ حولها طوق أمني خارق، منع كل من بداخلها من الدخول والخروج،عن طريق طَلَسَم سحري أحاطه به حراس هذا العالم كل بوابات العبور.

وبدون إضاعة الوقت، قام هو وآجر بالبدء في دراسة المخطوطة، واستعد كل منهما لوضع خطته الخاصة للمرحلة الشائكة القادمة، وكادت أحلامهما تكلل بالنجاح، لولا الخيانة..

ولأن الخيانة متأصلة بين الشياطين، كما هي متأصلة بين البشر، تسرب أمر المخطوطة، ووصل إلى الشيطان الأكبر الذي استشاط غضبًا، وقرر بعد أن أنهى مراسم تأبين ابنه الأكبر، الذي أقسم أن يجعل من انتزع روحه يعيش في عذاب أبدي، وأن يجعل ابنه الهجين الذي تبرأ منه عبرة لمن يعتبر، وفي هذا الوقت المبكر، لم يربط المخطوطة بمقتل ابنه الأكبر المدون.

ولأن جواسيس الشيطان الابن ومعاونيه أصبحوا في كل مكان، وصله الخبر مبكرًا، وقبل أن يتم القبض عليه عن طريق أعوان أبيه من المردة والغيلان، استطاع أن يقوم بعبور أخير شديد الخطورة إلى كوكب أمه.. كوكب الأرض.

وقام باخفاء المخطوطة في مكان سري دون أن يترك لها أي أثر، بعد أن ربطها بسحر مزدوج بينه وبين آجر.

ورغم ما خضع له من جلسات تعذيب تقشعر لها الأبدان، ومحاولات استجواب تمت بوسائل جهنمية شيطانية كافية لكسر أي مخلوق في الكون، لم يعترف أبدًا بسر هذه المخطوطة.

فاعتبرها الشيطان الأكبر مع غروره المطلق، شيئًا خياليًا، فحتى إن وجدت لا يمكنها المساس به.

وإن داعبت هذه الحادثة بداخله بعض المخاوف، وفتحت أمام عينيه إحدى بوابات نقاط الضعف التي عليه تداركها، والتي قد يستغلها أعداؤه فيما بعد ضده أو ضد رعاياه وحلفائه، وما أكثرهم عبر الكون.

هؤلاء اللذين يعتمد عليهم في خطته الشمولية الكبرى، والتي وهب حياته لتنفيذها، وهي منع البشر ومخلوقات الكون العاقلة، من تنفيذ إرادة الخالق بأن يحكم الخير الكون، حتى يمتلك القوة الكافية كما يظن لمواجهته كما بلغ طموحه، وخسته.

حكم عليه أبوه إبليس بالموت، برغم عدم وجود دليل واحد بدينه، غير شهادة الشيطان الخائن الذي وشى به، والذي احترق في ظروف غامضة، ليتبخر دليل إدانته الوحيد.

وإن كنا جميعًا نعرف أن هذه الظروف الغامضة هي آجر، التي كانت ترفض من البداية عودته من الأرض بعد اخفائه للمخطوطة، ولكنه كان يظن أن هناك عدل في مملكة الشيطان، وأنه بذكائه يمكن

أن ينجو من المحاكمة، ويقهر أي شك فيه، وكانت هذه أكبر حماقة ارتكبها في حياته.

ولأنه لم يكن ليقبل بهذا المصير بعد ما وصل إليه من علم وقوة، استعان المنبوذ بما تعلمه من آجر ومعلمها يوناس، من فنون سحرية، لينفذ خطته المشئومة، بعد أن أدرك عن طريق الصلة السحرية بينه وبين آجر،أنها فرت بمساعدة معلمها يوناس إلى الأرض، بعد أن هزم سحر يوناس القوي، سحر الحراس، لتبتلعها الأرض، وتختفي هي الأخرى ، وكأنها لم تكن.

وفي سجنه الرهيب نفذ أخطر تعويذة يمكن أن يقوم بها نصف شيطان غير متخصص في ممارسة الفنون السوداء. فربط حياته بدورة حياة أحد النجوم المجهولة بسحر محرم، ونتجت عن التعويذة موت كل قاطني السجن، بما فيهم الحراس، مما تسبب في إثارة غضب الشيطان الأكبر أكثر، ومحاولته لقتله بنفسه، وعندما عجز، لم يجد أمامه حل إلا أن يقوم بنفيه إلى مكان لا يعود منه أبدًا.

وبالفعل قام الشيطان الأكبر بنفسه، بتهيئة تعويذة الانتقال بعد أن قيده وطلسم قيده، ووصمه بخاتم العار، وأطلقه إلى بعد أخر بعيد، كعقاب أكبر وأشد من القتل.

وها هو وليد الذي صار يرى بعين الشيطان الابن ينتقل إلى ذلك البعد الرهيب، الذي يشبه الجحيم..

ولكنه كان جحيم من الجليد والثلوج والمسوخ.

۞ ۞ ۞

(5)

عصفت الأحداث الجهنمية المتلاحقة بعقل وليد، لدرجة أنه شعر بخلاياه تكاد تحترق من ضغطها وكثافتها، وعدم منطقيتها..

لقد دخل الأمر في إطار الخوارق، وغرق هو في آتون صراعات جهنمية مرعبة لم يتخيل يومًا حدوثها ليتورط فيها.

إنه الآن يخوض رحلة عقلية مذهلة، وينتقل بين العوالم والأزمنة والعقول، وكأنه نصف إله امتلك أسرار الزمن، بعد أن كان مجرد رقم هامشي في مصنع اللحوم المصنعة.

الأمر كان ممتعًا ومخيفًا في نفس الوقت..

إنه يتحرك في زمن عقلي غير محدد، ولا يعرف ما يمكن أن يحدث لجسده في عالم الواقع.

إنه واثق من أن الروبوت الطبي سيرعاه، ولكن هناك قلق غامض ينهش في روحه..

شيء ما يخبره أن الأمور تتخطى كونها مجرد ذكريات..

هناك رائحة شيء عفن تفوح في الأجواء!.

إن هذه اللمسة الشيطانية التي غلفت كل شيء، توتر كيانه وتثير

بأعماقه مخاوف لا قبل له بها.. إنه بحاجة لهدنة، ليستطيع تقييم الموقف، والاستفادة من كل المعلومات التي عصفت بعقله.

واستجاب عقله لرغبته بالهروب المؤقت بصعوبة، بعد أن كاد ينهار تحت وطأة ضغط الذكريات المتلاحقة، وفي النهاية انسحب وعيه بالكامل من دوامة الذكريات الشيطانية، وركن إلى السكون لفترة زمنية لا يعرف مداها.

كيانه كله استسلم لهذا الهدوء المحبب، ولم يعكر صفوه إلا شعوره بوجود هذا الشيطان الكامن خلف الحجب العقلية، ليراقبه عن كثب.

وبصعوبة شديدة استجمع قواه، وأخذ يعيد تنظيم المعلومات التي كشفت عنها ذاكرة ذلك الشيطاني، والعجيب أنه كان يشعر بمتعة غريبة، وكأنه يستكشف عالم بكر لم يتوقع وجوده رغم سعة خياله، أو يطأ أرضًا لم يطأها قبله إنسان في هذه الحياة..

كان لديه شغف متعاظم بالخوض في هذا العالم، حتى إنه قرر بينه وبين نفسه أنه لو نجا من هذه التجربة الرهيبة، سيستخدم ما تبقى من ثروته لتتبع أثر تلك المخطوطة الجهنمية، لعله يحظى بتلك الأسرار التي لا يعلمها إلا ابن الشيطان الهالك، فيمتلك بها دفة حياته..

هل هلك الشيطان الابن فعلًا ؟!

عليه الآن ألا يتعجل بفرض استنتاجاته الخاصة، فلم يعرف عن يقين بعد، كيف انتهت رحلة الشيطان الابن، الذي تم نفيه إلى ذلك البعد الرهيب، والذي ترتبط حياته بدورة حياة نجم مجهول، وهو شيء لا يفهمه. وإن كان من تجاربه السابقة مع المحاكي يدرك أن انتقال الذكريات لا يتم إلا بعد الموت.

تأمل الأبواب المتراصة أمام عينيه إلى ما لا نهاية، وهو يفكر في حجم ذاكرة ذلك الشيطان الابن، فلو أن كل باب يخفي خلفه ذكريات عام واحد، فهو أمام أكبر كنز معرفي في الوجود..

تأمل أحد الأبواب، وتعامل عقله معها، ثم ابتسم..

كان هذا هو الباب الوحيد الذي يقود إلى ذاكرة السفاح مازن شهاب، إن لديه شغف هائل لمعايشة هذه الذكريات الدموية، ولكن ليس الآن.. لكل شيء وقته.. فطالما ظل في هذا السجن العقلي، فإنه سيتتبع رحلة الشيطان الابن الحقيقية، التي بدأت لتوها، والتي ستكون حياة مازن شهاب دون شك جزءًا منها.

اشتعل حماسه فقرر ألا ينتظر أكثر، تحول فضوله لإعصار، فتفاعل عقله مع باب آخر، ثم بدأ محاكاة جديدة بدون محاكي، أو جدران حماية نارية أو أكواد أمنية مشفرة، وتجسد وعيه في أحد أكثر الأماكن وحشية في الكون..

الكوكب دائم الضياء..

كوكب جبابرة السينج، وطغاة اليورك.

المعلومات تتدفق إلى عقله، ويتابع هو بشغف محموم.

الكوكب يتجسد أمام ناظريه، كعملاق يفوق حجم الأرض خمس مرات على الأقل، وله شمسان متباينتا الأطياف تتعاقبان عليه.

فنهاره أبدي، ولا ليل له، ولمخلوقاته جفن إضافي ليقلل تأثير الضوء المستمر على العيون، والذي يساعدهم على سرقة بعض أوقات الراحة.

أقماره الثلاثة كانت مأهولة في فترة ما قبل أن تصير خرابًا، بعد أن فنيت بكارثة كونية رهيبة.

إنه يرى بعينيه أطلال عظيمة سكنها الصمت والموت.

وبرغم وجود شمسين تتعاقبان عليه، إلا أن ترتيبه كالكوكب الثالث عشر في قربه منهما، حتمًا أن يغطي الجليد سطحه أغلب العام.

ووسط هذا الجليد الممتد إلى مدى البصر، وكنقطة سوداء متحركة، ظهر أمام عينيه، مخلوق غامض أثارت هيئته دهشة وليد.

فقد كان عملاقًا، له بنية قوية، يتجاوز طوله الخمسة أمتار، مع رأس صلعاء ذات عروق دموية زرقاء، يتوسطها عينان حمراوان ضيقتان كثقبين دمويين، وبشرة شديدة السواد مغطاة بطبقة سميكة من الوبر، مع أنياب حادة، وقدمين ذوي حوافر قوية.

بدت له هيئة هذا المخلوق متطرفة ومزعجة لأقصى حد.

مزج عجيب بين هيئة البشر والحيوانات.

وكان هذ العملاق يتحرك بسرعة وإصرار وسط الجليد الكثيف، وعقله يغلي من الأفكار التي تصطرع بداخله، تلك الأفكار التي كان يقرأها وليد بسهولة.

إنه مخلوق واعٍ، وله عقل مفكر برغم بشاعة هيئته.

ومع تعمقه بداخل عقله الذي يتمتع بذكاء واضح أدرك أن هذا العملاق الذي يحمل ملامح شبه حيوانية، هو أحد أعظم القادة الحربيين الذين ساروا ذات يوم على أرض هذا الكوكب البارد، ويدين له بالولاء معظم عشائر هذا الكوكب الجهنمي.

وأدرك أيضًا، أن هذا العملاق يتحرك وحيدا في هذا المكان القفر البعيد عن العمران، وهو شيء عجيب لمن هو في مثل مكانته وسلطته ونفوذه، ولكن وقت التفسير لم يحن بعد، إنه مازال في طور جمع المعلومات الأولية عنه..

إن اسمه هو (كوتار)، ومعناه في لغته العجيبة، وريث النار.

كوتار يحكم اتحاد العشائر، والذي يطلق عليهم السينج.

كوتار يخفي أسرارًا رهيبة..

كوتار ليس كما يبدو أبدًا..

سيل المعلومات يتدفق إلى عقل وليد، كمهر بلا لجام، ولأنه لم يرد أن يفقد شيء من الأحداث مع تدفقها العشوائي، أغلق عقله أمامها، وبدأ يلاحقها هو بطريقة هادئة، ليتمكن من فهم كافة الأمور. تجاربه السابقة مع المحاكي ألهمته الكثير، عند معالجته لهذه النقطة.

تابع وليد العملاق كوتار وهو يحاول جاهدًا تحديد طريقه، وسط هذا المكان النائي الذي غطته الثلوج بكثافة، فتشابهت معالمه، ليصبح الضياع فيه شيء مؤكد، ولم يكن هذا ما يشغل فكر كوتار في هذه اللحظة، إنه مهما ضل الطريق، سيقوده إلهه إلى السبيل الصحيح، بل كان ما يشغله هو إحدى ذكرياته القريبة، والتي لم يمضي عليها أكثر من أسبوع.

دار الحوار في تلك الذكرى بلغة عجيبة مرهقة، وبرغم ذلك فهمها وليد دون مجهود، وكأن قراءته للعقل مباشرة أزاحت حاجز اللغة، وفي أروقة عقله دوى الصوت الأنثوي المضطرب:

- «أخبرني يا كوتار، من هو المجنون الذي يجازف بقطع القفار، وهذه الصحراء الجليدية الموحشة، ليلقي بنفسه بعدها في غياهب الموت، من أجل رؤى غامضة مشئومة ؟!».

قالتها تورا زوجة كوتار، التي كانت تشبهه كثيرًا، ماعدا أن رأسها كان يغطيه وبر ليفي مجعد، ولديها نتوءان بارزان على كل جانب من جوانب صدرها، تستخدمهم نساء جنسها في إرضاع الأطفال، وكان اسمها يعني في لغتهم المعقدة (ذات البهاء)، وهي بمقاييس عشيرتها شديدة الجمال والفتنة..

بدت تورا مكفهرة الوجه، وقد لطخت وجهها بأصباغ الحداد، وكأنما أيقنت من نهاية زوجها التي لم تحدث بعد. كرسالة فجة منها إليه؛ تمنت بها لو جعلته يرتد عن عناده ويعود إلى صوابه، ويتخلى عن تمسكه بالقيام بهذه الرحلة المحفوفة بأسوأ أنواع المخاطر. والتي يعرف كل طفل في العشيرة نهايتها دون جهد، وهي نهاية مشئومة دون شك.

رد عليها زوجها (كوتار) وهو يتأكد من وضع خنجره المطلسم الذي منحه له معلمه، وساحر القبيلة السابق، والمصنوع من نصل صخري حاد في نطاقه الجلدي قائلًا:

- «المجنون الذي اختاره قلبك من بين كل شباب العشائر، المجنون الذي لم يحنث بوعد قطعه قط، والذي لن يتجاهل نداء الأجداد، مهما كان الثمن، والذي لن يترك اتحاد العشائر في مهب الريح، لينهار بعد كل ما تكبده الجميع من جهد وعرق ودماء، المجنون هو رجلك وريث النار، الذي يهابه الموت ولا يهابه هو. الذي تجري في عروقه دماء الأجداد، وشجاعتهم».

ظهر الجزع الممتزج بالحيرة على وجه تورا بعد رده المتوقع الصادم، الذي يخبرها بكل عناد أنه لن يعدل عن تفكيره. وخفق قلبها بقوة شديدة وبأعماقها اشتعلت معركة كبرى حيث تصادم حبها لزوجها بل عشقها له مع معتقداتها وإيمانها الراسخ بالأجداد، وخوفها من الخطر القادم الذي لم يعد يخفى على أحد، وبرغم ذلك حاولت محاولة أخيرة يائسة، تحمل نتيجة ذلك الصراع البائس الدائر في أعماقها، فقالت في اضطراب:

- « وما أدراك أنه نداء الأجداد، وليس نداء قوى الظلام التي تزعجها قوتك، وما وصلت إليه من مكانة، وأنك أصبحت تهدد أهم مناطق نفوذهم، وتعد العدة للإطاحة باليورك أهم حلفائهم، وترغب هي في سلبك حياتك، وحرمان زوجتك من رجلها الوحيد، أم أنك كعادتك تتخذ من الشائعات ذريعة لتحقق حلمك القديم، بزيارة الضريح المحرم، ألا يساوي قلقي هذا عندك أي شيء ؟! ».

أجابها بطريقته الصارمة القاطعة:

- « أنت تعلمين جيدًا، أن قوى الظلام لا تتمثل في هيئة الأجداد، وتوقنين بأعماقك أن الشائعات حقيقية، وأن اتحاد العشائر في خطر جم، وأن المعركة حتمية، والعدو أقوى من كل تخيلاتنا، لذا فالجميع بحاجة لسلاح قوي ، ورمز يلتفون حوله،و..».

صمت قليلًا وكأنما يسوءه ما سينطقه، وقال بصوت يحمل كل قلق الدنيا، وهو يحتويها بعينيه:

- « لقد عاد الشر بالفعل، ولم يعد الأمر مجرد أحاديث عابرة، يتهم محدثها بالجنون والعته، لقد بُعث القدماء، وأطاحوا بكامل

قرى (الهور)، وإحدى مدنهم الرئيسة، وفي سبيلهم إلى عاصمتهم، إن الناجين من قبضتهم الغاشمة، يقصون حكايات يشيب له الولدان في أرحام أمهاتهم، لقد عادوا بكامل وحشيتهم ودمويتهم، وبيننا وبينهم ثأر.. و...».

انقطع التدفق العقلي للذكرى، عندما أطلق (كوتار) صرخة عنيفة، فتحفز عقل وليد لمتابعة المستجدات..

كان قد تعثر في حافة صخرة حادة يخفيها الجليد الهش الذي بدأ يتكاثف منذ عدة ساعات ليطمس أمامه كل ملامح الطريق، منذرًا بهبوب عاصفة ثلجية قد تكون نهاية مبكرة لرحلته شديدة الخطورة، مما قطع حبل أفكاره، وحديث زوجته التي تركها خلفه منذ سبع ليال، لينطلق بكامل حماسه نحو الموت، ونحو مجهول يختبر إيمانه ومعتقداته بشكل فج.

أخذ وليد يتابعه في ريبة، وهو يفكر في حديثه الغامض مع زوجته، والأسئلة تتراكم، وترتفع منها كتل عملاقة في صحراء عقله!

فمن هم هؤلاء القدماء الوحشيين، ومن هم الهور، وما هو الضريح المحرم الذي يسعى إليه كوتار، وأين ابن الشيطان من تلك الأحداث؟!

وبرغم حيرته قرر أن يمزج وعيه بوعي كوتار، كي يعيش الأحداث كصاحبها، وعندما تم الأمر، كان أوان التراجع قد فات، فما شعر به عصف بعقله كزلزال.

إن كوتار أحد أشد أسرار هذا الكوكب قتامة ..

إن هيئته أقل إفزاعًا مما يخفيه بأعماقه ..

كوتار من الداخل أبشع من هيئته الخارجية بكثير..

وفي هذه اللحظة المزلزلة، كان كوتار يمر بحالة من عدم اليقين الذي عمقه طول الرحلة، ووحدته، خاصة وأن حديث زوجته السابق يرسم له خطًّا تشاؤميًا، ومستقبلًا مظلمًا..

فماذا لو كان ما يسعى إليه مجرد وهم، أي خيبة أمل سيعود بها لقومه، بل وأي انتكاسه سيحملها للجميع.. هذا لو عاد من هذه الرحلة المشئومة التي يصاحبه فيها سوء الحظ منذ بدايتها..

لقد فقد طعامه منذ يوم كامل والجوع يقرص أحشاءه، وفقد ما حمله معه من سلاح عدا خنجره المطلسم الذي منحه له ساحر عشريته السابق، وفقد أدلاءه الثلاثة في حادث انهيار جليدي لا مبرر له.

وها هو الآن يسير بلا هدى باتجاه يظن أنه الصحيح، بنسبة لا تمنح أمل.

وهذا يفسر لماذا يقطع هذه الصحراء الجليدية وحيدًا!

كانت إصابة قدمه التي نتجت عن تعثره مؤلمة ولكنها لم تصبه بالعجز، فضمدها، وهو ينظر إلى الأفق الذي بدا له، وكأنه يمتد إلى مالا نهاية، محدجًا الجليد بنظرة تحمل ألف معنى.

كان يكره الجليد، الذي ابتلع أدلاءه الثلاثة وطعامه..

كان يكره الجليد الذي يحمل له الآن وعدًا مؤكدًا بالموت والهلاك..

كان يكره الجليد، ولكنه لم يكن يخشاه.

كما أنه يدرك من أعماقه أنه قادر على قهره، والعودة لزوجته

وعشيرته مكللًا بالنصر والغار، وبأخطر أسلحة الشر المدفونة في أعماق الضريح المحرم، كما ورد في نصوص الأجداد السرية..

النصوص السرية التي يدعي البعض أنها لا تخص الأجداد، ولكنها تخص أعداءهم..

ساحر القبيلة السابق أخبره ألا يجهد نفسه في البحث عن مصدرها، عليه فقط أن يهتم بمحتواها..

ولم يتوقف كوتار لحظة واحدة في البحث عن أصل النصوص السرية، فقد كان له هدف أعمق وأخطر من إرضاء فضوله.

وبرغم ما بذله من جهد، ظل على جهله بأصل النصوص فلم يعلم كيف وصلت لسحرة العشيرة الذين يتوارثونها جيلًا بعد جيل. ولم تمده المعلومات المحدودة التي تناقلت في حذر عبر الأجيال على ألسنة العجائز عن التوقيت الذي دون فيه الأجداد هذه النصوص.

الأجداد الذين صاروا هم الأجداد بموتهم.

إن الأمر يشوبه الغموض وليس له إلا تفسير واحد!.

أن هناك قوة ما تؤازرهم من العالم الخفي، وتجعلهم هم الأجداد.

فلا أحد يحصل على هذا الكنز المعرفي لمجرد أنه مات !.

الصدمة التالية عصفت بوليد، وكادت تفتك بتوازنه العقلي، عندما ومضت في عقل كوتار صورة مشوشة لأحد أكثر المخلوقات بشاعة ووحشية، التي رآها في حياته، والتي صنفها عقل كوتار بأنه إله الظلام..

كائن شديد البشاعة بطريقة لا يمكن وصفها.

كان كوتار يؤمن أن الأجداد على صلة بإله الظلام، كما أن لديه يقين أن الضريح المحرم يخضع لنفوذه.

وعند هذه النقطة، انفصل وعيه عن وعي كوتار، بعد أن أصابه الهلع بصدمة شديدة، ولكنه لم يسمح للخوف بأن يستولي عليه، فجاهد ليعود وعيه ليمتزج بوعي كوتار الذي كان يغص عقله في هذه اللحظة بحسابات معقدة، لمعرفة المسافة الواجب عليه قطعها ليصل لوجهته، وهو يتأمل ندف الثلوج دقيقة الحجم التي بدأت في التساقط.

إن ما تبقى من مسافة طبقًا لحساباته الأخيرة هي عدة فراسخ يستطيع قطعها عدوًا قبل أن تشتد العاصفة، وبعدها سيستخدم مهاراته المتنوعة في عبور وادي العظام، ليصل إلى الضريح المحرم، ليحصل على السلاح الوحيد القادر على هزيمة القدماء..

ما هذا السلاح؟!

بالطبع لا يدري، ولكنه يتمنى أن يكون بالقوة التي ذكرها الأجداد أو أعداؤهم في نصوصهم السرية، فالقصص التي خلفها القدماء ورائهم تثير الروع والهلع..

والمصيبة ألا يكون هناك سلاح بالفعل!.

هو قادر على حماية نفسه بقواه الاستثنائية، كما أنه يحظى برعاية إله الظلام المباشرة، ولكن ماذا عمن يحب ويهتم لأمرهم، ومن ملكوه أمرهم، وساعدوه لجمع شتات العشائر وجعلهم قوة لا يستهان بها؟.

تلك القوة التي هددت مناطق نفوذ اليورك أعدائه الوحشيين، وأجبرتهم على اتخاذ أحمق خطوة في تاريخهم الحديث، بإيقاظ القدماء من ثباتهم مضحين بكل شيء في سبيل القضاء عليه وعلى اتحاد العشائر..

إن اليورك همجيين، ولذلك لن يهمهم مقدار الخسائر طالما محصلتهم النهائية هي النصر..

لقد بدأ اللعنة، وعليه أن ينهيها مهما كان الثمن..

ومن بين الغيوم الكثيفة التي تحملها رياح باردة غاضبة لا ترحم، لمح بريق قوي، فعلم على الفور أنه طائر الكوي المضيء، ذلك الطائر المفترس الذي يقدسه السينج.

كان يبرق في السماء الشاحبة محلقًا عكس اتجاه الرياح الصاخبة، ثم صفت الرؤية أكثر، دون أن يتوقف الثلج عن الانهمار، ليرى الكوي وهو يتوجه في سرب متأخر يقاتل العاصفة نحو الشمال.

وبواسطته استطاع تحديد طريقه، الذي لم يحد عنه كثيرًا، وهو يتساءل بينه وبين نفسه، عن السبب الذي جعل السماء تصفو له في هذا التوقيت المريب لتدله طيور الكوي المضيئة على مساره الصحيح، خاصة والعاصفة قد بدأت تشتد وتكاد تطيح به..

ومن أعماقه تأكد من الإجابة التي يعرفها جيدًا.

لقد انقطع إله الظلام عن زيارته منذ عدة سنوات، حتى إنه شك أن هذا الاتصال قد تم بالفعل في وقت سابق، ولكنه الآن عاد ليدحض مخاوفه، ويؤازره في محنته.

وهنا قرر وليد أن يخترق أعماق ذاكرة كوتار، ليلم بمعلومات أكثر..

وما أن قرر الأمر، حتى أغرقته المعلومات، دون جهد.

إن كوتار متفرد في قوته وصفاته وأسراره، لا يشبه أي زعيم أخر من زعماء العشائر السابقين، ولا أي شخص ولد خلال الألف عام السابقة، لقد ولد بين الثلوج، ولكن قلبه قُد من نار لا تنطفيء..

النار نفسها لا تؤثر فيه!.

وهذا سره الدفين الذي شاركه فيه الساحر الراحل .

الساحر الذي أطلق عليه عند مولده اسم كوتار، أي وريث النار، وهو الذي أنبأه بموعد ولادته الثانية التي اقتربت كثيرًا بعد أن قرأ له النجوم.

كان شخصًا استثنائيًا وحرص الساحر ألا يظهر هذا الأمر لأحد، حتى جدته التي تولت العناية به بعد موت أمه التي أنجبته.

وتطلب هذا من الساحر في سنواته الأولى مجهودًا خرافيًا، فلم يكن كوتار بالطفل أو المراهق أو الشاب الذي يلتزم بالتعليمات حرفيًا، حتى ولو كانت من أكثر شخصية مقدسة في العشيرة كلها.

وفي النهاية أصبح الساحر صديقه، ومعلمه، إلى أن صعدت روحه المقدسة إلى الأجداد..

وكانت لعبته الأثيرة التي كادت تكشف ما ستره الساحر، هو القبض على جمرات النار، ليتأملها وهي تلمع أمام عينيه، ثم وهي تذوي بين راحته دون أن تحرق قبضته، أو تُشعره بالألم ..

كما أنه لم يكن شخصًا استثنائيًا فقط بل كان مقاتلًا استثنائيًا أيضًا، وهزم جميع أبطال العشيرة في مراحل عمره المختلفة، وعندما نال الزعامة، ظهر تفرده، فقد كان زعيمًا قويًا ومتمردًا، كالنار التي ارتبط بها..

لذا أثار قراره بزيارة الضريح المحرم الكثير من اللغط..

ففي هذا التوقيت الحرج، والذي ظهر فيه القدماء، وأعلنوا عن

وجههم القبيح، وبدأت عشائر السينج في حشد رجالها، كان على القائد أن يكون متواجدًا بقوة ليقود رجاله في المعركة القادمة المحتومة، لا أن يقوم برحلة متهورة تهدد حياته، وتهدد تماسك الاتحاد دون جدوى.

فطالما أن هناك من هم قادرون على تنفيذ أوامره من الرجال والقيام بالرحلة بدلًا منه، ولا أحد منهم سيجبن عن تنفيذ مشيئته، التي هي في النهاية مشيئة الأجداد .. فقيامه بها ضرب غير مبرر من الحماقة.

إنه يعلم دون شك أن رأيهم هو الأصوب، سواء من الناحية الفردية للحفاظ على حياته، أو الجماعية كزعيم وقائد لجيش العشائر، والذي يمنعهم وجوده من التناحر وقتال بعضهم البعض. إن بعض العشائر لا تقل وحشية ولا همجية عن أعدائهم اليورك، ولكنه يعلم ما لا يعلمونه، ويعلم ما كان يعلمه فقط الساحر الراحل.

الأسرار تتدفق، ووليد يتابعها وهو يكاد يجن من الإثارة ..

فالجديد الذي ألم به أن كوتار هو ابن إله النار، الذي أنجبه من أحد نساء السينج، والتي دفعت حياتها لتهبه الحياة.

و هو وحده من التقى بإله الظلام..

هو وحده من كان ينتظر ظهور العلامات..

وكانت الرؤى هي أول العلامات، وهذه الرؤى كانت هي نداء إله الظلام له،والذي انقطع عن زيارته منذ سبع سنوات كاملة، ولبى هو هذا النداء.

والعلامة الثانية كانت بعث القدماء الأسطوريين على يد سحرة (اليورك).

والعلامة الثالثة والتي تخصه وحده، هي التحول، إن ما يخفيه الفراء لم يكن على مخلوق أخر أن يطلع عليه، لقد تم وصمه بعلامة إله الظلام، ولم تعد دماؤه حمراء قانية بل صارت سوداء، وقريبًا لن يعود هو كوتار بل سيصير شيئًا أكبر وأعظم..

سيصير إله..

وهنا ارتجف وليد بعنف، فالعلامة التي وصم بها كوتار، هي نفس العلامة التي وصم بها على صدره.. أثار الأمر قلقه بعنف فعاد يتابع كوتار كي لا يفقد صفاء ذهنه، ومع الوقت قد يحصل على تفسير معقول.

كان كوتار يملك من المعرفة ما يفوق حتى ما كان يعرفه ساحر عشيرته الراحل، ويملك من الأسرار ما لم يكن سعيدًا بإخفائها عنه.

إن زيارته للضريح المحرم الأسطوري حتمية؛ لأنه هو السبب الرئيس في بعث القدماء.

والسؤل الذي كان يحيره: هل سيصل للكهف المحرم، وهل ستفيده قدرته على عدم الاحتراق في النجاة من كل الأهوال التي ستواجهه، وهل سيحميه إله الظلام حتى يحقق مبتغاه؟

إنه في النهاية يملك جسدًا عاديًا نزف كثيرًا في ساحات المعارك، كما أن جسده برغم قوته الهائلة ليس منيعًا ضد الطعنات، وإن كان أسرع التئامًا، إن انهيارًا جليديًا واحدًا قادر على دفنه واستنزاف روحه، كما حدث مع أدلائه الثلاثة، إنه سيموت لو وقع في أحد الشراك التي يغص بها الطريق، ولن يفرق وقتها إن نزف دمًا أحمر قانيًا أو أسود.

وعند هذه النقطة توقف، وهو يعيد ترتيب أفكاره.

هناك شيء خاطيء يحدث له، إنه لم يصب بمثل هذا الكم الرهيب الهواجس من قبل، لابد وأن التحولات الدائرة بداخل جسده هي التي تدفعه إلى هذا الطريق المظلم، وفي أسوأ توقيت.

ولا يدري إلى متى سيكون قادرًا على الصمود!.

تنفس بعمق، وبخار الماء الخارج من فمه يتكاثف ليتحول إلى ثلج.

العاصفة تشتد..

وهذا جعله يفكر في زوجته، التي تركها وحيدة خلفه في ليلة لا يصلح لها إلا وجود رجل بالجوار.

سحب نفسًا عميقًا وهو يراجع معلوماته غير الدقيقة، فالآن عليه أن يقطع الممر الجبلي الذي رآه في رؤاه، ليصل إلى وادي العظام، وهو المكان الذي دارت فيه أول معارك الكوكب، وصار منطقة منبوذة بعد أن لعن بسحر قوي جعله فخًا قاتلًا لمن يحاول دخوله، فلم يعد يذكر عنه إلا الأساطير، وضاعت كل الخرائط التي تقود إليه، أو كما تناقل عبر الأجيال تم التخلص منها، وفي هذا المكان الملعون يوجد الضريح المحرم.

اللغز الذي حاول المئات عبر السنين حله، دون أن يعود منهم أحد حيًا ليخبر بما رآه هناك، وحيث أقر له الساحر الراحل أن ولادته الثانية وتجسده الجديد سيكون فيه.

وعندما هم بالتقدم بعد أن قبض على خنجره، محاولًا أن يستمد منه ثباتًا وشجاعة باتت غائبة عنه الآن مع إرهاقه الشديد وتوتره، شقت فضاء المكان صرخة هائلة مزلزلة، تردد صداها عبر الوادي والجبال، مما جعله يتلفت حوله في فزع بحثًا عن عدو غادر، ولم تحتل عقله إلا فكرة واحدة.

القدماء.

وبسرعة رهيبة طفق عقله يحسب المسافة والسرعة التي قد يتحركون بها من مملكة اليورك البعيدة، التي يفصلها عنهم آلاف الفراسخ، ومدن الهور، والصحراء الكبيرة، ورغم الأساطير التي تحاك عن سرعتهم، ولكنه لا يعتقد أن يصلوا إليهم قبل أسابيع.

مسح المكان كله ببصره دون أن يرصد مصدر تلك الصرخات الوحشية التي استمرت، لدقيقة كاملة، تحول فيها المكان إلى جحيم من الأصوات الهادرة الصاخبة المتألمة، وكأنما هناك من يتم تعذيبه أو نزع أطرافه، وهو على قيد الحياة..

لم تكن صرخات عادية، بل هي مزيج من خوار وأنين وصراخ، وأصوات فرقعات عالية تثير الفزع رجت المنطقة في عنف، ومعها توتر كوتار الذي حاول أن يستدعي من الذاكرة صرخات شبيهة، ليطمئن بها روحه القلقة المتحفزة.

وبالفعل لم تكن هذه الصرخات غريبة عن مسامعه، بل كانت تثير نشوته في السابق على عكس شعوره الآن. عندما كان ينصت لها في رحلات الصيد التي طالما قاد فيها رجاله.

وكان هو ورجاله المتسببين فيها، وهم ينتزعون أرواح (التارون) تلك المخلوقات الشبيهة بأفيال الماموث الضخمة المنقرضة على كوكب الأرض، التي كانت تقاتلهم في شراسة دفاعًا عن نفسها ضد هجومهم الضاري.

وبرغم ذلك لم يكن الأمر مطمئنًا، مع جهله التام بكنه تلك الفرقعات العالية التي تبدو كقصف رعد مكتوم، والتي كانت تتبعها بالصرخات.

إنه خائف من أعماقه ولكنه لا يريد أن يعترف بهذا حتى لنفسه، إن هذه الرحلة تختبر ثباته بشكل لا يصدق.

لام نفسه على عدم قدرته على التمييز بين صرخات التارون الهائجة، وقلقه الغريزي من القدماء، وحكاياتهم الدموية.

إنه لم يرَ القدماء رؤيا العين ولم يواجههم بعد، ولكن صرخاتهم لن تكون بمثل هذه الطريقة المروعة التي تحوي من الألم والرجاء مايثير الشفقة أكثر من الهلع.

تقدم أكثر وهو يقبض بقوة على خنجره، سلاحه الأخير، ليكشف سر هياج الحيوان العملاق الذي طفق يزوم ويجري بين الثلوج متخبطًا في كافة الاتجاهات، وكأن هناك عدوًا خفيًا يطارده.

تُرى ما الذي يمكن أن يفزعه بمثل هذا الشكل المروع؟!.

أخذ يتابع بعينيه التارون العملاق، الذي وقف على قدميه الخلفيتين، وهو يحرك أنيابه العاجية المعقوفة في كل اتجاه وكأنه يحاول أن يصيب بأنيابه الحادة مهاجم خفي لا يراه كوتار، وقدماه تغوصان في الجليد، في حين أن شعره الوبري يهتز في قوة، وقد بدا مذعورًا وهو يطلق صرخاته العنيفة التي كانت تتردد في المكان دون انقطاع.

وعندما ارتقى كوتار تبة ثلجية قريبة تطل على المكان وتمنحه زاوية رؤية أوسع، تجمد في مكانه من الصدمة، وقلبه المرهق جراء التحول، يدق في عنف شديد.

فعلى مدى بصره، تناثرت جثث قطيع كامل من حيوانات التارون العملاقة، ممزقًا لأشلاء متباينة.

تناثرت عبر الجليد الذي صبغ بلون الدماء الأحمر القاني.

وظهرت على وجهه علامات الصدمة، وهو يتلفت حوله في قلق،مسترجعًا في ذهنه المرهق كل ما يعرفه عن هذا الحيوان العملاق الذي تحول قطيع كامل منه لأشلاء ..

التارون الذي لم يكن يخشى وحيد القرن، أو الكروكس السيفي، أو حتى مقاتلي قومه الأشداء.. ممزق كحيوان ضعيف لا حول له ولا قوة.

وهذا أحاله للتساؤلات المخيفة : ما الشيء القادر على تحويل قطيع كامل من التارون إلى أشلاء، وهل حان الوقت ليقابله ؟!..

وبلا تأخير أتته الإجابة، عندما صم أذنيه صوت الفرقعة العنيفة، القادمة من حيث يقف التارون الأخير، وعلى البعد لمح الشيء الرهيب يتجسد من العدم.

شبح عجيب لعملاق ضخم مجنح له كيان جهنمي شفاف، اخترق بكيانه الشبحي جسد التارون العملاق المذعور، ليتوتر جسده، ويهتز بقوة، وكأن هناك يدًا خفية تعبث بكل خلية في جسده، وهو يطلق خوار صارخ يدل على ألم عظيم.

وأمام عيني كوتار اللتين تكادان تخرجان من محجريهما، انفجر التارون ككرة من الدم، ليتحول إلى قطع صغيرة تناثرت في عنف فوق الجليد، واختلطت بدماء من سبقها من قطيع التارون النافق وسط نهر الدم والأشلاء المتجمدة.

كان المشهد مروعًا ومفزعًا، ولكن وليد تشبث بتلك الذكرى، وغاص فيها إلى أقصى مدى، وفضوله يشتعل بشكل مروع،وعاد ليندمج بوعي كوتار. الذي قبض بيده على خنجره المطلسم، الذي

توهج، ثم تألق بضوء أحمر عجيب، وهو يتلفت حوله مستعدًا لمواجهة ذلك الشبح الجهنمي الغامض، الذي لم يسمع أو يرى مثيلًا له من قبل.

كان كوتار يدرك أن الخنجر المطلسم، الذي أهداه له الساحر لن يعمل إلا عندما يواجه خطرًا عظيمًا، ووقتها سيتحول لسلاح جبار قادر على قتل أي مخلوق مهما كانت هيئته أو قوته، سواء أكان له جسد مادي، أو ينتمي للعالم الخفي.

عليه فقط أن يتقن استخدامه، وأن يجد الوقت لذلك !

وكوتار أمهر وأسرع من استخدم الخناجر في هذا الزمن، وعليه فقط في البداية أن يعرف أي خطر يواجه.

تقدم بخطوات سريعة حذرة، متحاشيًا أن يقع في فخ جليدي يجعله لقمة سائغة بين يدي عدوه الغامض، وخلفه تزأر العاصفة الجليدية التي كانت في أوجها، مما جعل حركته أكثر صعوبة.

وكم كان سعيد الحظ لأن البرد الذي اشتد لدرجة تجمد الدماء في العروق، لم يكن ليهزم دفء ناره الداخلية، فتحرك ضد العاصفة متجهًا إلى الممر الجبلي الذي يقوده إلى وادي العظام، محاولًا أن يخترق صخب العاصفة لينصت لكل صوت مخالف قد يكون خطرًا محتملًا.

وعلى عكس ما توقع ..

وصل إلى بداية الممر الذي يمثل فجوة بين جبلين كاد الجليد أن يخفيها عن الأعين، وبدون تردد قبض بقوة على خنجره الذي زاد توهجه، وبكل عزم اخترق الجليد، ودخل إلى الممر المظلم.

وكان عليه من هذه اللحظة أن يستخدم غريزته ليعبر هذا الممر على ضوء الخنجر الشاحب الذي جعل المكان مرعبًا بشكل لا يصدق.

وعندما اقترب من نهايته، شعر بألم مميت في ظهره، فجثا على الأرض وأنفاسه تتقطع بشكل عنيف.

إن جسده يمر الآن بأعنف مراحل التحول، وهذا جعله كطير ضعيف بين يدي الطبيعة القاسية، والعدو الغامض الذي يكمن له، وسيهاجمه في أي لحظة من حيث لا يتوقع.

الألم ينتقل من ظهره إلى جميع أنحاء جسده..

الألم يتحول إلى إعصار عاصف..

يتقلب فوق الأرضية الصخرية..

يحاول أن يتنفس بصعوبة..

الهواء شحيح..

الخنجر اختفى من يده..

جلده بدأ ينسلخ عن جسده، ويتساقط على الأرض.

ثلاث فرقعات عنيفة صمت أذنيه، ولكنه لم يستطع التحرك، أو البحث عن مصدرها ومواجهته.

أشباح شيطانية عملاقة تترائى أمام عينيه، وتظهر أكثر مادية.

صوت خفقات أجنحتهم يصم أذنيه، ولكن موسيقى الألم تطغى فوق كل شيء.

حرارة عاتية تجتاح جسده.

جلده يجف ويتيبس ويسقط أرضًا كجلد الأفاعي.

إنه يتجسد من جديد.

يصعقه ألم التحول فيتمنى لو تنهي الأشباح آلامه ولو بالموت.

وفجأة هدأ كل شيء، وتوقف الألم.

فتلمس كوتار جسده المشتعل بيده ليفجعه ملمسه، وكأنما تحول إلى أحد مخلوقات اليورك الشوهاء، وصار جسده أكثر صلابة وخشونة، ونبت من ظهره جناحان رخويان، يخفقان بصعوبة.

وقف على قدميه مصوبًا بصره إلى موقع خنجره المتوهج على بعد عشرة أقدام منه وسط الظلام.

قواه خائرة ولكنه يتقدم نحو الخنجر ببطء فهو سلاحه الوحيد، وسط كل هذا الوهن الذي يعتريه، يتقدم أكثر، ليفصل بينه وبين الخنجر المتوهج الأشباح الثلاثة الذين أصبحوا بهيئة مادية كاملة، وعندما وقع بصره عليهم عرفهم على الفور.

إنهم الخدم..

خدم إله الظلام..

إنه لم يتركه في النهاية، كما تمنى وتوقع.

ولكن لماذا قتلوا قطيع التارون ؟.

وجاءته الإجابة على شكل فكرة مزعجة اخترقت عقله كبرق لاهب.

لقد كانوا القربان..

القربان الذي مهد له عبور آمن إلى الضريح المحرم.. إلى عرين إله النار.

وعندما أحاط به الأشباح الثلاثة بهيئتهم المادية وأجنحتهم الخفاقة، ترك جسده ليسقط بين أنياب الغيبوبة، لتحدث المرحلة الأخيرة من التحول..

وهنا لم يستطع عقل وليد التحمل، فعاد به مسرعًا إلى الغرفة ذات الأبواب المتعددة، وهذه المرة لم يرى الأبواب أو الضياء، فقط الظلام.

لم يفكر وليد كثيرًا، وترك عقله يظلم ككل شيء حوله..

وقبل أن يظلم وعيه تمامًا..

شاهد الشيطان الابن يتجسد أمامه..

ويبتسم..

وعندما أشار إليه بيده المخلبة..

شعر بألم مروع في صدره..

وكأنه يخبره أنه مازال هنا..

ثم أظلم كل شيء.

❁❁❁

(6)

عندما استيقظ وليد من غيبوبته، نظر حوله فرأى الغرفة المضاءة والأبواب الممتدة إلى مدى البصر، واجتاحه شعور طاغ بأنه قد مات ثم عاد إلى الحياة.

وبعد أن صفا عقله أدرك أن الغيبوبة العقلية الداخلية- لأنه بالفعل واقع في غيبوبة خارجية- كانت نوع من أنواع الدفاعات العقلية الملحة، بعد أن زاد الضغط العصبي والنفسي على عقله، والدليل على ذلك أنه استفاق بكامل نشاطه وحيويته، وشغفه لاستكمال الرحلة.

الآن هو على كوكب غريب يغص بفصائل المتوحشين، وهو أحد كواكب البعد الخارق المأهولة التي نفي إليها ابن الشيطان بعد أن صار تهديدًا محتملًا ومقلقًا لأبيه.

ابن الشيطان نفسه اختفى كل أثر له منذ هبط على الكوكب ولم يعد يعرف عنه أي معلومة، ولكنه يشعر بتواجده طوال الوقت، ربما هو يراقب الجميع، ويوجههم من وراء حجاب، كما يراقبه الآن.

الآن يعرف أن كوتار ليس كما يبدو، ولكنه لا يعرف إلى ماذا سيتحول، ومن إله الظلام الذي يكلل صدره وصدر كوتار وسمه،

والـذي قـام خدمـه بتمزيـق قطيـع كامـل مـن الماموث أو التـارون كـما يطلـق عليـه قاطنـي الكوكـب، مـن أجـل فتـح طريـق آمـن ليقطعـه كوتـار نحـو الضريـح المحـرم، الـذي لا يعـرف حتـى الآن مـا هـو، ومـا السـلاح السـري الـذي يخفيـه، وكيـف سيقضي عـلى القدمـاء الذيـن استـدعاهم اليـورك..

الغموض يزداد، والحل أمامـه يقبع خلف أبواب لا تحتاج إلا إرادتـه ليخترقها، ويرضي فضوله..

وبلا تأخير ركـز وليد تفكيره، فوجد باب محدد يتألـق ويتفاعـل مـع عقلـه.. فركـز أكثـر عليـه، فانفتـح البـاب دون تأخـير، وجذبتـه الدوامـة الضوئيـة السـوداء إلى نفس الكوكـب الخـارق، ولكـن في مكـان أخـر، يبعـد عشرات الآلاف من الفراسخ عن تلك المدن التي يقطنها شعوب السينج.

تجسد وعيه في (ديرا) عاصمة شعب اليورك المفترس، وكان يتأملها من منظور عين الطائر، لابد أن الشيطان الابن كان محلقًا في سمائها في هذا الوقت، وعندما تفحصها وليد لم يجدها تختلف عن مدن السينج، إلا في قلاعهـا الضخمـة، وأبراجهـا التـي تناطـح السـحاب، والجليـد الكثيف الـذي غطى مبانيها وأراضيها، نظرًا لاتفاعها بشكل كبير عن سطح البحر.

القصر الملكـي هائـل الحجـم بشـكل يدير الـرؤوس ويتوسـط المدينـة تمامًا، وكأن من يقطنه هـم شـعب من العمالقة، وهـي السـمة التـي لم تكـن تميز شعب اليورك قصيري القامة شديدي الشراسة.

مكان كريه..

به شيء مبهم همجي..

والرائحة العنيفة التي تغلفه، تثير الاشمئزاز، وكأنه اسطبل للخيل مكتظ بالروث والمخلفات.

توقع أن يكون تجسده العقلي بداخل القصر الملكي نفسه، وأن يقرأ عقل ملكتهم، كما قرأ عقل كوتار زعيم اتحاد عشائر السينج.

فقوم اليورك برغم عنفهم وشراستهم، إلا أنهم يقدسون النساء وخاصة النسل الملكي، والملك هنا له وضع شرفي لا أكثر.

إلا أن وعيه تجسد في مكان أخر، لا يبعد كثيرًا عن القصر الملكي.

تجسد أسفل القصر الملكي، بقلب أطلال عجيبة ومخيفة، ومظلمة وشديدة الحرارة، على عكس المناخ البارد والمضيء للكوكب، مما ضاعف بداخله إحساسه العارم بالنفور، فهذه الأطلال بعثت بداخله شعورًا غامضًا بالضياع.

آثار أقوام عاشوا هنا، وملأوا الدنيا ضجيجًا، ثم أصبحوا هباءً منثورًا ولم يتبقَ منهم، إلا رسالة باهتة تقول إنهم كانوا هنا ذات يوم، ولم يرأف بهم الزمن.

قرر أن ينحي مشاعره الداخلية جانبًا، وأن يبحث بعقله عن أحياء في المكان، شخص يمتلك بعض الذكاء يمكن اختراق عقله، أو كيان يمكنه من معرفة المزيد عن هذا العالم الغريب ومصير ابن الشيطان.

لحظات قصيرة ورصد عقله ترددات عقلية شديدة القوة، تنبع بتركيز من اتجاه الجنوب، وعندما وجه بصره نحوها، لمح على البعد مجموعة من المخلوقات الشبيهة بالعظاءات أو السحالي، والتي تسير على أقدامها الخلفية، ويرتدي بعضها الدروع، في حين يرتدي البعض الأخر شيئًا أقرب لمسوح الرهبان، ويماثل حجمهم حجم البشر

متوسطي القامة أو أقل قليلًا، يعبرون من خلال بوابة عملاقة تؤكد له شكوكه..

إنهم لا ينتمون إلى هذا المكان الذي يقطنون فيه، والذي يشي كل ركن فيه بالعظمة وضخامة الحجم.

وقبل أن يحاول التحقق جيدًا منهم، وسط الظلام الذي يغمر المكان، وجد عقله يمتزج دون إرادته بعقل من عرف على الفور أنها أميرة شعب اليورك.

خطت أميرة شعب اليورك الشابة (بورجيا)، بقناعها المخيف الذي يخفي خلفه ملامح وحشية حيوانية جديرة بالكوابيس، إلى داخل الأطلال شبه المظلمة، والتي لم تكن تعلم بوجودها إلا منذ بضع ساعات، عندما كلفتها أمها ملكة شعب اليورك بأخطر مهمة قد يقوم بها مخلوق حي في هذا المكان المظلم، والذي يعتبر أعظم أسرار كهنة اليورك عبر تاريخهم الدموي الطويل الذي يمتد لعشرة آلاف عام.

نبضت أوعيتها الدموية التي تحل محل القلب بقوة، وهي تحاول أن تكيف عينيها ذات الجفن الإضافي لتستطع اختراق الظلام العجيب الذي يمتد أمامها، متراوحًا بين الظلام الدامس، والأقل عتمة بشكل محير، وهي تشير لأربعة من الكهنة قدموا بصحبتها ليتقدموا بمشاعلهم، التي كانت تتوهج بشعلات خضراء واهنة، لم تكن كذلك قبل ولوجهم للمكان المظلم شديد الحرارة، وكأنما تبدل لونها بفعل شيء غامض في هواء المكان الحار الثقيل، الذي يطبق على الصدور.

تقدم الكهنة الأربعة الأشبه بديناصورات تي ركس الأرضية عندما تسير على قدمين، والذين بلغ بهم العمر أرزله، وإن احتفظت

أجسادهم وعقولهم بالقوة الكافية ليقودونها في هذه الرحلة الرهيبة، ومعهم خمسة من الحرس المدججين بالسلاح.

يحمل أحدهم على ظهره، صندوق متوسط الحجم من معدن غريب لا يتوقف عن التماوج طوال الوقت، وإن كان لا يعوقه عن الحركة، وقد اتشح كل منهم بقناع مماثل لما ترتديه الأميرة الشابة، فبدا وكأنهم جزء لا يتجزأ من هذا المكان المخيف.

وبتوتر حاولت أن تخفيه الأميرة (بورجيا) أمرت أحد الكهنة أن يحصل على ضوء إضافي، فالمشاعل لا فائدة منها مع ضوئها الهزيل، والظلام يؤذي عينها، وعيون رجالها الذين لم يعتادوا الظلام، بكوكبهم المشمس طوال العام..

وعلى الفور رفع الكاهن يده وتمتم بكلمات صاخبة، بلغة غير مفهومة حتى للأميرة، ومن قلب العدم ظهرت كرة ضوئية تشبه قمرًا صغيرًا أضاءت المكان بشكل مقبول.

وعلى أثرها تحركت الأميرة بقلب الأطلال الأسطورية، وهي تقبض بيدها على صولجان ذى يد قصيرة- سلاحها القاتل المفضل- وتبعها موكب الحرس والكهنة، وغاصت بقلب المكان، وهي تبحث بعينيها وسط الظلام عن شيء معين قُص على مسامعها قبل أن تلج إلى تلك الأطلال الرهيبة، التي يدهشها موقعها، أكثر مما يوترها ظلامها.

فأن تتواجد مثل هذه الأطلال التاريخية العظيمة، أسفل قصر الحكم في مدينة (ديرا) عاصمة شعب اليورك الرهيب، والتي قضت فيها معظم أيام طفولتها وشبابها. دون أن تدري أي شيء عن وجودها، هو شيء صادم، ويثير غضبها بشكل كبير.

إنها لم تترك في كامل المملكة حجر فوق حجر إلا وقلبته، ولم تسمع عن سر إلا وسعت لكشف حقيقته، فأي هول تخفيه هذه الأطلال، وكيف تحولت إلى سر خارق لم تتوصل إليه من قبل ؟.

تأملت الأطلال التي بددت الكرة المضيئة شيئًا يسيرًا من عتمتها، فوشت لها بحضارة سابقة بلغت من التقدم شأنًا كبيرًا، قبل أن تزول على أيديهم..

حضارة عرفت مؤخرًا أنه تم دفن آخر مدنها، بإيعاز من الكهنة، وإخفاء ما تبقى من آثارها عن عمد على يد اليورك الأوائل، لتصبح مدينة باطن الأرض ذات الأنفاق المتعددة هي الأسطورة الوحيدة المتداولة التي لها أصل حقيقي تشاهده الآن بعين مندهشة غير مصدقة.

وكان المشهد الذي جعل القشعريرة تجتاح جسدها أسفل درعها المعدني اللامع، هو ذلك المبنى الأسطوري الرهيب، الذي أطلق عليه كهنة اليورك اسم (برج الظلام).

ذلك الاسم الذي يستحقه عن جدارة، والذي بدا على ضوء الكرة المعلقة في فضاء المكان، والتي انعكس ضوؤها على جدرانه المصقولة، كرمح خرافي لم ترَ له مثيل.

فتصميم قاعدته سداسية الشكل جعلته كخلية نحل عملاقة، في حين تظهر مقدمته المدببة كرمح معدني شامخ.

كان من الواضح أن من قام ببناء هذا المبنى العجيب يمتلك علومًا فائقة متقدمة، أو قدرات سحرية خارقة، لا تمت بصلة لأصحاب الأطلال الأخرى المحيطة به. والتي يظهر من حالتها المتردية أنه تم هدم وتدمير معظمها في فترات زمنية مختلفة، وكأن هذا المكان المطمور

تحت الأرض هو متحف لحضارات عديدة زائلة، كان من سوء حظها أن اجتمعت في هذا المكان المشئوم.

شهقت الأميرة في قوة، وهو تتأمل برج الظلام الرهيب، الذي فاق كل تخيلاتها، ثم أطلقت زئيرًا عاصفًا يدل على الحماس، قبل أن تكتمه بداخلها، عندما احتوتها دفقة من الطاقة السلبية، أنشبت في قلبها خوف رهيب.

وهو شعور لم تعتاده أبدًا، وهذا جعلها تمسح المبنى بعينيها التي لا رموش لها برهبة، وعقلها يحاول أن يتخطى ستائر الظلام، مستعيدًا المعلومات الضئيلة التي حصلت عليها قبل القيام بتلك الرحلة المشئومة.

إنها تقف الآن أمام المدخل.

ليس المدخل الذي يقود إلى مدينة باطن الأرض ذات الأنفاق العديدة، والتي سكنها الأفعوانين ذلك الشعب الشبيه بحيات الأرض والذي باد على يد اليورك.

فالمدينة بادت ولم يتبقَ منها إلا هذه الأطلال المتهدمة المحيطة ببرج الظلام، ولكنه مدخل إلى أخطر أسرار العالم، السر الذي من أجله أبيد جنس الأفعوانيين، ومن بعده أحد فصائل اليورك نفسه، على يده جدها الذي قاد جيوش جدتها الملكة الذي غزت نصف الكوكب في العصر القديم.

ساحت الأميرة ببصرها حول المبنى المنتصب في وسط المكان كالكابوس، وكأنها تحاول أن تخفف من حدة تأثيره على روحها، فوقع بصرها على مجموعات عشوائية متناثرة من جثث حديثة، وهياكل

عظمية مختلفة الأشكال والأحجام، ورواسب كلسية متخلفة عن بقايا مجهولة لمخلوقات لا تعلم ماهيتها، والتي كان من الواضح أنها لاقت حتفها بطرق وحشية تظهرها الجماجم المهشمة، والأطراف المسحوقة، وتلك البقايا المحترقة المعلقة على خوازيق معدنية.

إن إله اليورك إله وحشي حقًّا، يتقربون إليه بالأضاحي المختلفة، التي تراق دماؤها على المذبح أو تحرق حية ليؤازرهم في حروبهم التي لا تنقطع، ولكن هذه القرابين لا يتم تدنيسها أو التمثيل بها، ولابد أن تكرم وتدفن بقاياها.

فلأي إله إذن كانوا يقدمون مثل هذه الأضاحي وسط هذه الأطلال الكئيبة؟!.

إنها تعلم السبب في معاملة القرابين بهذه الطريقة المهينة، بحكم قربها من دائرة الكهنة والحكم، ودراستها للسحر على أيديهم، إنها قرابين ملعونة.. لم تقدم لإله اليورك، بل كانت تتم لطقوس أعقد وأشد وحشية..

طقوس سحرية مدنسة..

ضاقت روحها بما رأت فزامت بقوة، وعرق غزير أخضر اللون يغمر حراشيفها الصلبة، مع درجة حرارة المكان المرتفعة بدرجة مزعجة، وكأنها بداخل موقد..

وهذا جعلها توقن، أن هذا المكان الملعون، قد غير بيئته سحر قوي، أقوى حتى من سحر الكهنة الأربعة الذين يصحبونها.

ومع الوقت أصبح المكان خانقًا بشكل لا يطاق، وحثها هذا على أن تتقدم أسرع، ويتبعها الكهنة، والجنود، متخطين العشرات من

الهياكل العظمية التي تفتت بعضها تحت أقدامهم الثقيلة، ليظهر أمام أعينهم المبنى الرهيب، الغارق في ظلامه الخاص - وكأنما هو من يبث الظلام حوله -.

مهيبًا..

مقبضًا..

يبعث الرهبة في كل من يقع بصره عليه..

وكان من الجلي أن أعوام كثيرة مرت على هذا المبنى المخيف دون أن تغير من هيئته أو يصدأ معدنه أو يتآكل، وكأن مرور الزمن وعوامل التعرية لا تأثير لهما عليه، كما حدث مع غيره من أطلال المباني المتهدمة التي تحيط به.

وأمام بوابة المبنى المعدنية، التي لم تكن تدري هل هي سوداء أم هو تأثير الظلام الذي كان يبتلع الضياء، أشار كبير الكهنة للأميرة، ولباقي الكهنة والجنود، أن يتوقفوا..

وبكل خشوع وقف الكهنة أمام البوابة المعدنية، وحاذتهم الأميرة التي ظهر على وجهها ملامح الضيق.. فهي لم تعتد أن تتبع أوامر أي مخلوق، حتى ولو كان أعلى كهنة اليورك مكانة ومرتبة وأكبرهم سنا، والذي يعود عمره لأكثر من ألف وخمسمائة عام.

وقفت الأميرة بقامتها العملاقة تتابعهم وهم يقومون بصلاة خاصة، بتلك اللغة المزعجة التي تكرهها، ومن داخلها كانت تعرف أن أوان الصلاة قد فات بالفعل، لأن معنى تواجدهم في هذا المكان المحرم المدنس، وهو بداية لشيء أكثر دنسًا ووحشية.

انتهى الكهنة من صلاتهم، فانطفأت كرة الضوء في نفس اللحظة التي تلاشت فيها البوابة وكأنها لم تكن موجودة من الأساس، ليظهر خلفها نفق مظلم، أضاءته مشاعلهم وهم يتقدمون عبره في حذر.

وهذه المرة تبعتهم الأميرة وحراسها في صمت ورهبة.

شيء ما في المكان أحيا بعقول الكهنة ذكريات رهيبة عن فترة زمنية مفزعة حرصوا على أن يتجنب تاريخهم الدموي ذكرها تمامًا، عندما اضطروا مع عددهم القليل في بداية تواجدهم على الكوكب، إلى الاستعانة بالقدماء من أجل الانتصار على الأفعوانبن الأوائل، وحلفائهم من سكان باطن الأرض، والهور، والعمالقة، والعشائر قبل اتحادها، ودفعوا ثمن هذا غاليًا، وبالدماء.

ولسوء حظ الأميرة والحراس الخمسة أنهم شاركوا الكهنة تلك الذكريات المروعة التي أصابتهم بهلع حقيقي.

فالمكان من خواصه المخيفة أنه يساعد العقول على التواصل والمشاركة العقلية، وحرص الكهنة الذين تدربوا كثيرًا على كبح جماح أفكارهم وذكرياتهم، على قطع هذه المشاركة العقلية كي لا يستمر الهلع.

وتقدموا بهيئتهم البشعة، وذيولهم العظمية تتحرك خلفهم في توتر، فوق أرضية النفق المعدنية التي كساها فطر داكن، والتي تقودهم إلى أعماق ذلك المبنى الغامض، إلى أعماق برج الظلام..

وكلما توغلوا أكثر ارتفعت درجة الحرارة أكثر، وزاد ضيق الأميرة أكثر، حتى إنها نزعت درعها المعدني، وتركته في منتصف النفق.

كان جو النفق مكتومًا، والمناطق المظلمة فيه أكثر من المضاءة،

ورائحة القدم الممتزج بعفن ما تزكم الأنوف، رائحة لم يتحملوها برغم رائحة مدينتهم التي لا تطاق.

لذا كانوا يتحركون عبر المناطق المظلمة ببطء وحذر، متخطين عددًا لا حصر له من الفخاخ والشراك الخداعية التي وضعها اليورك الأوائل قبل ألف عام، وهو أخر توقيت ظهر فيه القدماء.

ضوء المشاعل الشاحب يظلل وجوههم التي أخفوها خلف أقنعة قماشية بدائية مبللة بمادة خاصة تساعدهم على التنفس، مع جو الأنفاق الخانق.

وبعد وقت ليس بقليل انتهى بهم النفق الطويل لنفقين آخرين مماثلان له في الشكل، فاختاروا الأيسر، ثم قادهم النفق لثلاثة تفرعات أخرى، فاختاروا الأوسط، الذي قادهم في النهاية إلى نفق وحيد، تجاهلوه.

فهم على علم تام بأنه لا هدف حقيقي تقود إليه هذه الأنفاق، بل ما تقود إليه فقط هو الموت، سواء عبر الفخاخ المميتة المنتشرة في كل مكان، أو مخلوقات (الكراي) المتوحشة التي التي لا يزيد حجمها عن حجم قبضة اليد، ولكن شهيتها للحم والدماء لا تنتهي، والأكثر من وحشيتها أنها تلعن روح من يموت بين أنيابها حسب معتقداتهم.

أحكم كبير الكهنة من وضع القناع على وجهه، قبل أن يتقدم ويضغط بأحد مخالبه مكعب صغير لا يختلف في الشكل عن الجدار المعدني، المتليء بنقوش لمخلوقات تشبه اليورك إلى حد كبير، وتسبح بداخل فقاعات عملاقة، وتحكي قصة قدومهم من خلف النجوم.

هذه النقوش داعبت عقل الأميرة، التي كانت من الجيل الحديث

الذي لا يعرف شيئًا عن حقيقة اليورك، وموطنهم الأصلي وراء النجوم، كنوع من حرص اليورك على تقوية انتماء الأجيال الجديدة للكوكب.

لم يكن هناك مجال كبير في هذا الظرف العصيب لتعبر عن دهشتها أو صدمتها، عندما أدركت أنهم غزاه فضائيين، وليسوا أصحاب حق أصيل في الكوكب.

فقط ركزت بصرها على ذلك التجويف الغائر الذي كشف عنه المكعب الصغير، والذي قبع خلفه مقبض نحاسي متوسط الحجم، قبض عليه كبير الكهنة، ثم جذبه بقوة، ليتألق بضوء أخضر باهت، لينكشف أمامهم درج كرستالي هابط، غارقة نهايته في ظلام أشد كثافة..

هذه المرة لم تستطع الأميرة (بورجيا) أن تخفي دهشتها، إن الأمر أكثر تعقيدًا مما كانت تظن، وكادت أن تتساءل عن كنه الخطوة التالية، لولا أن تخطاها الكهنة وهبطوا عن طريق الدرج إلى أعماق الظلام، فاضطرت الأميرة أن تكتم تساؤلاتها وتحذو حذوهم، وقد جرد حراسها أسلحتهم، مستعدين للزود عن أميرتهم ضد ذلك المجهول الذي ينتهي إليه الدرج.

وأمام عينيها حدث أغرب شيء في هذه الليلة العجيبة، فالكهنة عندما وصلوا لنهاية الدرج، اختفوا من أمام عينيها، واحدًا تلو الأخر، وكأنما ابتلعهم الظلام.

فوقفت ذاهلة للحظات قبل أن تتبعهم هي وحراسها، ليظهر أمام عينيها للحظة خاطفة، حاجز شفاف يكاد أن يكون خفيًا يداريه

الظلام الدامس في نهاية الدرج، ولكنها رآته بعينيها القويتين، وبلا تردد عبرته بصحبة الحراس.. ليقفوا جميعًا وسط المكان الذي كان يخفيه الحاجز، وكل خلية في جسدها تنبض بالأسئلة..

فالمكان يختلف تمامًا عن شبكة الأنفاق المعدنية الخارجية التي يغطيها العفن الداكن بأرضه اللامعة المصقولة، وإضائته القوية مجهولة المصدر التي تشع من كل مكان، وتلك الشاشات المعتمة التي تغطي جدرانه، هذا غير الحرارة التي ارتفعت بشكل لا يطاق حتى لجنسهم القوي.

وهنا لم تستطع الأميرة الشابة أن تمسك لسانها، وتساءلت في ضيق:

- اللعنة.. لماذا يكاد هذا المكان يشتعل كالجحيم ؟!.

وصدمتها إجابة الكاهن:

- لأنك بالفعل في قلب الجحيم.

وعندما همت بالاستطراد أشار لها كبير الكهنة بإشارة ذات مغزى فصمتت، وبكل اهتمام أخذت تتابع الكهنة الذين يمتلكون بعلمهم زمام المبادرة، في نفس اللحظة التي نظر فيها كبيرهم إلى سقف المكان قبل أن يقول بلغته الغريبة المزعجة:

- المجد للقدماء .. المجد لرسل الموت والهلاك ..

وللحظة توتر الهواء ولفحتهم رياح ساخنة، وعلى ضوئها تحركوا، وكأنما هذه الرياح هي إجابة ما على تحيتهم..

وبهدوء شديد، يتنافى مع ما ينتابهم من توتر، أشار كبير الكهنة إلى الحارس الذي يحمل الصندوق الصغير المتموج على ظهره ليتقدم.

وبرهبة وتوتر ساعده زملاؤه في وضع الصندوق على الأرض، قبل أن يشير لهم كبير الكهنة بأن يلزموا أماكنهم في نهاية القاعة التي تغص بأجهزة شديدة التقدم لا يوجد حتى مثيلها في قصر الحكم ، وألا يتدخلوا مهما حدث ..

وبرغم تجاوزه الأعراف المعتادة في ظل وجود الأميرة، ولكنها أشارت لحراسها أن يطيعوا التعليمات بلا نقاش.

تقدم كبير الكهنة المتوتر من الصندوق وفتحه، فظهر بداخله ما يشبه قنينة بلورية متوسطة الحجم، تحتوي بداخلها سائل داكن، يشع بضوء أحمر غامض مقبض..

حملها الكاهن بخفة وكل خلية في جسده ترتجف قبل أن يتوجه بها إلى مركز القاعة، وأشار للأميرة المندهشة لتتبعه، وعيناها وعيون الجنود معلقة بالسائل المشع، وكل ما سمعوه عنه من أساطير وسكن وجدانهم يتجسد الآن أمام عيونهم..

وبكل خشوع وتقديس مد الكاهن يده إلى الأميرة لتحمل بين يديها القنينة التي تحتوي على أكسير الخلود، وهي تشعر أن وزنها صار كوزن جبل جليدي من الرهبة.

لتسير خلف الكاهن، الذي أشار لها لتقف على رأس نجمة خماسية مقلوبة، تم نحتها في أرضية المكان بدقة شديدة، ووقف باقي الكهنة عند أطرافها، وبدأوا يترنمون بترانيم صاخبة كان يتبعها حركات جسدية جنونية، جعلت المكان كله يرتج، وكأنما زلزال عاتي يجتاح القاعة، قبل أن تنشق الأرض ببطء ليظهر بجوفها فجوة مظلمة لا يظهر ما بداخلها.

ومن قلب الفجوة، ومن مركز النجمة الخماسية، ارتفع ضد الجاذبية تابوت من معدن أسود هائل الحجم احتل معظم القاعة، تمتلىء جوانبه بنقوش نارية عجيبة، تألقت في المكان قبل أن تخبو ببطء، لتغلق الفجوة التي ظهرت في أرضية القاعة، وكأنها لم تكن.

وبعدها استوى التابوت المعدني بهدوء في مكانه ليتوقف الارتجاج وتتضاعف درجة الحرارة، مما جعل الجميع يشعرون بالاختناق، ولكن الكهنة لم يتوقفوا لحظة عن الترنيم بتلك اللغة الصاخبة.

وبتناسق معين، قاموا بكسر أختام التابوت وهم مستمرون في الترنيم بتلك الترانيم المقبضة، حتى انزاح غطاء التابوت العملاق، ليظهر بداخله جثة لكائن هائل الحجم بشع الخلقة، لا يمكن وصف بشاعته مهما حاولت الكلمات.

جسد مليء بالنتوء كجزع نخلة، يحتوي على المئات من الرؤوس الوحشية الصغيرة اليابسة، له عشرات الأيدي، وقدمان هائلان، يطفو بقلب التابوت، وكأنه لا وزن له رغم ضخامته.. بشكل يوحي بهمجية غريبة..

تقدمت الأميرة من التابوت بخطوات متهيبة، ثم وقفت عند رأسه، مدت يدها بالقنينة التي أصبحت تشع كشمس حمراء صغيرة، وأفرغتها فوق الجسد الفاقد للحياة ورعدة عنيفة تجتاحها، وهي تتأمل الملامح المخيفة للكائن العملاق الراقد أمامها، قبل أن يناولها الكاهن الأخير خنجرًا حادًا، أغمدته في يدها الحرشفية، ليمتزج دمها بالسائل المشع فوق الجثة، والكهنة يترنمون في حماس بتلك اللغة الغريبة، التي جعلت درجة حرارة الغرفة ترتفع، والمكان كله يرتج بعنف مجددًا.

ليتوهج الدم المشع وكأنما صار سائل من المجا المشتعلة، قبل أن يخترق تلك الجثة اليابسة بشعة المنظر، لتحدث بعدها المعجزة، ويتوهج التابوت، وتخرج من داخله أبخرة ساخنة لفحت وجوه الجميع، حتى الجنود في نهاية القاعة.

ومن قلب الأبخرة انطلق الخوار ليرج المكان، وبعده ظهر الجسد العملاق لذلك المسخ الذي استرد حيويته وعافيته، وعاد من قلب عوالم السكون والسبات الصناعي، ليهز الكوكب ضجيجه..

وبعيونه العديدة التي اشتعلت بنيران حقيقة لا مجازًا، تفرس في الجميع، ثم أطلق صرخة عنيفة، وبنفس تلك اللغة المخيفة التي رددها الكهنة من قبل، قال:

- لقد عدت .. الدم ..الدم.

وأمامه سجد الجميع..

الأميرة،

والكهنة..

وحاذاهم الجنود وبأعماقهم تولد رعب بلا نهاية..

وفي هذه اللحظة أدركت الأميرة بورجيا لأي إله كانوا يقدمون القرابين في الأطلال.

❁ ❁ ❁

(٦)

كانت صدمة وليد العقلية هائلة، وزلزلت كيانه، ووعيه ينفصل بشكل عنيف ومفاجيء عن وعي أميرة اليورك بورجيا، بعد أن حضر تلك الطقوس الدموية الملعونة التي تم بها إحياء ذلك العملاق الدموي الجهنمي.

وعقله المنهك يرصد انسحاب وعيه السريع من ذلك المبنى الذي أطلقوا عليه برج الظلام، والذي تيقن وليد من كونه سفينة فضاء تم التستر عليها، ودفنها بقلب المكان، بعد أن فسدت بعض آلياتها. وتحولت لخزانة منيعة تحمل بداخلها أخطر أسرار اليورك.

كل هذه الأحداث التي تنكشف وتتعاقب على عقله في سرعة، جعلته ساعتها يتمنى لو استمر تتابع الأحداث دون توقف أو قطع، ففضوله اشتعل لأقصى مدى، حتى إن التساؤلات زاحمت بعضها البعض في عقله.

ما قصة هؤلا القوم الشبيهين بالزواحف والذين يطلق عليهم اليورك، ومن هذا الوحش بشع الخلقة الذي قاموا بإحيائه بعد أن كان مجرد جثة يابسة، وما علاقته بالقدماء الذين ترتجف القلوب وتتوتر

الأعصاب لمجرد ذكر ممارساتهم الوحشية، ومن هم القدماء، ومن أين أتوا، وما علاقة ابن الشيطان بكل هذا؟

كل هذه التساؤلات ظلت بلا إجابة، فبدون مقدمات انتقل وعيه إلى ذكرى صادمة أخرى، وعندما تجسدت أمام عينيه أول مشاهدها تحفز عقله بشدة.

كان يرى أمامه الفضاء السرمدي الذي تزينه النجوم في مشهد خلاب، يمتد إلى مالانهاية كعباءة من المخمل ترصعها فصوص متألقة من الماس، وهذه اللوحة الكونية الهادئة يخترقها بسرعة رهيبة شهاب ناري يجر خلفه ذيل مشتعل من اللهب.

لم تكن المرة الأولى التي يشاهد فيها هذا الشهاب، لقد رآه من قبل في بداية رحلته، وأثار مخاوفه ورعبه وذكرياته السيئة، وكل هذا تجدد مع مرآه مرة أخرى، وجعله يخشى الاقتراب من هذا الوحش الناري.

مر وقت طويل عصيب على وليد، وهو يتأمل كتلته الحارقة وهي تخترق الفضاء بسرعتها الجبارة. وكأن عقله أصابه الجمود، و تملكه ذعر هائل.

لو كان بجسده الحقيقي الآن، لكان يرتجف ويتعرق، وربما استسلم لموجة عاتية من البكاء.

كان في محنة عظيمة، فرؤية هذا الشهاب العائد أثارت فزعه، وأخرجت من داخله مخاوف كامنة، وفتحت باب مخيف من الذكريات، لم يجرؤ وليد أن يطرقه منذ كان شابًا، جعلته يردد في وجل:

- «لا شيء يرتبط بالنار ويكون خيرًا أبدًا».

إنه له ذكرى مشئومة مع النار، حبيبته الوحيدة التي لم يعرف نساء بعدها قط احترقت أمام عينيه، وهي لم تتجاوز بعد الثامنة عشر، في هجمة للقوادين الذين يقومون باختطاف الفتيات ليعملوا من أجلهم في البغاء مقابل بطاريات الطاقة طويلة الأمد، والطعام الصحي، الذي تقدمه الشركات القابعة خلف المدن المسورة.

فبرغم شعبية المحاكي وما يقدمه من متع تشبع كل أنواع الشهوات والغرائز، إلا أن العديدين مازالوا يريدون ممارسة ساديتهم وحياتهم الجنسية بشكل طبيعي.

وهنا وفرت لهم الشركات سوق سري عريض للبغاء، وإن ظل غير قانوني، ولكن من يأبه، طالما أن وقوده يكون من النساء والفتيات القاطنين خارج الأسوار، فالمال هو الساحر القادر على تطويع القوانين.

كانوا في زمن المجاعة، والطعام الوحيد يأتي من داخل الأسوار، والفتيات عُملة جيدة، وتستحق المخاطرة..

لذا كان هجوم القوادين عاتيًا.

وعندما قاوموهم بشراسة، وكادوا ينالون منهم، بعد أن كبدوهم خسائر كبيرة في الأرواح، استخدم القوادون قاذفات اللهب وأحرقوا من واجهوهم عن بكرة أبيهم، دون شفقة أو رحمة..

أحرقوهم، وهم يبتسمون..

كانت فترة عصيبة، لم ينساها أبدًا.. ولم ينسَ أن هناك من نبش قبرها، ليستخرج جثتها المحترقة في اليوم التالي لتختفي إلى الأبد.. دون أن يعرف سببًا حقيقيًا لهذا.

وعلى الرغم من مخاوفه، وذكرياته السيئة، وخوفه المرضي من النيران، إلا أنه أخذ في الاقتراب من ذلك الشهاب الناري المنطلق بسرعة تفوق الضوء عشرات المرات.

كان يطيع صوتًا داخليًا قاهرًا قادرًا على كسر إرادته، وقهر مخاوفه وهواجسه. صوت شيطاني يعلم جيدًا أن صاحبه يقبع خلف الحجب العقلية، والذي يقوده عبر سلسلة الذكريات.

فاستجمع شتات نفسه، وركز تفكيره على الشهاب الناري، الذي أخذ يتعاظم أمام عينيه، وما إن انكشف له الأمر حتى شعر بصدمة عاتية.

فهذه المرة كان أمام شيطان رجيم، يبث الشر والحقد والغل من حوله دون حاجز أو حجاب.

كان الشر مجسدًا بكل ما فيه من قبح، وقيح، وخبث ..

وجه شيطاني مفزع، بعينيه المشقوقتين، وقرنيه العظمين البارزان، وأنيابه الحادة، وجسده المشتعل، وجناحيه الناريين اللذين لم يتوقفا لحظة واحدة عن الخفقان .

عزرا ..

كان هذا اسمه ..

اسم كئيب ويبشر بكل شر ..

ركز أكثر ليتخطى صدمة ما رآه ، فبدأت المعلومات تتدفق إلى عقله.

لم يكن عزرا شيطانًا عاديًا، بل كان من أخبث سحرة إبليس، وكان

هو الموكل بإبقاء الشيطان الابن في ذلك البعد إلى الأبد، والأكثر من ذلك تحويل هذا البعد إلى جحيم يحترق بنيرانه، وجعل قاطنيه أتباع للشيطان الأكبر.

وبكل حذر بدأ يركز عقله ليخترق عقل ذلك الشيطان الناري، وكأنه يخشى أن يشعر به برغم يقينه من حقيقة ما يواجه.

ما رآه في اللحظة التالية جعله يتمنى لو شعر به عزرا وفتك به.

فقد شاهد نيران الجحيم مجسدة في عيني الشيطان الأكبر، في عيني إبليس نفسه، الذي كان يسجد له عزرا، وهو يقول بلغة الشياطين:

- المجد للخالد الذي لا يموت.. عبدك عزرا.. يضع نفسه بين يديك.

رد الفعل الوحيد الذي قام به وليد عندما رأى الشيطان الأكبر متجسدًا أمامه، هو أن ركز أكثر وهو يشعر بضياع هائل ليمتزج بذاكرة عزرا، لتختفي كافة مشاعره وانفعالاته ويلاحق تلك اللحظة الرهيبة.

الشيطان الأكبر يجلس بهيئته الفريدة على عرش عملاق، مصنوع بالكامل من الذهب الخالص، يحتوي جسده الأقل حجمًا، ولكنه يغطيه، شيء ما غامض في هيئته، كمن يلبس رداءا لا يناسبه، وبرغم ذلك تشعر برهبة عظيمة عند رؤيته.

ملامحه لم تكن صادمة كملامح عزرا، بل فيها شيء من تناسق برغم بشاعتها.

مرور الزمن ترك لمسته على وجهه بشكل ما..

لم تكـن هنـاك خلايـا متغضنـة كـما يوجـد عنـد معظـم المخلوقـات مـع تقدمهـم في السـن، ولكنـه انطبـاع يترسـخ في عقـل، كل مـن يظـن أن الشـيطان خالـد وشـاب إلى الأبـد.

ربـما كان هـذا جـزء مـن اللعنـة.. بعـد أن خـرج مـن رحمـة الخالـق، يكـبر في العمـر دون أن يـزوره ملـك المـوت، وهـي لعنـة أكـبر، وعقـاب أقسـى. لا أعتقـد أن أحـدًا يجـرؤ عـلى مصارحتـه بـه.

كـما أن عينـى الشـيطان برغـم أنهـما تشـتعلان كالجحيـم، إلا أن هنـاك مـا يوحـي بداخلهـا بهـمٍّ عظيـم وعـدم راحـة.

نظـرة تراهـا لـدى العصـاة والخاطئـين والسـارقين والزنـاة، والسياسـيين، شيء في أعينهـم يـدل عـلى مـأزق لـن ينتهـي.

وبرغـم كل مـا سـبق إلا أن لـه هيبتـه، لـن يكـون بداخـل حشـد مـن الشـياطين إلا ويمكـن تميـزه، والشـعور بهلـع غريـزي مـن وجـوده .

لم يكـن حولـه خـدم أو حـرس أو جـواري في قاعـة الحكـم كـما هـو معتـاد دائـمًا، القاعـة الهائلـة الحجـم اقتـصرت عليـه، وعـلى مسـاعده عـزرا، وكان هـذا الاجتـماع الثنائـي، دليـلًا مشـئومًا عـلى أهميـة وخصوصيـة وسريـة مـا يـدور بينهـما في هـذا الوقـت الحـرج.

دوى صـوت إبليـس هادئـًا مروعـًا مفجعـًا، كموسـيقى جنائزيـة لموسـيقار عبقـري، لابـد وأن سـنوات العصيـان قـد صبغـت كل خليـة مـن خلايـاه بالسـواد، قائـلًا:

- «اليوم لديك مهمتان لا تقل إحداهما عن الأخرى في الأهمية».

رد عزرا بخشوع وانصياع :

- « في خدمة مولاي».

أكمل الشيطان الأكبر في قوة:

- «عليك أن تكلف من يجوب الممالك، أرسل سرايا من أعوانك الثقات، فقط الثقات، لجمع كل ما يخص العلوم القديمة المحرمة لأقوم بإحراقها بنفسي، وإنهاء حياة كل من تعلم منها فنون السحر الشيطاني المحظورة، لن يكون هناك من المعرفة إلا ما أسمح به فقط».

يدرك عزرا أهمية هذا الأمر جيدًا، ولو لم يأمر به الشيطان الأكبر بنفسه، لاقترحه هو عليه، بعد ذلك التمرد المحدود الذي قام به الشيطان الابن المنبوذ، فهو لن يسمح بأي حال من الأحوال أن تهدد مملكة سيده، وأن يشكك أي فرد في قوته أو نفوذه أو ألوهيته.

الشيطان الأكبر في مملكته إله، ويدينون له بالولاء و يقدمون له القرابين ويقيمون له طقوس العبادة. جيوشه تتعاظم، وحدود مملكته تتمدد، إنه لا يتوقف عن التوسع لحظة واحدة.

إنه لم يعد يسيطر على بُعد الشياطين الأرضي فقط، بل اتسع سلطانه إلى الفضاء وما دون السماء الأولى.

عرشه نفسه يسعى لنقله ليصبح فوق الماء الكوني الأول الذي وجد قبل نشأة هذا الكون المنظور، وهو يعد العدة لتسيد الكون المنظور ثم تسيد الكون الأكبر الذي يضم كل تلك الأكوان المتعددة.

إنه يسعى طوال الوقت لاكتشاف الكواكب المأهولة ويرسل إليها سرايا من جنوده لإفسادها وتجنيد مخلوقاتها، تمهيدًا للحظة الكبرى التي سيسيطر فيها على كل شيء، ويبدأ حربه الخاصة جدًّا ضد خالقه.

إنه يخوض صراعًا رهيبًا لا هوادة فيه، ومن الواضح أنه لن يتوقف لحظة عن التمرد والسعي لتحقيق ذلك الطموح المخيف.

عزرا هو يديه اليسرى التي تبطش وتنظم، مستشاره الأوحد بعد أن قضى المدون نحبه.

العلاقة بينهما لم تصل لحد الصداقة، فالشيطان الأكبر لا صديق له ولا عزيز، ولكن عزرا يعتبر نفسه صديقه المقرب.

ولهذا فأي خطر يهدد ممالك سيده هو خطر يهدده شخصيًا، خصوصًا وأن العلوم القديمة، والتي استخدمتها عشائر السحرة عبر الأزمان والكواكب، والذي هو أحد العارفين ببعضها قادرة على إفناء الكون كله، وليس ممالك الشيطان الأكبر فحسب.. لذا كان رده على سيده الملعون:

- خيرًا طلبت يا سيدي المعظم.. أنا لها.

صمت الشيطان قليلًا ثم أضاف قائلًا:

- «المهمة الثانية لا يمكن أن يقوم بها غيرك، أنت الوحيد الذي ائتمنه على إنهائها».

رد عزرا بسرعة وقد اشتم رائحة خطورة المهمة فقال:

- «تحت أمر مولاي.. اعتبرها أنجزت».

دوى صوت الشيطان بشيء من الرضا يشوبه بعض الضيق:

- «ما أوكلك به الآن، هو القضاء على المنبوذ، عليك أن تجد وسيلة سريعة، للقضاء على هذا الهجين الدنس، ولكن قبلها أريده أن يكون عبرة، وأن يذوق من العذاب ما لا يتخيله مخلوق في هذا الكون».

صمت للحظات تغيرت فيها ملامحه قبل أن يضيف بغضب:

- «لقد أخطأت خطأ كبيرًا بنفيه خارج المملكة، كان علي أن أجعله

بجواري حتى أصل لوسيلة حاسمة للقضاء عليه، ولكن الوقت لم يتأخر بعد.. بنيته الهجينة الضعيفة لن تسمح له بمرو سريع أو هين عبر بوابات العبور الكونية، وأنت ستسبقه إلى ذلك البعد، تحقق مشيئتي فيه وفي كوكب الهمجيين هذا، وبعد أن تعود ستحصل على جائزتك الكبرى »..

اشتعلت عينا عزرا بنيران الحماس، وقال بصوت متهدج:

- « ما يأمر به سيدي، ومعبودي، هو سيف على رقبتي وبدونه حياتي ».

هز الشيطان الأكبر رأسه تعبيرًا عن الرضا، وأشار له بالانصراف، فانصرف عزرا لتنفيذ المهمتين المشئومتين، وفكرة فرعية تتوهج في عقله.

فكرة شيطانية شديدة الخطورة جعلت عزرا يبتسم من داخله دون أن تفصح ملامحه عن الأمر.

وكانت أولى مراحل الخطة أن يجمع العلوم القديمة المحرمة.. وبعدها.

ستتغير الكثير من الأمور.

❁❁❁

(8)

فجأة شعر وليد بآلام الانفصال العقلي التي أصبحت تتزايد في كل مرة ينتقل فيها عبر ذاكرة الشيطان الابن، ولا يعرف لأي مدى سيحتمل عقله كل هذا الضغط الرهيب قبل أن ينهار، بعد أن ظن أنه يسيطر على الأمر تمامًا..

والآن يدرك كم هو مخطيء، بعد أن وجد وعيه ينتقل بسرعة كبيرة إلى ظلام مرحلي جعله يشعر بخواء وبرودة شديدتين. قبل أن ينبثق النور ليتجسد بشكل مؤلم بداخل عقل كوتار، زعيم السينج والعشائر، حليف إله الظلام، وابن إله النار.

كوتار الذي استيقظ من غيبوبته فجأة، ليجد نفسه محاصرًا بظلام دامس، لم يستطع أن يرى كفيه فيه، وبرغم ذلك شعر بذهنه كأصفى ما يكون، مع راحة تامة في جميع خلايا جسده، وكأنما ولد من جديد..

بالفعل كانت هذه هي ولادته الثانية، كما تنبأ له بها ساحر عشيرته الراحل.

إنه الآن بقلب الضريح المحرم الذي يحوي أخطر أسرار الكون.

الآن تتدفق في عقله كافة المعلومات التي غابت عنه..

الآن يُمنح المعرفة الكاملة بعد أن أتم رحلته ..

الآن تضربه الرؤى بعنف، يشاهد إله النار القادم من مملكته السماوية، بهيئته البشعة، وبقرنيه العظميين، ووجه الأقرب لوجه ماعز جبلي، وبأقدامه التي تشبه حوافر الأنعام، وهو يهبط كشهاب مشتعل من السماء متجسدًا في هيئة يعرفها جيدًا، هيئة أبيه- الذي أدرك الآن أنه زوج أمه فقط- الذي غاب في رحلة الصيد البحرية الأخيرة لثلاثة أشهر.

أمه تستقبله في لهفة..

يعانق الأم ..

الأم تنتفض في قوة ..

إنه يشبه زوجها .. لكنه ليس هو ..

إنه هو ولكن ليس هو بطريقة ما..

تحاول أن تجد تفسيرًا..

لا تجد تفسير مقنع ..

ربما هو البعد ..

لا هو ليس زوجها، وليس مخلوقًا من عالمها..

إنه شيء رهيب ..

تحاول أن تفلت من بين يديه، أن تقاومه، ولكنها في النهاية تطيعه دون إرادتها، وتمتثل لرغبته الشنعاء..

لم يكن الأمر صعبًا، لكنه كان محرقًا ..

لقد شعرت بذلك المسخ يخترق أحشائها، ويصب بداخلها نارًا مشتعلة، جعلت دمائها نفسها تغلي ..

ذلك المسخ الذي لم يكن إلا إله النار..

لماذا هي ؟

ولماذا يفعل هذا من الأساس ؟

الإجابة تصب صبًا في عقل كوتار، إنه يجهز جيشه الخاص، فهو يسعى منذ حط على ظهر الكوكب لإنجاب ذرية هجينة، تمتلك قوة الألهة، وذكاء السينج وخبثهم.. بعد أن خذلته ذريته السابقة.

وعلى أثر اللقاء فقدت الأم وعيها لثلاثة أيام، لازمها فيها ساحر العشيرة الذي أدرك بخبرته هول ما حدث ، والذي حافظ على السر حتى صعدت روح الأم المدنسة إلى الأجداد، وهي تلد الصغير، الذي شب على يديه وهو يحترق بسره، حتى صار الزعيم كوتار.

الساحر تصعد روحه للأجداد بعد أن أتم مهمته.. كوتار يبكيه كما لم يبكِ أحد من قبل، ويعلن حداد طويل، ويأمر بطقوس تتويج الساحر الجديد، الذي ينتمي لسلالة الساحر الراحل.

ثم يبدأ في عزلة طويلة.

تتوج العزلة بلقائه الصادم الأول بإله الظلام.

إله الظلام الذي شمله برعايته، ومنحه من النصائح والأسرار ما جعله يسود الجميع، ويصبح شوكة في حلق اليورك.

إله الظلام الذي وسوس لليورك بإعادة بعث القدماء.

إله الظلام الذي عجل بتحوله، وحفز بداخله قوى الألهة.

إله الظلام الذي يستخدمه الآن من أجل أن يساعده بقواه الخارقة الوليدة في فتح بوابة نجمية دائمة، قادرة على طي المسافات والزمن، والتي ستقوده إلى عالمه البعيد.

إلـه الظـلام الـذي قـاده إلى الضريـح المحـرم، حيث خبأ إلـه النـار النسـخة الأخيرة مـن العلـوم القديمـة المحرمـة، والتـي أصبحـت الآن بحـوزة الخـدم.

الآن يعرف الحقيقة كاملة.

وحقيقة الآلهة جميعًا.

إله الظلام الذي يحمل لقب المنبوذ.

سجانه إله النار الذي يحمل اسمًا عجيبًا هو عزرا!

وكبيرهم الذي يطلقون عليه إبليس..

أو الشيطان الأكبر.

إنه صراع بين الألهة، القادمين من خلف النجوم..

إلـه الظـلام كان أحـد أبنـاء الشـيطان الأكبر،الابـن الـذي تمـرد عـلى أبيـه، وقتـل شـقيقه، ولكنـه لم يتوقـع أن تجهـض الخيانـة خطتـه مبكـرًا إلى هـذا الحـد.

الابـن الـذي نفـي مـن الكوكـب الـذي شـب في أحـد أبعـاده، إلى كوكـب آخـر، يتصـارع فيـه طـوال الوقـت، مـع عـزرا مسـاعد أبيـه، الـذي وكلـه بـأن يحيـل حياتـه لجحيـم حقيقـي، والـذي كان لـه سـقف مرتفـع مـن الطمـوح هـو الأخـر، إنهـا لعبـة العـروش الشـيطانية.

عـزرا الـذي سـبقه إلى هـذا الكوكـب البغيـض، وهـو ينفـذ خطتـه الخاصـة دون هـوادة، بعـد أن اسـتغل ثقـة الشـيطان الأكـبر فيـه، ليبـدأ في تنفيـذ أهـم خطـوة في حياتـه، وهـو أن يصـير نـدًا لمـولاه إبليـس، بعـد أن منحـه هـذا البعـد الخـارق قـوى عظيمـة لم يمتلكهـا شـيطان مـن قبـل،

وصعدت من غروره امتلاكه النسخة الوحيدة الكاملة من العلوم القديمة المحرمة. وقاطع خطته هبوط ابن الشيطان المكبل على سطح هذا الكوكب الوحشي.

ولأن عزرا كان قد نسيه في خضم سعيه لإنشاء مملكته الخاصة في هذا البعد السحيق، فقد فاجأه وصوله، ولم يتردد عزرا في القبض عليه، وسجنه في باطن الأرض لقرن كامل، مكبلًا ذليلًا.

قرن كامل استطاع فيه تنفيذ وصية الشيطان الأكبر بأن يذيقه الأمران، وإن كان هدفه الأساسي هو إيجاد وسيلة فعالة للقضاء عليه، وعلى ما يمثله من خطورة.

فعزرا يعلم مقدار طموح الشيطان الابن، والذي سيجعله لن يسمح بوجود من يقاسمه مملكة الشيطان الأكبر بعدأن يسقط..

هو نفسه لن يقبل بالأمر بعد أن حاز تلك القوى الخارقة، وإن لم تؤتي مساعيه في هذا الشأن ثمارها، وأثبت سحر آجر ومعلمها قوته وصموده، وظل الشيطان الابن يرزح في قيوده محتفظًا بحياته وطموحه، ورغبته في الانتقام من عزرا تتصاعد ،وتتفوق على رغبته في الانتقام من أبيه إبليس.

ولأن هذا الكوكب الموجود في ذلك البعد الخارق له خصائص خاصة على الشياطين، ورغم وجوده مكبلا، إلا أن ابن الشيطان، استطاع أن يهرب من بين يديه،بعد أن ضاعف وجوده في هذا البعد الخارق قوته عشرات المرات هو الأخر، لتستمر لعبة القط والفأر بلا نهاية، وكل منهما ينشأ مملكته الخاصة على أحد جوانب الكوكب الوحشي، فدانت لهما شعوب الكوكب بالكامل، وكان هذا نذير مشئوم

بفترة ظلامية من الحروب لم تتوقف قط.

ولأن البقاء لم يعد حكرًا على الأقوى، بعد أن حاز كلا منهم على قواه الخاصة، وإن كان عزرا بالنسخة التي احتفظ بها لنفسه من العلوم القديمة بعد أن أحرق أصولها الشيطان الأكبر، يسبقه بخطوة.

لذا فهو كان بحاجة ماسة للحصول على النسخة الأخيرة من العلوم القديمة، ولو انتزعها انتزاعًا من قبضة عزرا، قبل أن يبدأ رحلته الكبرى، لتكتمل مخطوطته، وليصير أعظم قوة في هذا الكون، وليمزق مُلك أبيه، ويطمس سيرته، ويمحوا تاريخه إلى الأبد.

ولم يكن ابن الشيطان بمباشرة، ورعونة قرينه الناري، بل كان أكثر شرًّا وذكاء ودهاء. لذا كمن لفترة طويلة يراقب عدوه الناري، ويتتبع خطواته، بعد أن أوصلته قوته الجديدة للغرور، فشرع في تنفيذ الجزء الأخطر من خطته، بأن يصير له نسل خارق يساعده في تدعيم أواصر مملكته.

وتابعه ابن الشيطان في رحلته المدنسة، وشعر بالهلع، وهو يراه يعاشر مخلوقات هذا الكوكب الوحشي، ويخلق نسل بشع هجين، عاث فسادًا في الكوكب..

معاشرة عزرا الناري لمخلوقات الكوكب العجماء في بدايتها، أنتجت نسلًا متوحشًا مشوهًا مخيفًا، له قوة عظيمة، ولكنه يفتقر للذكاء، أو القوة الخارقة التي كان يسعى لها عزرا، ولكنه لم ييأس من المحاولة.

وفي النهاية أقام علاقة مخيفة مع أحد نساء السينج، تلك العلاقة التي حظيت بكل اهتمام الشيطان الابن، والذي أنجب عزرا عن طريقها ذلك النسل الذي تمنى ابن الشيطان لو كان من صلبه،

ولكن كونه هجين جعله لا يحظى بالفرصة الكاملة، برغم ما منحه له هذا البعد الخارق من قوى وقدرات.

لذا فإنه قرر أن يكون ناتج هذه العلاقة من نصيبه، ويدين له بالولاء، فكان أن ظهر لكوتار، ووصمه باسمه، وجعله تحت حمايته ورعايته.

ولم ينشغل عنه، إلا عندما استخدم عزرا أحد التعاويذ القديمة شديدة القوة، لحماية حدود مملكته.. فمنعته من التواصل مع كوتار لسبع سنوات كاملة، قبل أن يمتلك من العلم ما ساعده على قهر التعويذة والعودة، وضم كوتار لقائمة حلفائه.

كوتار الذي كان النتيجة المثلى لأول لقاء لقرينه الناري مع مخلوقات ذكية، والذي كان قادرًا بصفاته الهجينة على كسر الحماية بين الأبعاد، وعبور البوابة النجمية إلى كوكب الأرض في زمن قياسي.

والأدهي مساعدة خدم الشيطان الابن في الحصول على النسخة الأخيرة شبه الكاملة من العلوم القديمة المحرمة، التي أنشأ من أجلها عزرا الضريح المحرم، لتكتمل معرفة ابن الشيطان، ومخطوطته.

كوتار الذي يرافقه الآن خدم إله الظلام، الذين مزقوا قطيعًا كاملًا من التارون؛ ليهزموا تعويذة الحماية على الضريح بسحر التضحية الأرضي، ويمهدوا للقائه التالي بإله الظلام؛ تمهيدًا لينتقلوا سويًا عبر البوابة النجمية، والتي لن تفتح إلا بالسحر والدماء.

الكثير من الدماء..

والقدماء سيقدمون القربان الأعظم لإله الظلام..

اتحاد العشائر..

كانت فكرة صادمة، ولكنه لم يرفضها ..

إنه لم يعد كوتار القديم ..

إنه الآن شخص مختلف ..

وعندها تجسد أمامه ابن الشيطان، بداخل مملكة عدوه الرجيم عزرا، وكدليل كامل على الولاء ..

سجد له ..

❁❁❁

(9)

صاعقة عقلية مزلزلة أصابت عقل وليد، ووعيه ينسحب من هذه الذكرى الرهيبة، بعد أن اختلطت عليه الأفكار وتشابكت بشكل صادم، وهو يتخيل المجزرة التي أعد لها الشيطان الابن من أجل أن يصل لهدفه بفتح البوابة النجمية الدائمة، ويعود إلى كوكبه الأم ليحقق انتقامه.

السؤال الوحيد الذي لم يعرف له إجابة هو:

- «لماذا يرتبط السحر والتعاويذ دائمًا بالدماء؟».

- «ما السر الموجود في الدم يقوي من فاعلية تلك الأعمال المشئومة؟».

وللمرة الـ...

لقد توقف عن العد من كثرة ما طرأت الفكرة على عقله؛ حتى تحولت لهاجس مقيت، وهو يحاول أن يقنع نفسه بأنه يعيش أحداث منتهية لا تخصه، ولن يكون طرفًا فيها، إنه كمن يشاهد فيلما هولوجراميا عرض من فترة طويلة، ولكنه لم يلحق عرضه الأول، إن عقله الباطن يرزح تحت نير خوف متعاظم لا يتوقف..

الأمر يبدو مثيرًا في لحظة، وفي اللحظة الثانية يغدو بغيضًا..

لا يمكن أن يكون ما يمر به مصادفة.. أو مجرد خلل عشوائي في المحاكي، هناك شئ مشئوم يحاك له خلف الحجب، ودور يتم التخطيط له ببطء في الخفاء..

إنه يكاد يقسم أنه يرى ابتسامة الشيطان الابن الساخرة، وهو يقرأ أفكاره هذه، فالأمر لا يحتاج لذكاء كبير للوصول لهذه النتيجة، ولكنه مذعور بالفعل، وبشكل لم يحدث معه من قبل.

إنه يريد أن يستيقظ من هذه الغيبوبة الثقيلة، ويخرج من هذه الذاكرة الملعونة، يريد أن يعود لحياته وينسى كل شيء.

ترى كم مضى على جسده في هذا الوضع المرهق، ماذا لو صادف الروبوت الذي يقوم على رعايته بعض المشكلات التقنية، ثم هل يمكن أن تسيطر الشياطين على عقول ذكية غير حية ؟!

راعه ما وصل إليه تفكيره بعد حماسه السابق فقرر أن يكمل الرحلة، وهو يشعر بيأس عظيم.. بل خوف مريع.

رمق الأبواب المتراصة أمامه كشواهد القبور فتألق أحدها بشدة، فنظر نحوه بتوجس وهو يفكر:

- «ترى أي هول يخفيه هذا الباب ؟».

اجتذبته الدوامة الضوئية السوداء إلى نفس الكوكب، مازالت هناك أحداث ذات أهمية عليه أن يراها، مازال الهول ممتد على كوكب الجبابرة والطغاة.

ترك وعيه لينطلق عبر أثير الذاكرة، وهو يتابع ما يتدفق بداخل عقله، من معلومات عن فئة جديدة من قاطني الكوكب:

(الهور).

تردد الاسم في عقله كأجراس مدوية، ومعه تدفقت معلومات مثيرة، عن أحد أقدم شعوب هذا الكوكب المشئوم، الشعب الأكثر حضارة والأقل وحشية والشبيه بالمريخيين كما تخيلهم الأدباء في الأعمال السينمائية، رأس كبيرة تشبه البيضة، عينان تحتلان ثلث الرأس، جسد نحيل طويل بشكل عجيب، بشرة رمادية، قرون استشعار، يعيشون في كهوف صناعية بقلب سلاسل الجبال التي تحتل شمال الكوكب ..

الهور مستوطنون قدماء للكوكب، ولم يكونوا يومًا من قاطنيه الأساسيين، بل أتوا إليه قبل احتلاله من الفضائيين اليورك بعد الكارثة الكبرى التي حاقت بكوكبهم عندما أشرفت شمسهم العملاقة على الموت ونضب وقودها، والتي أجبرتهم على رحلة طويلة شاقة عبر الفضاء، فنى خلالها معظم شعبهم، حتى اكتشفوا في النهاية وجود هذا الكوكب الثلجي ذى الأقمار الثلاثة، في تلك المجموعة الشمسية المتطرفة.

بالنسبة لمن تبقى من الهور كانت نهاية عظيمة لرحلة غاية في الصعوبة، وبعد دراسة كل ما يتعلق بالكوكب وأقماره الثلاثة ذات الأغلفة الجوية المناسبة لحياة جنسهم، قرر مجلس الحكماء أن تكون الأقمار الثلاثة بديلًا عن كوكبهم الميت، ليبتعدوا عن شرور الكوكب الأصلي، وعن الصراعات التي لا تتوقف على سطحه، والحروب التي لا تنقطع، بين أجناسه المتعددة من السينج والأفعوانين، وقاطني مدن الأنفاق تحت الأرضية، والعمالقة.

ولأن سوء الحظ ظل ملازمهم، اضطروا بعد عدة عقود للهبوط

على سطح الكوكب الوحشي نفسه، بعد أن رجمت مدنهم القمرية الوليدة عاصفة من النيازك، التي ظنوا في البداية أن أغلفة الأقمار الثلاثة قادرة على ردعها.

ولكن العاصفة كانت أكبر من كل تخيلاتهم، فقضت على معظم مواردهم وعلى عزلتهم، وعلى ثلاثة من سفنهم الفضائية الأربعة الأخيرة.

وبرغم فداحة الكوارث المتعاقبة، اعتبروها رسالة من الآلهة لهم بأن عليهم المزيد من المعاناة والقتال قبل أن تنتهي رحلة التيه عبر الفضاء.

وعندما أنشئوا بأخر الناجين من حادث تحطم سفينة الفضاء الأخيرة على سطح الكوكب مدن الجبال، وبدئوا في الاستقرار وبذر بذور حضارتهم في الكوكب، هبط اليورك بوحشيتهم، لتصلهم الرسالة القاسية.

عقاب الألهة لم ينتهِ بعد.

بعدها استولى اليورك على نصف مدنهم، وقضوا على تقدمهم وحضارتهم، واستعبدوا نصف شعوبهم، بعد معارك طاحنة، أثبتوا فيها كم هم قوم همجيون، قبل أن ينشغلوا بحروبهم مع السينج أصحاب الكوكب الأصليين، ويفنوا الأفعوانيين، والعمالقة، ويستولوا على مدنهم كاملة.

حاول وليد أن ينسق المعلومات الغزيرة التي سكبت في عقله، وبدأ يربطها ببعضها، في محاولة منه لصنع صورة متكاملة عما يدور في هذا الكوكب الملعون.. الكوكب الذي لعن بقاطنيه، ثم بمستعمريه،

ثم بوصول ابن الشيطان المنبوذ، وعزرا إلى سطحه ليتحول إلى حفرة من الجحيم.

ركز وليد وعيه أكثر ليكتشف أنه هذه المرة يستقي هذا الشلال المتدفق من المعلومات، من داخل عقل زعيم الهور شخصيًا، والذي يدعى (ووك) والعجيب أن وعيه لم يندمج مع وعيه مباشرة كما يحدث في المعتاد، بل احتاج لبعض الجهد..

بل الكثير منه.

فعقول كائنات الهور شديدة التعقيد، تعمل كأجزاء منفصلة، وكل جزء منها قادر على القيام بعمليات عقلية حيوية متعددة، وكأنها عدة عقول منفصلة بداخل عقل مركزي عملاق، متواصل مع عشرات الآلاف من العقول الأخرى لكل جنس الهور.

كان التماهي مع كل هذه العقول شبه مستحيل، ولكنها لم تكن مهمته أو ذاكرته، بل كانت ذاكرة الشيطان الابن، الذي قاتل ليحتوي هذا الصرح العملاق من المعرفة .

وفي النهاية كان هناك، في عرين أحد أعظم العقول المعرفية في الكون، فالاتصال العقلي المتكامل بينها، جعلهم لا يفقدون أي من خبراتهم أو معارفهم عبر تاريخهم الممتد للماضي السحيق.

كانت تجربة مجهدة، ومؤلمة، لأنه مجبر على الغوص في هذا النهر العميق من المعرفة الإضافية، وهو مازال يعاني مما يراه في ذاكرة الشيطان الابن.

اندمج وعيه، وبدأ الاتصال الكامل في لحظة حاسمة .

لم تكن الأخبار تصل إلى زعيم الهور (ووك) بتحرك جيش اليورك

باتجاه مدينتهم المحصنة بعد أن سحق القرى التي كانت في طريقه، وأكبر مدن الشمال، حتى أمر باطلاق نفير الحرب الثلاثي، ليستدعي جيشه القوي للمواجهة، وهو يمني نفسه بفوز كبير.

أو على الأقل معركة متكافئة، برغم ما وصل إليه عن طريق الاتصال العقلي الجمعي، بما يقوم به اليورك من مجازر وأهوال، في طريقهم إليه، ومن بعده أعدائهم الأصليين السينج.

شعب الهور في حقيقته شعب مسالم، لم يسعَ للحرب أو الاعتداء رغم تاريخه الطويل، كانوا أقرب للروحانيين قبل الفناء العظيم لكوكبهم، وجودهم على هذا الكوكب الملعون بدل من فكرهم وجعلهم يتعلمون الدرس بالطريقة الصعبة.

والدرس المرعب الذي تعلموه: أنه لا يمكن الحفاظ على السلام بدون قوة رادعة، وجيش قوي.

لذا فإن ووك بعد أن استشار مجلس حكمائه والذي وضع نصب عينيه، أن البقاء لم يعد للأصلح فقط، بل للأصلح والأقوى، قام ببناء جيش قوي، وزوده بأحدث معدات القتال، وأضاف له عربات القتال السريعة، والقاذفات المتفجرة، مع سرب الكيموتور الطائر الذي ينفث النيران، والذي تم السيطرة عليه بأخر ما امتلكوه من علوم متقدمة.

وعليه وقر في فكر (ووك) أن النصر هذه المرة سيكون حليفه، وسينهي أسطورة القدماء، وربما يتمكن بواسطته بفرض إرادته على الكوكب من منطق القوة، ونشر السلام في ربوعه.

كانت خطة ووك الرئيسة تعتمد على الذكاء والقوة معًا، ولذلك اختار الوادي الكبير ليكون مكان المعركة الأخيرة، فيصبح الجيش

المدجج بالسلاح هو خط الدفاع الأول عن مدن الجبال، ويترك فرصة للناجين بالعودة إليها ودعم ما تركه هناك من قوات في حال لو لاحت الهزيمة..

كان يضع كل الاحتمالات نصب عينيه..

ونصب عينيه اصطف جيش الهور في الوادي الكبير، وأعلن النفير عن قرب الاشتباك بعد أن رصد العقل الجمعي، اقتراب جيش اليورك من موقعهم الحالي.

رصد تدفقات عالية للطاقة كانت تصاحب تحركات اليورك التي كان من الواضح أنهم يسابقون الريح، ويقطعون الطرق الجليدية المفخخة بسرعة رهيبة لا يمكن أن يملكها كائن حي على سطح هذا الكوكب.

فرق الاستكشاف التي تمركزت على طول الطريق الوحيد الذي يقود لمدنهم من اتجاه مملكة اليورك، كانت ترسل للوعي الجمعي نوع من الاستغاثات والآلام غير المفسرة، إن الموتى من جنسهم ينفصلون في المعتاد عن الوعي الجمعي دون أثر مؤذٍ، فما الذي يحدث لرجاله؟.

هل هو الخطر القديم؟

هل جرأوا على بعثه بعد كل ما كبدهم من خسائر سابقة؟!

أرسل إشارة عقلية حماسية لجيشه يحثهم فيها على الصمود، والذود عن مدنهم وأخر معاقلهم، ويخبرهم أنه اختبار الآلهة الأخير.

ينقل حماسه إليهم..

فينقلون إليه القلق..

اليورك يتحركون بسرعة رهيبة غير معتادة، وعلى رأسهم ملكتهم، وكأنهم حاذوا تكنولوجيا جديدة أو يستخدمون السحر!

لابد وأنه الخيار الأخير.

كان مجلس قيادة ووك فوق جبل عظيم يطل على الوادي.

ومن على البعد شاهد ووك عاصفة رهيبة من الثلوج والغبار والصخور، وكأن إعصار قوي يجتاح المكان، تعيق تواصله مع رجاله.

حاول أن يتواصل معهم مجددًا، وفي النهاية نجح بصعوبة .

ثلاثون ألف مقاتل يتابعون الهول القادم ..

ثلاثون ألف مقاتل يرسلون موجات رعب عاتية ..

فكرة واحدة ترسخت في عقول الجميع ..

إله الموت ..

الصورة تنتقل من مقاتل لمقاتل قبل أن تنطفيء مؤشراته الحيوية، ويذهب إلى عوالم الموت بعد أن ذاق أبشع أنواع الآلام التي لم يتخيل وجودها في الحياة..

كانت الصورة لمخلوق رهيب في حجم جبل متوسط الحجم، يزداد في الحجم كل لحظه، له رؤوس عديدة مرعبة ذات أنياب، وأطراف عديدة وقدمان عملاقان من الرؤس ذات الأنياب، ينتصب وسط الإعصار، بل كان هو الإعصار الرهيب ، وهذا جعل كل أحلامه بالنصر تتلاشى فجأة.

لدرجة أنه أصيب بحالة من الإحباط الرهيب عجز عن عدم بثها لرجاله، وهو يشاهد الإعصار يطيح بكل شيء ويتعاظم مع الوقت ..

لا حاجة به ليسترجع التاريخ القديم ..

فالماضي والحاضر سيفنيان الآن.

وبالطبع لا مستقبل لجنسه ..

رجالـه يقاتلـون في شـجاعة منقطعـة النظـير للـزود عـن جنسـهم، ولكنهـم كانـوا كالريـش في مهـب ريـح عاتيـة .

القاذفات ترجم الإعصار، ولكنه يمتص طاقتها قبل أن ترتد عليها لتحولها لرماد ..

الكيموتور الطائر يهاجمون الإعصار فيصيرون جزءًا منه ..

المقاتلون يطلقون صواعق حارقة نحوه دون فائدة.

كان ووك يشاهد الصورة بهلع ..

الفكرة تتأصل في عقله ..

القدماء.

هل كان القدماء شخص واحد ؟!

هل من يفتك بجيشه، ودمر القرى، ومدينة الشمال شخص واحد، له رؤوس ذات أنياب، وأطراف عديدة،ويتحرك كالإعصار؟!

من أي جحيم يمكن أن يكون قد أتى هذا الوحش البشع ؟!

في المواجهة الأولى لم يكن لديهم وقت كافٍ لمعرفة كنه هذا الخطر حيث كان يستتر خلف حجب سحرية مطلسمة يبرع اليورك في استخدامها، كما أن كل من واجهوه قضوا نحبهم قبل أن يتم رصده أو دراسته، أو معرفة مواطن ضعفه وقوته، والآن وقد تم رصده، كان من الواضح أنه لا شيء يمكن ردعه أو إيقافه.

عقله غير المصدق يرصد فناء جنوده وسط الإعصار الذي كان يمزقهم إربًا ويدمجهم في ذاته المتضخمة، وهو يحاول أن يستنفر أقصى ما لدى عقله من قوى ليتحد مع ذلك الكيان الجهنمي الذي يسكن الإعصار، وعاونه مساعديه ومن لم تطاله قبضة الموت من مقاتليه الذين كانوا في مهب الإعصار، ومن كانوا يتابعون المعركة من شعبه في مدنهم الجبلية.

لقد اتحد الجنس كله من أجل إيقاف هذا الخطر الرهيب.

وعندما اتحد عقله مع عقل ذلك الكيان الجهنمي، أتته صدمة عقلية رهيبة.

إنه بداخل عقل كيان بشع مدمر، سيفني الكوكب.

إنه ليس سلاح اليورك للنصر فقط.

إنه سلاح للفناء.

كان يتابع بقلب ممزق، نهاية جنوده وهم يتحولون لأشلاء، ودمائهم الداكنة تغرق الثلوج، وتغطي أرضية الوادي التي تغير لونها بفعل الدماء الكثيفة، وهو يحاول أن ينفذ إلى عقل ذلك الكيان الجهنمي الرهيب في محاولة أخيرة لردعه.

وكانت المحاولة الأخيرة هي صدمة عقلية ساحقة سيقوم بها شعب الهور بقيادة قائدهم ووك.

كانت مجازفة رهيبة، يمكن أن تمزق عقولهم جميعًا، وتسلبهم حياتهم، ولكن لم يبقَ شيء ليخسروه، وليكن موتهم ذا قيمة.

وعندما هموا بتنفيذها، رصد الكيان موقع ووك، رأس حربتهم، وقائدهم وتوجه إليه، وكان صراعًا رهيبًا بينه وبين الزمن.

وعندما أطلق ووك تلك الصاعقة العقلية، هاجمته عدة رؤى، وعقله يبدأ في السقوط في عوالم الغيبوبة ..

فعن طريق وعي الهور الجمعي، رصد السينج وهم يهاجمون مدن الجبال من الخلف، يقودهم زعيمهم المشهور كوتار والذي تحول لمسخ بشع لا يمكن وصفه، بجناحيه العريضين الأسودين، ووجهه المشوه، وعينيه اللتين تشتعلان بنيران حقيقية.

وشاهد تجسد كيان مريع له جناحان من جلد مهترئ وريش، وعين مطموسة وبنية مشوهة، وأدرك بعد فوات الأوان أنه هو العدو، وهو الذي يدير كل هذه المجازر من خلف الحجب.

ذلك الكيان الذي يطلق عليه اليورك إله الظلام..

لقد حضر إلههم ليؤازرهم، فأين إلهه هو ؟!

وهذا هز عقيدته بشدة .

وبصاعقة عقلية رهيبة انتقل وعي وليد من أحد أكثر المواقف دموية إلى أحد أكثر العقول دموية.

عقل ملكة اليورك التي حضرت بنفسها إلى مكان المعركة، وبجوارها ابنتها بورجيا، التي جعلتها رابطة الدماء مع القدماء، لديها القدرة على توجيه إعصارهم، وحثهم على القتال بضراوة أكثر، وكانت هذه النقلة العقلية تمهيدًا ليعرف الحقيقة الكبرى، حقيقة القدماء.

حقيقة ذلك الكائن الجهنمي، الذي أيقظه اليورك من ثباته.

وبدون مقدمات كان يقتحم أعماق ذاكرتها..

فشاهد كهنة اليورك الأوائل بقلب برج الظلام أخر السفن

الفضائية الحيوية التي أتوا بها من كوكبهم البعيد، بعد أن غاصت المسات ذات الأهداب الحادة في رؤوسهم.

تلك المسات التي كانت تتصل بقلب سفينتهم النابض، والذي كان يمدها بالطاقة، فانقلبت سحنتهم البشعة لتصير أكثر بشاعة، قبل أن يطلقوا خوارًا عنيفًا متألمًا، وكأنما أروحهم تسحب منهم، أو أن هناك من يسلخهم أحياء، لدرجة قد تدر عليهم بعض الشفقة التي لا يستحقونها.

ومع تغلغل المسات إلى كل نقطة عصبية في أجسادهم توقف الألم فجأة وبدأ الاتصال..

اتصال مشئوم لم يحدث من قبل..

اتصال تسبب في فتح فجوة بين عالمهم، وعالم مخيف يقع في ذبذبة أخرى لكوكبهم.

يطلقون عليه المنفى..

وهو معتقل كوني رهيب، يرسلون إليه من لا يستطيعون السيطرة عليهم من أعدائهم.

وفي أحد سجون ذلك العالم المظلم، وأشدهم إحكامًا وحراسة، والذي يحميه سحر فضائي خاص، ووسط الجليد الصناعي الكثيف، يقبع في سبات عميق أحد أشد المخلوقات وحشية وأكثرهم شرًّا وخطورة في الكون كله.

كانوا قد اكتشفوا وجود هذا الوحش الجهنمي- الذي يعتبر شعب كامل وحشي متلاحم في جسد واحد، والذي تتبدل خلاياه الخارجية وتتجدد كل ألف عام، كنوع مقنن الخلود بالنسبة لغيره من

باقي أجناس الكون -على أحد الكواكب الحارة الغير صالحة للحياة في مجرتهم البعيدة، عندما بدأوا في استكشافها منذ زمن بعيد، بعد أن أنهوا موارد كوكبهم وأصبح لا يصلح للحياة.

وعندما أدركوا مدى قوته، سجنوه بعد أن تسبب لهم في خسائر فادحة في سجنهم الكوني الرهيب، وربطوه بسحر كوني خاص مع نسلهم الملكي، ولم يتم استدعاؤه إلا مرة من أجل القضاء على سيطرة قاطني الكوكب من الهور والإفعوانيين والسينج والعمالقة؛ لتمهيد الكوكب ليسكنه اليورك، والمرة الثانية الآن بإيعاز شيطاني مشئوم، ربما لا تدركه هي نفسها.

في اللحظة التالية ضربت الصاعقة العقلية عقل وليد، ليجد نفسه يتابع كل شيء من منظور عين الطائر إنه بشكل مباشر في رأس الشيطان الابن نفسه، الذي كان يتابع المجازر الدائرة، والدماء التي تراق بنشوة عظمى.

ولساعات لم يعرف مداها كان يتابع ذلك الكيان الجهنمي المتكون من آلاف المخلوقات الشرسة التي كانت تفتك بما تبقى من الهور في الوادي الكبير، ولتتبعهم بالفارين من المدن، من بين قبضة السينج وهم يتحولون لأشلاء، قبل أن يفتك بعمالقة السينج أنفسهم..

ليسود صمت مهيب بعد المجزرة الرهيبة..

ومن وسط الصمت، ترددت تعويذة سحرية محرمة بلغة شيطانية رهيبة، كادت تتقوض لها الجبال التي أحاطت بالوادي عندما دوت في أرجائها.

وفي لحظة جهنمية تألقت وسط نهر الدماء، بوابة كونية رهيبة

عبرها كوتار طائرًا بجناحيه القويين؛ليحترق بداخلها دون أن يجد الوقت ليتألم أو يفهم، ممهدًا الطريق لعبور ابن الشيطان المنبوذ، وخدمه الثلاثة، إلى هدفهم المنشود.

أول لنقل أبنائه الثلاثة، من لقاءات غير مكتملة مع نساء السينج، فنصفه البشري أثر على قدر أبنائه، وقدراتهم.

ولكنه لن يتخلى عنهم كما فعل أبيه الشيطاني، وأمه البشرية الجاحدة، إنهم نواة جيشه القادم، كما إن قواهم المحدودة هنا لن تكون كذلك على كوكب الأرض.

وفور أن اختفت تلك البوابة الرهيبة، التي أصبح ابن الشيطان يملك سرها، ظهر عزرا بهيئته النارية في المكان، وهو يصرخ في غضب، وغل وحقد، بعد أن فر عدوه اللدود من بين يديه، وقد حاز من القوى ما لن يمكن أحدًا من إيقافه أو ردعه..

لقد تأخر كثيرًا..

ولكن الشيء الذي قلب غضبه هلع شديد، هو ذلك الإعصار الرهيب الذي هاجمه واحتواه بغتة، وأخذ يمزقه إربًا، ويحوله لأشلاء نارية، دون أن يمنحه القدرة على المقاومة أو رد فعل حقيقي.

وفي رأسه ترددت ضحكة مخيفة..

ضحكة ابن الشيطان..

الذي فاز بالحرب دون قتال حقيقي..

وانتقل بعد مجهود مضني إلى كوكبه الأم.

كوكب الأرض.

❁❁❁

الأرض

(10)

دوار رهيب أطاح بتوازن وليد، وجعل عقله يدخل في كمون طويل، لفترة لا يعلم مداها، وكأنما يأخذ عقله عطله إجبارية بعد أن تم استنزافه في التنقل بين الذكريات الدموية السابقة. والتي انتهت بانتصار ابن الشيطان، على رسول أبيه عزرا، وإطلاق القدماء الوحشيين الذي لا يعرف كيف سيعيد اليورك السيطرة عليهم، لأنه لو لم يحدث فقد شاهد بعينيه فناء الكوكب .. وهو مالا يتمناه حتى لو كان قاطنوه مجموعة من المتوحشين والطغاة.

الظلام يغلف روحه.

الظلام المريح بلا أفكار، أو مخاوف أو قلق من القادم.

الراحة الأقرب إلى الموت.

بلا وعي.

أو إحساس.

هل الموت مريح لهذه الدرجة ؟

ألهذا يطلبه الناس ؟!

هل سيستمر كل هذا الهدوء، ولن يعود ليزعجه ضجيج الحياة ؟

ولكن هذا لم يستمر إلى الأبد كما كان يتمنى.. ففي لحظة حاسمة عاد وعيه ليتجسد بداخل الغرفة ذات الأبواب اللانهائية، يشع بداخلها ذلك الضوء الأزرق الذي يريح أعصابه، ويشعره دائمًا بمزيج من الحميمية والحرية.

لقد عاد إلى الوطن.

عاد بكامل نشاطه العقلي، وبكامل فضوله لمعرفة نتيجة هذه المسرحية الكونية شديدة الدموية والتعقيد، والتي اشترك فيها أكثر المخلوقات شرورًا في البعدين، وفي عقله يدور سؤال مزعج:

- هل يمكن أن ينتصر ابن الشيطان في النهاية ؟!

وقذفه هذا إلى سؤال أخر أصعب:

- هل يمكن أن يموت الشيطان الأكبر، وإن مات فهل هذه هي نهاية الأرض والبشر بالفعل ؟.

الشيطان في دينه الذي لم يمارس شعائره منذ سنوات عديدة، مخلوق خالد بوعد إلهي، ويرتبط وجوده بوجود البشر، فهل يمكن أن تتغير النهاية لأي سبب من الأسباب؟!.

أم أنه بخلق ابن الشيطان المنبوذ، حانت النهاية بالفعل ؟

لم يرغب في أن يسقط في هذا الفخ الفلسفي،أو يضيع وقته في أسئلة قد تكون الإجابة عليها خلف الباب القادم.

عليه أن يزكي نيران الفضول التي شبت في عقله بمزيد من حطب المعرفة، عليه أن يعرف أكثر فربما يبدل شيئًا في حياته القادم، لو قدر له النجاة من هذا الفخ العقلي..

فلا يمكن أن تكون كل صلته بما يحدث أنه تعثر في ذاكرة ذلك السفاح مازن شهاب مصادفة، وبعدها قاده حظه العسر ليكون مطلعًا على هذا الكم الرهيب من الأحداث المشئومة والدموية، التي دارت في عوالم، وأزمنة مختلفة، إن لكل هذه المعرفة ثمن وهدف.

وبلا تردد ركز عقله فتألق أحد الأبواب ..

وفي أعماقه كان يعرف أن اختيار هذه الأبواب ليس عشوائيًا، ذلك الشيطان القابع في ركن مظلم من ذاكرته وراء الحجب العقلية هو من يقوده في رحلته، ولا يعرف إن كان يباركها أم يلعنها، وأيهما أفضل له.

والآن عليه أن يرى أي هول خلف الباب الجديد ..

تفاعل مع الباب عقليًّا، فانفتح وسحبته الدوامة الضوئية السوداءمن جديد، وهذه المرة وجد نفسه في أجواء ليست غريبة عنه، ولكنها تبعد زمنيًا عن حاضره بعدة قرون. لم تلقِ به الذاكرة هذه المرة إلى كوكب وحشي أو إلى بُعد الشياطين كما حدث في المرات السابقة، بل إلى مكان أكثر حميمة، إلى القاهرة وتحديدًا العام ١٥١٧م، وهو أحد أكثر الأعوام التي مرت عليها دموية.

وما أن تجسد وعيه في أحد شوارعها، حتى صكت مسامعه أصوات الانفجارات الناتجة عن احتراق ملح البارود مع الفحم والكبريت بقلب تلك البنادق العتيقة،التي كانوا يطلقون عليها في ذلك الوقت اسم (القربينة)، ذات عيار الـ ١٥ والـ١٨ مم، أحدث ما توصلت إليه قريحة تجار السلاح والدم في هذه الفترة المظلمة.

اندمج وليد مع الأحداث الساخنة المشتعلة أمامه بسرعة، حتى إن أنفه تأذت من رائحة البارود المحترق الكريهة التي عبقت الهواء،

وبددت صفو تلك الليلة الشتوية الباردة في أواخر شهر يناير، والتي غاب بردها، وحضر بدلًا منه ملك الموت ليحظى بوليمته الكبرى.

عيناه المندهشتان تتابعان ما يحدث أمامه بذهول، وأذناه ترصدان صرخات الفزع والهلع والألم التي ملأت الأجواء، مع صوت طلقات البنادق المزعج غير المعتاد، الذي أشاع الرعب في القلوب، وتلك البنادق الجهنمية تجتث الأرواح دون هوادة.

أثارت تلك الأسلحة الغريبة التي لم يروها من قبل، دهشة وهلع كل من رآها من المصريين والمماليك قبل أن يلاقوا حتفهم، فتلك البنادق تمثلت لهم كسلاح شيطاني مميت قادم من الجحيم، يقتل دون التحام مباشر، ويصدر ضجيجًا مروعًا.

شاهد وليد تلك البنادق العتيقة التي كانت تتفجر كالأبالسة، قابعة في أيدي مجموعة من جنود العثمانيين القساة، المدربين على استعمالها جيدًا، فما أن ينتهوا من إفراغها في أحشاء أحد الجنود الذين يعترضون طريقهم، أو فرد من جماهير المصريين الذين خرجوا للتصدي لهم، حتى يعيدون ملئها بالبارود من فوهتها، مع تلك الكرة الحديدة التي كانت تصل لمدى خمسين مترًا لتتصيد الجاهلين منهم، والغافلين عن حقيقة هذا السلاح الجديد.

وأمام أعين وليد الهلعة عاثت فرق العثمانيون الفساد في أنحاء القاهرة، وعلى طول الطريق المؤدي إليها، وكأن كل ما وقر في نيتهم هو إزهاق أرواح من فيها، فلم ينجُ من بين أيديهم شاب أو طفل أو شيخ أو امرأة.

كان الأمر أشبه بالمجزرة.. بل هو مجزرة حقيقية، صبغت شوارع القاهرة باللون الأحمر القاني، لون الدماء..

وبكثافة، ولكن بلا تنظيم حقيقي توزعت الفرق المسلحة عبر شوارع القاهرة، لإحكام السيطرة والردع. كانوا كالتتار يتعاملون بقسوة وهمجية، وبلا أي اهتمام بالقيم والأعراف أو الأرواح التي تزهق في طرفة عين.

خاصة في تلك البقعة كثيفة السكان والتي يقطنها مزيج مميز من الصناع والتجار والدراويش بالقرب من التكية، والتي تقع تحت حماية ابن زوهار، الذي أهجت الألسنة بذكره وسط ضجيج الطلقات وصرخات الألم والاحتضار.

تعجب وليد من تكرار هذا الاسم الغريب على ألسنة الضحايا، وعندما قرأ عقل أحد الضحايا قبل أن ترتقي روحه إلى السماء، تأكد أن ابن زوهار هو هدفه المنشود، وهو بطل هذه الذكريات.

فعبر ثلاثة عقود منصرمة. وهي الفترة التي استوطن فيها بن زوهار المنطقة- والتي لا يعلم أحد أين كانقبلها، ولا ماذا كان يفعل- تعامل معه سكان المنطقة والمناطق المحيطة بها على أنه حاكمهم، وقاضيهم، ومنقذهم الأوحد.

مجرد لفظ اسم ابن زوهار هو وثيقة نجاة وحماية، فنفوذه وسمعته طاغيان، واسمه له هيبته واحترامه. لذلك عندما هاجمهم الخطر، لم يدعوا غيره للذود عنهم.

ومن تفحص عقول أخرى لم يحمل أبطالها لقب الضحية بعد، أدرك وليد أن ابن زوهار شخص غير عادي، فجذوره يهودية، وهذا ما يدل عليه اسمه واسم ابنته، كما أن الأساطير التي تحاك من حوله تدير الرؤوس.

فهناك من يؤمن أنه يشفي المرضى بمجرد لمسهم، وهناك من يدعي أنه قادر على الطيران، والسير فوق الماء، والتهام النيران، ولا تنتهي كرماته هنا، فقد نسجت الأساطير الكثيرة عن اتصاله بالعالم السفلي، حتى إن هناك شائعة بين العامة تسري كسريان النار في الهشيم، أنه ابن أحد ملوك الجان من إنسية اختطفها أبوه وتعيش معه حتى الآن في عالم الجن.

لقد كادوا يصنعون منه نصف إله، وصوروه كمخلوق خارق، وربما هو من أصل أو أطلق بينهم هذه الشائعات، وهذا كله أثار فضول وليد كثيرًا، وجعله يتساءل بعد مشاهدته لتلك الجثث التي تناثرت في منطقة نفوذه، عن مصير ابن زوهار نفسه!.

فتلك المنطقة حسب ما قرأ في عقول من حملوا لقب الضحية الآن، لم يجرؤ مخلوق مهما كانت مكانته أو قوته على انتهاكها يومًا، أو مضايقة ساكنيها، لمعرفة الجميع أنها تحت حماية ابن زوهار أو الأعور كما يشاع عنه بين العامة..

والآن أصبحت منطقة مهجورة مستباحة، وكأنما لا كبير لها، بل وتحولت لبحر من الدم والدخان والأشلاء، على يد هؤلاء الجنود ذوي الهيئة الزرية، القادمين من وراء البحار.

والذين ظهر من رائحتهم وعيونهم المنتفخة أنهم لم يحظوا بنوم كافٍ أو راحة منذ فترة طويلة، بعد أن خرجوا منتصرين، والأهم عليى قيد الحياة من معركة الريدانية الشرسة، التي هُزِم فيها السلطان المملوكي طومان باي، وفر منها على أثر هزيمته، لتحصين القاهرة، وقلعتها التي سقطت الآن بين أيدي الغزاة.

كل الشواهد كانت تدل على أن ابن زوهار قُتل أو أنه ليس بالقوة التي يعتقدونها، أو أنه مجرد أسطورة شعبية، وككل الأساطير التي نسجت حوله بخرتها ألسنة اللهب التي ارتفعت في كل مكان لتنال نصيبها من أملاك المصريين وبيوتهم.

المشاهد والمعلومات التي تتدفق إلى عقل وليد بشكل سلس، جعلت إثارته تبلغ مداها، إنه يشاهد الآن أحد أكثر فصول التاريخ دموية، التي مرت بها القاهرة.

إن التاريخ كما يؤمن معظم العارفين،قصة مزيفة طويلة الأمد، وهاهو وليد يشاهد أحد فصولها دون زيف أو تجميل.

وهذه المرة لم يكن يشاهدها عبر عين ابن الشيطان من وضع عين الطائر التي اعتادها، بل صار له جسدًا شبحيًا شفافًا يتحرك به حيث يشاء، لقد مر بهذه التجربة من قبل في المحاكي، ولذلك فعلها عقله الباطن مجددًا، وهذا يدل على أن عقله الباطن أكثر استقرارًا من عقله الواعي الهلع.

امتلاكه لهذا الجسد الشبحي منحه حرية في الحركة أكثر، وهذا جعله يقطع القاهرة وضواحيها بسرعة مذهلة مكنته من الإلمام بتفاصيل تلك الفاجعة الكبرى التي أصابتها. فشاهد شجاعة المصريين، وعسكر المماليك، وهم يتصدون بالأقواس والسيوف والرماح، لهجمات العثمانيين الشرسة.

ولكن ماذا تفعل الأقواس والسهام والسيوف أمام القرابين التي كانت تتفجر كالشياطين لتفجر الرؤوس وتمزق الصدور وتطيح بالأطراف، والمدافع التي كانت تطيح بالدشم والمتاريس؟!.

شاهد ارتفاع منحنى المقاومة، وتفوقها في العديد من الأماكن، قبل أن يرى ارتدادها وتهاويها، بعد أن غطى صوت البارود على كل صوت أخر، فوهن الدفاع، وتحول لاستسلام بارد، ثم خيم الموت على كل شيء.

وهذه الليلة تحديدًا.. كانت من أظلم الليالي التي مرت على القاهرة فلم يتوقف فيها العثمانيون على إراقة الدماء، حتى إن الجثث كانت تتكدس في كل مكان، ووصلت إلى عشرة آلاف جثة، لتتحول شوارع القاهرة أمام عيني وليد إلى مقبرة مزعجة الرائحة يتجول فيها الموت دون حياء.

هذا غير عمليات النهب الموسعة، التي بدا وكأنها عملية منظمة لتجريف القاهرة من كل ما له قيمة.

حاول أن يتوقف قليلًا كي يهدأ عقله ويتخطى كل تلك الأحداث الدموية التي سممت روحه، ولكنه وجدقدميه الشاحبتين تقودانه رغمًا عنه إلى حارة واسعة تتمركز فيها إحدى كتائب الجييش العثماني، أو لنقل ما تبقى منها بعد ليلتهم الدموية الصاخبة.

وكانت هذه المجموعة هي ما تبقى من أحد أشهر فرق الانكشارية في الجيش العثماني والتي يطلقون عليهم لقب الصفوة، وقد وقع من نصيبهم تلك المنطقةالتي يقع فيها، بيت ابن زوهار وما حولها.

و الانكشارية، فرقة عثمانية دموية تلقت تدريبًا مكثفًا، فيما يشبه القوات الخاصة في حاضرنا هذا، كانت هذه الفرقة بالذات مشهورة بالوحشية والدموية والمهارة، فالمقاتل منهم بفرقة كاملة، ويقاتلون بشراسة شديدة ويسفكون الدماء بلا مبرر، وكأنهم يمارسون إحدى الألعاب لا القتل.

حاول وليد مرة أخرى أن يتجاوز كل ذكريات الدماء والجثث والأشلاء التي كانت تغص بها عقول هذه الفرقة الدموية، ولكنه وجد نفسه مجبر بشكل كبير على تتبع هذه الفرقة، وفي عقله يدوي اسم واحد..

ابن زوهار..

استمر وليد في متابعة تلك الفرقة الدموية وإن ابتعد عن قراءة عقولهم، لأنه يعلم أن ما بداخلها من قيح وكراهية كفيل بتسميم روحه إلى الأبد.

حتى أتى وقت الغروب، وعندها انفصلت عنها سرية صغيرة مكونة من ثلاثة جنود، ويعدون أكثر جنود هذه الفرقة دموية، وهم: شاشماز، وبوغرا، ونهال، والذي بدا من من نظراتهم المتبادلة إلى ذلك البيت المنيف الواقع في نهاية الحارة الواسعة، أنهم يضمرون له ولقاطنيه شرًا مستطيرًا.

وبكل سهولة قرأ وليد أفكارهم..

وتأكد من أن الطمع هو ما يدفعهم دفعًا، نحو بيت ابن زوهار الشبيه بالقلعة.

فبرغم أن البيت بهيئته المظلمة يثير الرهبة والروع في القلوب، إلا أن طريقة بنائه المتفردة، مع حجمه الهائل، أوحى بغنائم لا حصر لها.

كان البيت يقع في منطقة مميزة، ازدانت منازلها بالمشربيات، وقصرها القريب بالقباب، ومسجدها بالعمارة الإسلامية الدقيقة، وأبواب منازلها بالنقوش والزخارف.

كما كان يطل على السبيل والتكية، وقريبًا من السوق الكبير، الذي

تدمرت حوانيته الآن، بعد أن تم سلبها ونهبها وحرق بعضها على يد أجلاف العثمانيين الهمج.

سحر كل هذا الجمال والبهاء أعين الجنود الثلاثة دفعة واحدة، ولكنه تبخر بسرعة عندما اعترض مسارهم مجموعة من الأشخاص المذعورين، والذين كانوا يركضون في تخبط خارجين من بيت ابن زوهار ذي الجدران السوداء، والذي بدأ يغرق في الظلام مع غياب الشمس.

كانت هيئتهم رثة، وملابسهم غارقة في الدماء، والهلع مرتسم على وجوههم، وكأن شياطين الكون كله تطاردهم.

وأثار هذا دهشة العثمانيين الثلاثة، ففرقتهم أول فرقة تصل إلى المكان، مما جعلهم يتساءلون في قلق عن من سبقهم لسلب هذا البيت الكبير، ويطارد الآن الفارين،

وهذا جعل قبضتهم تشتد على بنادقهم وهم يصوبونها نحو البوابة في تحفز للإطاحة بمن يخرج عبرها، مهما كانت جنسيته، فلن تكون المرة الأولى التي يقتلون فيها بني جلدتهم من أجل الأموال والغنائم، لذلك تحفزوا وأصابعهم فوق أزندة بنادقهم. إنه جهد إضافي سيبذلونه عن طيب خاطر، وبعدها يحظون بغنيمتهم الكبرى.

ومع إمعانهم النظر وتوتر أيديهم فوق بنادقهم، بدا لهم للوهلة الأولى أن الظلام نفسه هو من يطارد تلك المجموعة المكلومة من الفارين، في محاولة مستمية منه لإعاقتهم، وعدم منحهم الفرصة للابتعاد عن البيت المشئوم، ولكنهم كانوا يركضون بسرعة رهيبة بأخر ماتبقى في أجسادهم من طاقة، لينجوا بحياتهم من براثن الظلام الجهنمي.

ظلام كثيف ثقيل، له هيئة مخيفة ورهيبة، يعلوه وجه شيطاني بشع يقبض القلوب.

تابع وليد هذه المشاهد المفزعة وهو في حالة من الدهشة.

إن عقله عاجز عن استيعاب هذا التطور المخيف في الأحداث، مما جعله يتساءل عن سر هذا الظلام المريب ذاتي الحركة، وعن سر الصرخات الرهيبة التي كان يطلقها كل من تمسه قبل أن يتفحم، ثم كان تساؤله الأخير وهو يرى تلك المرأة النحيلة التي اختفت من أمامه وهي تصرخ بأقصى ما في حنجرتها من قوة:

هل ما سحب تلك المرأة الفارة إلى أعماق الظلام هي مخالب دخانية؟!

الإجابة سوء أكانت بلا أو نعم لن تكون مريحة.

قرر ألا يبحث عن تفسير الآن بل أخذ يتابع الانكشاريين الثلاثة الذين تسمروا في أماكنهم، وهم يشاهدون اقتراب ما تبقى من الفارين منهم، وانسحاب الظلام في هدوء إلى داخل البيت المظلم، ليسمعوا صوت البوابة العملاقة تغلق في قوة، قبل أن يعترضوا هم طريق الفارين، ليعملوا فيهم سيوفهم، وكأن استخدم البنادق سيكون أقل قسوة.

لم يكونوا يقتلونهم فقط، بل كانوا يمزقونهم إربًا..

لم توقفهم تضرعات النساء، ولا ضعف الرجال، ولم تعد سيوفهم إلى غمدها إلا بعد أن مزقوا الفارين جميعًا، ومثلوا بجثثهم، فبقروا البطون، وقطعوا الرؤوس، ومزقوا الأطراف، وأخرجوا الأحشاء، قبل أن ينقضوا على الجثث؛ ليقطعوها إلى أربعة أجزاء.

كان المشهد مفزعًا إلى درجة غير مسبوقة..

هم أنفسهم لم يتوقعوا أن يمارسوا القتل بهذا القدر من الوحشية غير المبررة.

ما شعر به وليد عندما قرأ عقل نهال وهو أقرب الجنود إليه، إن هناك شيئًا غامض أصابهم، وسيطر على أفعالهم، فبرغم دمويتهم وهمجيتهم، ولكن تلك المجزرة التي قاموا بها في الدقائق السابقة لم يكن هناك دخل لإرادتهم بها، كانوا مجرد أداة للقتل استعملتها قوة خفية دموية.

كانوا كالمغيبين، وكأنما تلك الروح الشريرة التي تلبستهم، وجعلتهم يمثلون بجثث كل قتلاهم، قد قضت على إرادتهم، حتى أفنوا كل من قابلهم من بشر في هذه المنطقة؛ ليسود صمت رهيب في المكان لم يقطعه إلا صوت لهاثهم وشهقاتهم الغير مصدقة لما اقترفته أيديهم.

والعجيب أنهم عندما استفاقوا جزئيًا، لمحوا بين القتلى جثث خمسة من زملائهم، فمتى اشتبكوا معهم، ومتى قاتلوهم، وقتلوهم.

أما ما وترهم أكثر، هو سماعهم لصوت قاهر يدعوهم للدخول إلى البيت المشئوم الغارق في الظلام.

لماذا توتروا جميعًا عندما سمعوا هذا الصوت ؟!

لأن الصوت دوى بداخل عقولهم ولم تسمعه آذانهم.

هل بدأوا يخرفون ؟!

أم أنهم بحاجة ماسة للراحة ؟!

أم هم سحرة مصر ؟.

هذه الأفكار دوت بعنف في عقل شاشماز ورصدها وليد، فششماز لديه ميراث هائل من تلك الحكايات، التي كانوا يقصونها عن سحرة مصر وخبثهم، وقدراتهم التي بلا حدود..

وما وقر في عقله الآن أن هؤلاء السحرة الجبابرة يساندون بلدهم الآن، وعندما فكر في الأمر قليلًا أدرك خطأه، فكيف يساندون بلدهم، وهم يفتكون بمواطنيهم أيضًا، إن في الأمر شيء خبيث ومريب؟.

وبطريقة ما انتقلت الفكرة لزميليه، نهال وبوغرا، وتبادلوا النظرات الهلعة، وهم يمسحون ببصرهم مكان المجزرة التي ارتكبوها منذ لحظات، قبل أن تتوقف أعينهم على بوابة البيت السوداء المغلقة..

لابد وأنها تخفي الجحيم خلفها !.

المكان كله غير مريح، وتفوح منه رائحة الموت، وكأنه جبانة أو مقبرة، لا بيت يقطنه الأحياء..

أي قوة سوداء تعبث في عقولهم.

دار بينهم نقاش حاد لا يعرفون كيف بدأ.

شاشماز، يخبرهم أنه يسمع اسمه يتردد بلا انقطاع، وكأن هناك طفلة تنادي عليه من بعيد، بينما نهال يقص عليهم أنه يسمع اسمه يتردد بصوت أنثوي مثير، في حين كان بوغرا يسمع اسمه من شخص أجش ولكنه يوحي بالاطمئنان.

وفي لحظة واحدة أدركوا أن هناك من يقاتل ليجعلهم يلجأوا إلى البيت الذي يقبع بداخله الظلام الرهيب.

وكان من الواضح أنه لن يبذل مجهودًا كبيرًا.. فقد عادت تلك المشاعر المريبة تتلبسهم، وعادت الأصوات لتناديهم، وعلى الفور تبخرت إرادتهم ووعيهم، وكالمغيبين قطعوا الطريق بجوار السور الحجري المرتفع المطلي بالسواد، واقتربوا بهدوء من البوابة المغلقة، ووقفوا أمامها وكأنهم ينتظرون شيئًا مهمًا يجهلون عنه كل شيء.

ولم تمضِ ثوان معدودة حتى انتفضت أجسادهم بقوة، عندما انفتحت بصخب مرتفع، بوابة البيت الخشبية السوداء المدعمة بالحديد، والتي نقشت على واجهتها نقوش عجيبة تثير الريبة، وكان أبرزها غراب أسود مشؤم نائح يقف فوق جثة شخص صارخ، و يلتهم من جمجمته.

تقدموا نحو البوابة بخطوات ميكانيكية، قبل أن تغلق خلفهم، وتتلاشى تلك القبضة المسيطرة عليهم.

ما رأوه خلف البوابة جعلهم يتسمرون في أماكنهم، فالساحة التي ظهرت خلف البوابة كانت مظلمة ظلام حالك.. أعماهم عن رؤية ما يوجد داخل ساحة بيت ابن زوهار، وذكرهم بتلك اليد الدخانية المخلبية التي اقتنصت المرأة من أمامهم منذ وقت قصير، وهذا جعلهم يتوترون ويتحفزون أكثر .

وليد نفسه كان يتابع الأحداث المتلاحقة في تحفز، غير مصدق أن كل هذه الأهوال يمكن أن تجتمع في مكان واحد بدائي إلى هذا الحد، إن النحس أو غضب السماء قد صب على قاطنيها بكرم بالغ.

عقله يحاول أن يستوعب أنه في قلب القاهرة العتيقة شاهد سفك الدماء بكمية لم يتخيل أنها يمكن أن تحدث في ليلة واحدة على يد العثمانيين،

ثم شاهد الظلام يتحرك ويحرق، وتنبت له مخالب تقتنص الفارين، ثم عاصر بعقول الجنود العثمانيين الثلاثة سيطرة قوى غامضة عليهم، والآن يشاهد ظلام دامس رهيب يكاد يبث اليأس والقنوط في القلوب، وكأن له حياة خاصة.

أخذ ينتقل بين عقول الجنود الثلاثة في سلاسة وسرعة، وأدرك أن الشيء الذي أفزعهم أكثر من الظلام، أن الساحة التي تقع خلف البوابة كانت خالية، ولم يكن يقف بداخلها أحد، فمن فتح لهم البوابة الضخمة التي تحتاج لعدة رجال لزحزحتها ؟

ارتجف نهال عندما استعاد وعيه، وصرخ في رفيقيه:

- « اللعنة على هذا المكان، هلموا بنا لنغادر ».

قبض بوغرا على ذراعه بيده القوية، وهو يستعيد رابطة جأشه، ويقول بصوته الأجش القاسي:

- «هل ستخيفك ألعاب الصبيان هذه يا نهال، إنك من الانكشارية، وخضت معارك كثيرة رأيت فيها الموت أكثر مما رأيت زوجتك، هيا سنقتحم هذا المكان المدنس، وبعد أن نحصل على غنائمنا نحرقه.. لن يمنعنا عنه سحر أو شيطان .. هذا المكان اللعين لنا رغماً عمن فيه ».

قالها وهو يندفع نحو الساحة المظلمة، وهو يتوقع أن يتبعه رفيقاه، وعندما لم يلمح من أي منهما ما يؤازره،استدار ليحثهم على التقدم، وعندها شعر بتلك اليد القوية التي جذبته بقوة ليندفع ويختفي في الظلام.

انتفض شاشماز ونهال عندما لمحا تلك اليد المخلبية المخيفة التي جذبت بوغرا ليغرق في الظلام.

كانوا على وشك الهرب، لكن ما دفعهم للخوض في الظلام، هو صراخ بوغرا، وطلبه النجدة منهم.

وعلى الفور نفضوا خوفهم وترددهم واندفعوا إلى أخر مكان رأوه فيه. كان من الواضح أنهم تحرروا من تلك القوة السوداء التي كانت تسيطر عليهم تمامًا، بعد أن أغلقت البوابة خلفهم.

وبقلب الساحة وقفوا وقد قبض كل منهم على بندقيته وتأكد من جاهزيتها، وبدأ شاشماز ينادي على بوغرا بصوت مرتفع، أخذ يتردد صداه في المكان :

- «بوغرا.. بوغرا.. أين أنت.. بوغرا.. بوغرا.. أصرخ.. تكلم لأعرف مكانك.. تكلم أيها اللعين».

وما أن أنهى شاشماز جملته، حتى ظهر من قلب الظلام فتاة قبيحة، وإمرأة عجوز هي أقرب للأموات منها إلى الأحياء. وعندما وقع بصرهم على الفتاة والمرأة، انفجر نهال باكيًا، ثم قال :

- « إن هذا المكان ملعون .. أقسم بأرواح أجدادي أنه مكان دنس».

لم يكن نهال وحده من يرتجف، بل كان شاشماز مثله وأكثر، وقد استعاد في عقله مخزون حكاياته عن سحرة مصر وغيلانها، ومردتها القساة، وكان يتعجب من كونهما جنديان مدربان ومسلحان ويشعران بكل هذا الخوف، من فتاة قبيحة وامرأة.

هل هو الظلام ؟

أم مشهد تلك اليد المخلبيةالتي اختطفت بوغرا من أمامهم ؟

أم عيون تلك المرأة العجوز، والفتاة التي تصحبها ؟!

لا إجابة حقيقية.

توتر جسديهما، وانفجرت في عروقهم الرغبة في الحياة، يدفعهما إليها الخوف الرهيب الذي سكن وجدانهما. وبتنسيق مدهش وبدون إعداد ألقيا سيفيهما الغارقان في الدماء، وأخرج كل منهم قربينته، وأطلقها على الأنثى التي تقف أمامه.

دوت الطلقتان ليتردد صداهما في المكان، وغمرت رائحة البارود الجو، وأصابت القذيفتان الفتاة والعجوز في أماكن قاتلة.

فقط..

لم تمزقهما القذيفتان كما كان متوقعًا منهما مع قصر المسافة الفاصلة بينهما، فقط تمزقت الثياب، وظهر على وجهيهما غضب شديد.

كان الأمر بالنسبة لشاشماز ونهال مرعب لأقصى مدى، لقد قهرتا المرآتين الموت بكل بساطة، وتصدى جسديهما للمقذوفان وكأنهن خلقن من معدن أسطوري، لا من لحم ودم.

وقبل أن يعبرا المفاجأة، أو يتمكنا من إعادة تلقيم بنادقهم، ظهرت العجوز وسطهم وعلى وجهها تعبير مخيف.

كانت تبتسم في قسوة..

هل رأيتم من قبل جثة تبتسم، إذا أرحتموني من عناء الوصف، فقط لتضيفوا لما في ذاكرتكم من تفاصيل أن عينيها الواسعتين، استحالتا بيضاويين، في منظر كاد يوقف قلوبهم في صدورهم.

وبدون اتفاق، قرر الاثنان الفرار..

ولكنهما كانا قد تأخرا كثيرًا، فالفتاة القبيحة اعترضت طريق نهال،

فهو من أطلق عليها النار، وعلى وجهها ابتسامة أكثر بشاعة من ابتسامة العجوز البشعة.

هل كان وجهيهما متآكلان، وجلد بشرتهم يكشف عن عظام نخرة أم أنها لعبة الظلال والظلام الخادعة ؟!

بالطبع لن يستطيعا التأكد لأنهما خلال لحظات أطاحت بهما قوة غير مرئية، بعد أن أطلقت الفتاة صرخة عاتية زلزلت عقليهما، وأفقدتهما كل قوتهم.

وهما على مشارف فقدان الوعي، لمحا ما يشبه اثنان من القصابين ضخام الجثة بشكل مروع، ثيابهم الفضفاضة غارقة في الدماء، وبنطاق كل منهم مجموعة من السكاكين الحادة، تلاقت أعينهم في روع، ودون أن ينطق أحدهما أدرك كل منهما مصيره القادم.

وما حدث في اللحظات التالية، كان أبشع من كل ما أرتكبوه من جرائم قتل وسفك دماء حتى وصلوا لذلك البيت الملعون.

ففي توقيت واحد، وبقوة مخيفة حمل كل قصاب منهم أحد الإنكشارية على كتفه، فبدا وكأنهما لا وزن لهما، وسارا بهما بقلب الظلام، والعجيب أنهم كانوا يرون بداخل الظلام ولا يرون عبره..

قطعوا جميعا الساحة، ثم هبط بهما القصابان درجات عديدة، وعبرا بهما باب سميك إلى مكان تضيئة المشاعل بشدة.

عميت عيونهم للحظات كانت كافية للقصابان، اللذان تحركا سويا، وقاما في وقت واحد، بتعليق كل من نهال وشاشماز على خطاف حاد يشبه خطاطيف الجزارين، لتنطلق صرخاتهما لترج القبو في قوة، وتيار حاد من الألم يمزق عقليهما..

كان الألم حاد وطاغي، وكلما تحركت أجسادهم، زاد نشوب الخطاف في اللحم والعظم، وتضاعف الألم.

فقد نهال الوعي من أول لحظة، بينما ظل شاشماز يعاني لوقت أطول دون أن يحظى بتلك الهبة الإلهية، بسبب بنيته القوية.

وعندما هدأ الألم، وعلى أضواء المشاعل، حرك شاشماز عيناه ليستكشف المكان، واتسعت عيناه في قوة، وغاض الدم من وجهه وأحتبس الهواء في حلقه، من تأثير ذلك الهول، الذي يراه أمامه. وكادت روحه أن تزهق عندما ارتجف ليتجدد ألمه مع تغلغل الخطاف أكثر في لحمه.

ففي قبو البيت الفسيح، والذي كان يشع بضياء عشرات المشاعل، ظهر أمامه عدد لم تحصيه عيناه من الجنود العثمانيين والمواطنين المصريين والمماليك، معلقين على الخطاطيف في سقف المكان، وتتساقط الدماء من أجسادهم الممزقة إلى قنوات حفرت في أرضية المكان بشكل كابوسي، ومن حوله يتعالى طنين بشع، هو مزيج من أنين وتأوه العشرات من الأجساد المعلقة فوق خطاطيف مماثلة لذلك الخطاف الذي يخترق كتفه.

حاول أن يفهم، أن يعمل عقله، ولم يجد إلا تفسير واحد منطقي إلى حد كبير، لقد مات وذهب إلى الجحيم، وهؤلاء القادمين نحوه هم زبانية الجحيم، وبكل ما بداخله من قوة صرخ.

ففي اللحظة التالية، وقبل أن يستفيق من الصدمة، بدأ العذاب الحقيقي.

فقد تقدم نحوه مجموعة من العبيد سود البشرة، يرتدون على

وجوههم أقنعة بدائية من الخيش، وقد رسم على كل قناع رمز غامض، وامتلاء بحروف عجز عن قراءتها، خاصة عندما بدأت السياط تشق جلده ولحمه، وجلود ولحم العشرات المعلقين من حوله في الخطاطيف.

ليدوي في المكان صوت جهوري، لشخص غامض كان ينطق بكلمات مخيفة بلغة رهيبة ذات مخارج وحروف ثقيلة، ولكنه كان يفهما، وهذا أثار رعبه أكثر، وجعله يوقن أن جنة مصر التي حدثوه عنها مجرد وهم، وأن ما ينتظرهم في مصر هو الجحيم بعينه، وكان الصوت الجهوري يصرخ، بلهجة أقرب إلى التضرع قائلا :

- بالألم والدماء نستدعيك.. بالألم والدماء نستجديك ..يا سيدة الأسرار، يا أم الجماجم.. يا ملكة الظلام.

ومع كل ضربة من السياط اللاهبة، التي كانت تصيب جسده بلا تميز كانت دمائه تتدفق بغزارة، وكأنها مصنوعة من نصال حادة، لتغمر دمائه تلك القنوات المتصلة، وليدوي الصوت مرة أخرى، في أرجاء القبو هادرا، بتلك اللغة القديمة التي يطلقون عليها لغة الجن، ولا يعلمها في هذا الوقت الحرج إلا عدد محدود يمكن حصره ببساطة على أصابع اليد الواحدة:

- الموت لتبعثي.. والدماء لتتحرري.

كان يرددها ذلك الشخص النحيل الذي أرتدى فوق وجهه قناع أنوبيس إله الموت عند الفراعنة دون توقف، فبدا شكله مفزع بقناع ابن أوى هذا، وهو يتوجه بالترانيم والعزائم والتضرع إلى قمقم نحاسي متوسط الحجم، مختوم بإحكام بمادة عجيبة ملتهبة، وكأنها

قطعة من المجمر المشتعلة ذات صفات صلبة.

وهنا انتقل عقل وليد الذي أفزعه هذا الكم من القسوة والدموية، إلى عقل ذلك اليهودي زائيف ابن زوهار، والذي كان يرتدي على وجهه قناع أنوبيس ربما ليخفي عينه التالفة، وبدأ يعرف ما لا يعرفه أحد غيره عن هذا القمقم الغامض.

إنه قمقم قديم، يسبق عصره، عصر سليمان عليه السلام، وبالطبع لا يخص أحد هؤلاء الجن العصاة الذين سجنهم، سليمان عليه السلام في تلك الأواني النحاسية عقابا لهم على عصيانهم له.

الأمر أقدم وأكثر غموضا وظلاما.

الآن يعرف من هو سجينه، أو سجينته لو أردنا الدقة، ومن هو سجانه، ويعلم حقيقة الختم الملعون الذي ختم به هذا القمقم النحاسي.

فالختم الملعون هو ختم الشيطان الأكبر. إبليس هو من ختم هذا القمم بنفسه، وحصنه بالعزيمة السوداء؛ ليسجن بداخله تلك الماردة (آجر)التي كانت ذات يوم، واحدة من أشد أعوانه إخلاصا له..

سجنها بسبب خيانتها له، ولأنه لم يستطع الفتك بها وقتلها؛ لأنها استخدمت نفس السحر الذي أعجزه عن قتل المنبوذ، وربطت مصيرها بمصير أحد النجوم، كما علمت ابن الشيطان ليفعل من قبل.

سجنها بعد أن قبض عليها أعوانه من ذرية المدون، ونقلوها من الأرض إلى مملكة الشيطان، بعد أن توصلوا لعلاقتها بقتل المدون، وأثناء التعذيب الرهيب الذي أشرف عليه إبليس بنفسه، اعترفت له بوجود المخطوطة، وأنها هي وسيلة ابن الشيطان الوحيدة للوصول

إليهابعـد أن أخفاهـا في مـكان لا يعرفـه غـيره.

والآن جاء شيطان البشر.. ليخرج هـذه الشيطانة المريـدة من سجنها النحـاسي الضيق..بطقـوس دموية لا مثيـل لهـا، مستغلًا الفـوضى التـي حصلـت مـع الغـزو العثماني للقاهـرة، والفرصـة التـي سنحت لـه ليقـدم تضحيتـه الكبرى..ليقـدم القربـان.

مائة روح..

مائـة روح ستكون دماؤهـم، مـع العزيمـة المضـادة هـي المفتـاح لكسر خاتـم القمقـم..

وساعتها ستتحرر آجر..

التي ستمهد بالصلة التي تربطهابالشيطان الابن لعودته..

❁❁❁

(11)

كل شيء في عقل وليد تشوش، ولم تعد هناك نقاط ظاهرة فوق الحروف التي تكمل الصورة، الحقيقة أن اسم ابن الشيطان ظهر سريعًا في هذه الذكرى، ولكن اسمه فقط هو الذي ظهر.

والمعلومات التي جمعها وليد من ذاكرة ابن زوهار تدل على أن عودة ابن الشيطان تأخرت كثيرًا، وربما آلاف السنين عما هو مقرر لها، فمغادرته لكوكب الجبابرة والطغاة تمت منذ فترة سحيقة بمساعدة كوتار، هو وأبناؤه الثلاثة.

كما أنه شاهد عودة الشيطان الابن، في تلك الذكرى البشعة التي كان يلتهم فيها جثث الموتى في تلك المقبرة التي تعود لعصر الملك فاروق، وهو زمن يبعد أكثر من خمسة قرون عن هذا الزمن، فأين الخلل في هذا الجزء من القصة؟!

وكالعادة مع الأسئلة التي لا إجابة عليها في حينها، قرر وليد أن يكمل مغامرته، ولتجاب كل الأسئلة في وقتها.

كان وليد يدرك أن الأيام الأولي من الغزو العثماني للقاهرة، كانت صعبة وطويلة على كل من عاصرها وبقي على قيد الحياة.

بدت وكأنها بلا نهاية..

سادت فيها الفوضى، والسرقة، والخطف، وسفك الدماء.

وأصبح الخوف يرتع في النهار والليل، وصار أسرع القادمين لزيارة المختبئين المرتعدين، المهددين بفقدان حياتهم. سواء على أيد العثمانيين، أو اللصوص الذين استغلوا الفوضى، واستحلوا كالغزاة كل شيء، أو ذلك المشعوذ المخيف الذي حول قبو بيته الكبير إلى مسلخ بشري عملاق، فاحت منه رائحة الموت والدماء.

والذي استمر معاونوه في جلب الأضاحي البشرية مستترين بالفوضى الضاربة أطنابها في كل مكان، لليوم التاسع على التوالي دون أن يتحقق غرضه أو يتم التواصل المشئوم، الذي من أجله أراق نهرًا كاملًا من الدماء، دون أن يفرق بين غازي وبين أبناء وطنه لو كان يحمل للأرض التي أوته هو، وابنته أي انتماء.

تسعمائة نفس أزهقت دون جدوى، ودون أن يكسر ختم القمقم الشيطاني، أو تتحرر تلك الشيطانة آجر.

وكأن كل الدم الكثيف الذي تشربته الأرض، والأرواح التي أزهقت أقل مما تتطلبه العزيمة التي أعدها ذلك اليهودي الخبيث زائيف ابن زوهار.

ومع طول أمد الطقوس، وفشلها المرة تلو الأخرى، ومع ارتباطه بذاكرة ابن الشيطان، وعدم قدرته على ترك المكان، قرر وليد أن يلم بكل ما يستطيع الوصول إليه من تفاصيل عن حياة ابن زوهار، وكان ما عرفه رهيبًا.

فابن زوهار لم يكن فقط عرافًا ومشعوذًا يقرأ الطالع والنجوم،

وتحاك حوله الأساطير التي يروجها الدراويش القاطنين في التكية القريبة من منزله، والذي كان يختصهم بجزء كبير من اهتمامه، فهم إعلام هذا العصر وبوقه، فلو أعلن أن فلان ملعون، فسيعرف القطر كله في غضون ساعات الخبر.

بل كان ساحرًا أريبًا مارس السحر الأسود بإفراط وذاع صيته بشدة في حينه، كما أن علاقته ببعض ذوي النفوذ من المماليك، جعلت له مكانة مرموقة، وحصانة.. فقضى جل حياته في تجارة العبيد، وإذكاء المؤامرات في القصر من وراء الستار، دون أن يتوقف لحظة واحدة عن ممارسة فنون السحر الأسود.

المقربون منه لم يكن باستطاعتهم تحديد ديانته الحقيقية، فأحيانًا يصلي كالمسلمين، وأحيانًا أخرى كاليهود، وأكثر الوقت كان يسجد للنار كالماجوس، كما أنه كان يعتكف في ذلك المرصد الموجود أعلى منزله بالشهور لا يناجي إلا النجوم، ولو دخلنا في أعماقه أكثر لأدركنا أنه يعبد نفسه، إنه مريض لأقصى مدى بعشق ذاته.

صلته برجال المال والسياسة في الدولة لم تكن سرية، ولكنها لم تكن معلنة أو تلوكها الألسنة دون رهبة، الجميع كانوا على علم أنهم لا يتخذون قراراتهم المهمة إلا بعد أن يقرأ لهم الطالع والنجوم، ويخبرهم بالمستقبل.

وكثيرًا ما كانت النجوم تؤيد مصالح ابن زوهار المشتركة، لذا كانوا على يقين أن معظم نبؤاته هي قراءة واعية ودقيقة للواقع السياسي والاقتصادي أكثر منها كفعل خارق، وهذا لم يقلل من هيبته بل ضاعفها.

كما لم يخفَ على أحد ولعه بالكتب ولا بالمخطوطات القديمة، فكان ينفق عليها ببذخ جعلهم يشكون في أصله اليهودي.

كما أن رجاله- وبناءً على تعليماته المشددة- حرصوا كل الحرص على التواجد في أماكن المزادات الخاصة بالاكتشافات الأثرية، حيث يتم بيع تلك البرديات أو الكتب القديمة، أو الرقاع المدفونة، أو المومياوات التي يعثر عليها سارقي القبور والآثار، والمنقبين عن الكنوز.

كما تنبأ في رؤاه السابقة، بكل تلك الكوارث التي أطاحت بكل شيء. مرج دابق، والريدانية، ونهب القاهرة،

كما أخبرته رؤاه بمصير الأمير المملوكي الهارب طومان باي، ونهايته الوشيكة التي ستكون شنقًا على أحد أبواب القاهرة، بعد قيامه بقيادة المقاومة الشعبية ضد العثمانيين لفترة قصيرة، سيكبدهم فيها خسائر فادحة .

كما قادته رؤاه الدموية لمعرفة مصير الآلاف من سكان القاهرة ممن قتلوا وتبعثرت جثثهم في كل مكان، فاستغل هذه الفرصة التي لن تتكرر في العمر مرتين؛ لتكون دماؤهم هي المفتاح الذي سيقوده لإنفاذ العزيمة المحرمة التي ستقوده إلى هدفه الكبير..

إلى كسر ختم القمقم.

لذا فمنذ أزهقت أول روح على أبواب القاهرة، وتشربت الأرض دماءها، بدأ يمارس طقوس وثنية قديمة بل ضاربة في القدم.

فأخذ يصلي للنجوم لساعات طوال في مرصده، ويبتهل إلى الآلهة القديمة التي كانت تزور الأرض في السابق والتي امتلك علم المعرفة بها من تلك البرديات الفرعونية القديمة التي أحضرها

لـه أتباعـه قبـل عـدة أعـوام، بعـد أن عثـر عليهـا بداخـل مقبـرة فرعونيـة قديمـة تشـوهت نقوشـها، ودفـن مدخلهـا خلـف ثلاثـة مـن الجـدران الحجريـة، وكأن هنـاك مـن حـاول طمـس تلـك النقـوش وإخفـاء المقبـرة نفسـها.

وكانـت تلـك البرديـات الفرعونيـة المشئومـة تتحـدث عـن تلـك الآلهـة التـي كانـت كانـت تـزور الأرض قديـمًا في مراكـب مـن حديـد تنفـث اللهـب، تلـك الآلهـة التـي اسـتعمر أحدهـا الأرض لفـترة طويلـة مـن الزمـن، وكان يمـوت ويبعـث كعنقـاء أبديـة لا نهايـة لهـا.

تلـك الآلهـة التـي يشـك في حقيقـة توصيفهـا، ولكنـه متيقـن مـن وجودهـا وقدراتهـا..

كان يعلم حقيقتهم..

السحرة الأوائل الذين أتوا من خارج كوكب الأرض.

ربـما مـن مملكـة السـحرة خلـف النجـوم، أو مـن مملكـة الشـيطان السـماوية.

وفي كل يوم كان يردد النداءات الطقسية الملعونة، ويعد العدة لكسر الختـم الشـيطاني، الـذي حـول القمقـم لسـجن منيـع، يحبـس بداخلـه أحـد أعظم أعوان الشيطان..

الماردة العجوز آجر.

حاملة السر.

وحارسة المخطوطة.

فخـلال الألـف عـام الأخيـرة، ظـل أمـر حارسـة المخطوطـة سري

للغاية،وغير قابل للتداول إلا بين جماعة محدودة من الغجر الرحل، الذين لا يستقرون في مكان واحد طوال العام، ويقطعون العالم في رحلة هروب مستمرة، من سحرة الشيطان الذين كلفهم بتتبع أي أثر يظهر للمخطوطة، وغلظ عليهم القول بألا يعودوا إلى مملكته إلا بعد العثور عليها أو لا يعودون مطلقًا.

آجر نفسها لم تكن تعلم أي شيء عن مسألة الغجر، ولا عن مفاتيح السر التي يحملونها والتي تقود إلى حيث دفنت، فهي لم تطلع مخلوق على سر المخطوطة قبل القبض عليها. إلا كاهن فرعوني حاذق، كانت تثق به كما تثق في نفسها.

وهذا الكاهن مات دون أن يخبرها بسر هذه الجماعة، التي حملها مسئولية الحفاظ على سر القمم حتى يجدوا وسيلة فعالة، لكسر خاتمه. بعد أن رصد وجوده بأثر السحر الأرضي الذي استخدمته لتتخفي بعد أن هربت من عالمها بمساعدة معلمها يوناس، والذي لم ينتهِ فاعليته بحبسها بداخل القمقم على يد ابليس اللعين.

وصل الكاهن لمكان القمقم، وحاول كثيرًا، تحرير صديقته المماردة من سجنها الشيطاني المحكم، ولكنه لم يستطع تحريرها.

فالأمر كان أكبر من إمكانياته وأعظم من رغبته، ويحتاج لتضحية دموية كبرى، لا يملك أن يقوم بها، أو يسمح بها ضميره.

فقام بنقل القمقم من مكانه إلى مكان سري، وأعد له خريطة تقود إليها مفاتيح سحرية خاصة، وكلف عشيرة من الغجر الرحل، كانت تدين له بالولاء، بعد أن قام بتحريرهم من العبودية، بحفظ السر حتى يأتي بينهم من يستطيع تحريرها.

وظل السر ينتقل من جيل إلى جيل عبر مجموعة مصطفاة من نسل مؤسس الجماعة، خلال طقوس فرعونية سرية فردية خاصة.

فلا يعرف المختار حقيقة السر الذي عليه حفظه إلا بعد موت من يسبقه، وعندها يتجسد له الغراب ليخبره بالسر، ولكنه يهيأ طوال العمر لحمل هذا السر.

وحاليًا لا يعرف السر إلا ابن زوهار وابنته، بعد أن قتل الغجري الأخير نفسه عن طريق تعويذة سحرية قديمة مزج بها دم أحد الصقور ببعض من المواد الخاصة، وأطعمه لأفعى، سممت جسده ودمه، ومنعت الغراب من التجسد لنقل سره لمن تلاه، بعد أن اعتنق إحدى الديانات التي تحرم السحر، وتلعن ممارسيه.

وحصل ابن زوهار على كل هذه المعرفة والمعلومات، والعلوم السوداء، وعلى قدرته الفائقة على التنبؤ، عن طريق التهام قلب مومياء ذلك الكاهن الفرعوني، بعد أن استجوب جثته مصادفة ضمن العديد من الجثث الأخرى التي حصل عليها رجاله، في طقوس رهيبة استمرت لثلاثة عشر يومًا، قام فيها بأعقد طقوس نيكرومانسي قام بها ساحر في المائة عام الأخيرة.

وعن طريق هذه الطقوس الشنيعة التي كادت تزهق روحه، وأضعفت جسده وفقد خلالها عينه اليسرى، عرف سر المخطوطة، وسر آجر، وحكاية الشيطان الابن المارق.

لذا كان إحباطه مضاعفًا مع كل الدماء التي سالت في الخارج من العثمانيين والمصريين والمماليك، والدماء التي تسيل في قبو منزله بعد أن أزهق تسعمائة نفس في تسعة أيام، غير من حاولوا الهرب وقتلهم

رجالـه، أو ماتـوا مـن الرعـب في أقبيـة منزلـه ، والتـي لم تـأتِ بالنتيجـة المرجـوة.

ولكنـه لم يكـن يملـك إلا الانتظار والمحاولـة من جديـد، بعـد أن أعـاد استنطاق مـا تبقـى من مومياء الكاهـن، والتي عـرف منهـا أن الأمر قـد يحتـاج للمزيـد من الدمـاء.

ولم يكن هو وحده من ينتظر هذه اللحظة الكبرى..

أفيطـال زوهـار زائيـف، كانـت تنتظـر هـي الأخـرى هـذه اللحظـة الحاسـمة، وأفيطـال هـي ابنتـه، كـما يخبرنـا اسـمها، وسـميت أفيطـال تيمنًـا بزوجـة داود عليـه السـلام، وكانـت أفيطـال هـي ذراعـه اليمنـى، وهـي التي قـادت كل حملات البحث عن القمقم المختوم، حتى عثرت عليه.

وبرغـم أنـه لم يتواجـد عبر التاريخ المعلوم، أو تاريـخ السـحرة السري غير المتداول، دليـل واحـد يدعـم قصـة والدهـا بوجـود هـذا القمـم على ظهـر الأرض، ولكنهـا كانـت تؤمـن بـه بشـده، وتهيـم بـه عشـقًا، فهـو معلمهـا، وأبوهـا، وفارسـها الأول، وكل كلمـة ينطقهـا هـي ميثـاق لديهـا، لـذا خاضـت من أجلـه كل المخاطـر، وربـما لم تتـزوج حتـى هـذه اللحظـة برغـم فتنتهـا وجمالهـا الآخـاذ، لأنـه لم يوجـد بـين الرجـال مـن يبهرهـا مثلـه.

عصرهـا الحـزن، وهـي تـرى الإحبـاط عـلى وجـه أبيهـا لليـوم التاسـع عـلى التـوالي، إنهـا المـرة الأولى التـي يفشـل فيهـا في شيء لهـذا العـدد مـن المـرات.

لـذا ركبهـا الهـم والضيـق الشـديد هـي الأخـرى، وبـكل الوسـائل حاولـت أن ترفـع مـن معنوياتـه، وتكبـح جمـاح غضبـة كـي يسـتطيع إنهـاء التعويـذة وكـسر ختـم القمقـم ليحـرر آجـر حاملـة الـسر.

وما أضاف لضيقها، ضيقًا أخر، أن غرف البيت الكبير وسراديبه،ازدحمت بالجثث التي تعفن الكثير منها، وصارت رائحة المكان لا تطاق.

ولولا يقينها من صدق أبيها لطالبته بالتوقف ونسيان الأمر، ودفن القمقم النحاسي في ذلك الكهف المشئوم الذي قادتهم معلومات الكاهن إليه.

هذا بالإضافة إلى الإنهاك الذي أصاب رجالها، وحالات الهرب التي لا تتوقف، وتعاويذ الحماية التي أرهقها استعمالها، وجسدها!

جسدها الذي أصبح مليء بالندوب والجروح التي لن تندمل أبدًا، فهذا هو ثمن السحر الذي تستخدمه، أن تحمل وجه خلاب وجسد مشوه.

هذا غير تضحيتها الكبرى التي قامت بها، قبل أن تبدأ رحلتها حول العالم بعام كامل من أجل إحضار القمقم المطلسم، عندما جعلت رحمها أداة من أدوات السحر، فقامت بتوجيهات من أبيها بممارسة أحد أدنس طقوس السحر الأسود، وهي (طقوس الدعارة المقدسة).

والتي حتمت عليها أن تنجب من صلب رجل غير زوجها ابنًا غير شرعيًا؛ ليكون ولدها ابن زنا، لتقدمه قربانًا للآلهة القديمة والسحرة الأوائل.

ولم تتوانى هي عن تقديم هذه الأضحية، لتلك الآلهة الوثنية القديمة، كي ينكشف أثر الماردة آجر، وتتفعل الخريطة الملعونة التي تقود لمكان القمقم.

لم يهزها أن ترى ابنها الرضيع مقيدًا إلى عمود خشبي، ولم يهزها أن تراه يحترق، وهو يصرخ ويموء كقط صغير، ولم يهزها أن ترى لحمه يذوب وينكمش، وعظامه تذوب، ولكن ما جعل قلبها يخفق ويبكي ساعتها، أن ظهر لها الأثر، وحضر الغراب إلى المكان.

الغراب النائح الذي قادها، ورجالها إلى حيث دفن القمقم.

وعبر رحلتها المشئومة التي حاصرها فيها النحس وسوء الطالع، وفقدت خلالها العديد من السفن والمؤن والرجال والمرتزقة، وذاقت الويل من تلك الكائنات المجهولة التي كانت تهاجم حراس القمقم طوال الواقت بداخل بدن السفينة، والتي أطلق عليها رجالها شياطين البحر، كانت روحها المعنوية مرتفعة، ولم تصاب لحظة واحدة باليأس، بل كانت تحمل بداخلها مشاعر نشوة لا مثيل لها.

وهاهو وليد بوعيه الذي امتزج بوعيها يعايش أحاسيسها المتناقضة، وخوفها، وهي تقف بجوار أبيها تراقب رجاله المرهقين، وهم يقومون باستبدال الأجساد الميتة المعلقة فوق الخطاطيف بأجساد حية تنبض بالحياة، واليأس يكاد يتملك من قلبها، ونفس السيناريو يتكرر..

الأجساد تتمزق..

الدماء تتدفق..

أبوها يصرخ بالتعويذة..

وهي ترددها معه بقوة..

وفجأة غمر المكان كله دخان عظيم، وعاثت في المكان ريح خفيفة جعلت الحماسة تشتعل في جسدها الذي انتفض بقوة عندما أرتج القمقم وبدأ يتوهج، لتصرخ بقوة:

- « إن الأمر يحدث .. لقد نجحنا،وكسرنا لعنة الطلسم».

وساعتها هز المكان صوت مرتفع كصريخ رضيع، وتحولت الريح إلى عاصفة من الهواء الساخن اجتاحت المكان.

وأمام عينيها الجاحظتين، أخذت المشاعل تنطفيء الواحدة تلو الأخرى، ورجالها الأحياء يتساقطون صرعى الواحد تلو الأخر.

وأمام القمقم الذي شع خاتمه بضوء أحمر باهت أضاء المكان، والذي لم يعد فيه أحياء غيرها وغير أبيها، بدأ صوت مشئوم يتردد بقوة:

- « التضحية الأخيرة .. الأب ..أم الابنة ».

كانت الكلمات صادمة، ولكنها لم تتردد، وبخضوع عجيب، أخرجت أفيطال خنجرها ومنحته لأبيها، وهي تهز رأسها بابتسامة لا تحتاج إلى تأويل، وكأنها تؤدي بها أخر مراسم العرفان إليه.

وهنا دفع شيء غامض وعي وليد لينفصل عن وعيها، ودمج نفسه في وعي أبيها، الذي لم يتوقع رد فعل ابنته، وهذا ما جعله يخفي عنها الجزء الأخير من التعويذة، وهو أن يضحي بالأعز من دمه لينكسر أخر طلاسم القمقم.

وبكل برود،بلاتردد، وكأنما لا قلب له، أو أن طموحه يعميه، أغمد الخنجر في قلب ابنته، لتسيل دماؤها، لتختلط بدماء من سبقها من الضحايا.

كانت لحظة فارقة لوليد، لأنه لو لم يغادر عقل أفيطال في الوقت المناسب، ولفظت هي أنفاسها الأخيرة، لربما فقد عقله من هول ما كان سيرى، فهو لا يعرف كيف يتصرف عقل ميت.

وبتضحية ابن زوهار بابنته، توهج الختم الشيطاني وتحول لرماد،

وتشققت جدران القمقم، لينفجر بعدها في قوة، أحالته إلى شظايا، لتخرج من داخله تلك المارِدة العجوز ذات الوجه المثير للفزع، لتقول لابن زوهار:

- «لن أنسى لك صنيعك هذا، ولكن عملك هنا لم ينتهِ بعد، الآن ستصحبني في رحلة خاصة جدًّا، وقبلها ستنال أولى مكافآتك».

وقبل أن يرد عليها، مست عينه التالفة بيديها، فتألقت بشدة، واستحال بياضها إلى لون دموي قبل أن تنقلب إلى اللون الأصفر اللامع، وتبرز كأعين الثعابين، مشقوقة، ولامعة، ومخيفة، وقبل أن ينطق من فرط الفرحة أضافت قائلة:

- «بهذه العين سترى الخطر قبل أن يهددك، وستعرف أعداءك مهما اختلفت أجناسهم، وستعرف بها مكامن ضعفهم».

لم ينبس ابن زوهار ببنت شفة من الدهشة، وهو يعيد رؤية ما حوله بشكل جيد برغم الظلام المحيط، فعمله أثمر أسرع مما كان يتخيل، برغم الثمن الفادح الذي دفعه.

وتعلقت عيناه، بجناحا آجر الناريتان وعينيها المشقوقتين طوليًا كأعين الثعابين، وهو يسمعها تتمتم ببضع كلمات بلغتها الشيطانية، وفي اللحظة التالية عبق المكان دخان أزرق كثيف، وتلاشت هي وابن زوهار من المكان، ولم يتبقَ في القبو، إلا الجثث الممزقة التي فاحت برائحة الموت.

ومن بين الجثث لمعت عينان مشتعلتان.

عينا الشيطان الأكبر.

عينا إبليس..

❁ ❁ ❁

(12)

أخر ما التصق بذاكرة وليد وهو يغادر هذه الذاكرة المقبضة، كانت عينا الشيطان الغاضبتان المشتعلتان.

إن لم يكن الشيطان حاضرًا بنفسه وسط كل هذه الشرور، فمن له هذا الشرف الكبير؟!.

كان من الحماقة ألا يدرك ابن زوهار، أن الشيطان لن يعلم عندما ينكسر سحره، وتتحرر آجر التي تعتبر امتداد حي لتهديد ابنه المنبوذ، وربما كان يدرك واختار المجازفة.

إنه يقاتل بكل قوته ليكون له مكان بارز في العالم الجديد الذي سيتسيده الشيطان الابن، لقد تنبأ بالحصان الرابح وراهن عليه، ودفع مقدمًا ثمنًا فادحًا، وربما عليه أن يدفع المزيد.

والعجيب في كل هذه الأحداث أن كل شيء يدور عن ابن الشيطان، ولم يظهر هو حتى هذه اللحظة، ولم تنجلِ حقيقة غيابه هو ومساعديه الثلاثة.

هناك فجوة في الأحداث تثير التساؤلات، إن كل الخيوط تشابكت لدرجة التعقيد، وهذا جعل وليد يتساءل في حيرة: هل عودة الشيطان الابن التي عاصرها في تلك الذكرى السابقة هي الأولى، أم كانت له

عودة سابقة، وهل سيظل الشيطان الأكبر مجرد رد فعل غير مناسب في هذه القصة ؟.

كثرت الأسئلة في عقله، ولم يجد إلا أن يختار الباب الجديد، وكان الباب ينتظره، ويتألق بشدة، ومعه تمنى وليد لو تنجاب تلك الغيوم الكثيرة، ويعرف مصير ابن الشيطان، ومصير آجر، وابن زوهار، برغم أن ما يفصل بينهم هو كل نظريات السفر عبر الزمن، فكل منهم في زمن مختلف يقاتل عدوًا واحدًا.

سحبته الدوامة الضوئية السوداء إلى الذكرى التالية، وهذه المرة وجد نفسه في ذاكرة أحد رجال الأعمال الكبار.

(نبيل عمران).

قبل سبع سنوات من ذلك التوقيت الذي قامت فيه الماردة آجر، بخداع كريم المكلوم في زوجته، ليقوم بفتح تلك الثغرة الشيطانية، التي عجلت بتحرير الشيطان الابن، من سجن العدم الرهيب.

مستخدمة علاقة الحب العظيمة التي كانت بين الطرفين، لتتغلب على أحد أقوى الطلاسم التي كانت تمنع دخوله إلى بعدنا الأرضي بعد أن تشوهت خلاياه في رحلتي الذهاب والأياب من البعد الخارق، بتأثير من نصفه البشري، مصدر ضعفه الكبير..

وهو نفس السبب الذي جعل العدم بين الأبعاد المعروفة، هو سجنه وسجن مساعديه الثلاثة ..

الآن تنكشف له معلومة جديدة، الآن فقط يشعر بالحجب العقلية تنجاب، ويتواصل معه الشيطان الابن الساكن عقله للمرة الأولى بشكل مباشر.

إنه نوع جديد من الدعم العقلي اللحظي لتفسير الأمور .

وهذا أقلقه بشدة.

فهل شارفت الرحلة على الانتهاء؟.

ومادور رجل الأعمال نبيل عمران فيها ..

ركز وليد وعيه ليندمج مع وعي نبيل عمران، وكانت الفكرة الأخيرة قبل أن تتلاشى ذاكرته الخاصة، هو تفكيره في كنه هذا العدم القابع بين الأبعاد، هل هو نوع خاص من المادة السوداء التي خلق منها الكون ؟ أم هي نافذة خلفية للكون ؟

بالطبع لم تكن هناك إجابة ..فقد طغت ذكريات نبيل عمران على كل شيء.

وكان نبيل عمران يحيا في معاناته الخاصة جدًّا.

سبع سنوات كاملة مرت عليه، وهو ينتظر ولي العهد، سبع سنوات أنفق خلالها ما يقرب من تسعة ملايين من الجنيهات على الأطباء، ومثلهم على النصابين، وأضعافهم على زوجاته اللاتي طلقهن واحدة بعد الأخرى لعدم إنجابهن له الوريث.

الطب يخبره أنه لا مشكلة لديه، أو لدى أي من زوجاته السابقات، واللاتي تزوج بعضهن وأنجبن بالثروة التي حصلن عليها منه بعد الطلاق، أطفال مكتملي الصحة ذكورًا وإناثًا ليثبتوا أن العيب لم يكن منهن.

وكأن عدم الإنجاب لعنة وأصابته، أو أن الكون كله قد تآمر ضده كي يحرمه من طفل يحمل اسمه، ويرث إمبراطوريته الاقتصادية، ويتيه به فخرًا.

المال والعلم عاجزان عن منحه مايريد.

ولكنه لم ييأس لحظة واحدة .

ويسعى خلف كل أمل.

طليقته السابقة، كانت أرملة رجل أخر، وأنجبت قبل زواجها منه ثلاثة من الذكور الأصحاء، أخبرته بفطرتها وطريقتها التي لم يهذبها العمل في الحقل خلف والدها، ومن بعده زوجها في قريتهم بالغربية، أنه ولابد وأن هناك من صنع له عملًا سفليًا منعه من الإنجاب حسدًا له أو طمعًا فيه.

وبرغم عدم إيمانه بالسحر والأعمال وكل هذه الغيبيات التي تدخل في إطار الدجل، إلا أنه استمع إليها وذهب إلى أشهر الدجالين، ليس في مصر فقط بل جاب العالم من أجل أن يكسر لعنة عدم الانجاب، فمن مصر إلى الهند ومن الهند إلى جامايكا، ومنها إلى المغرب.

وفي أخر محطات رحلته بالمغرب، أخبره أحد الفقهاء - وهو اسم يطلق على ممارسي السحر هناك - أن عليه ألا يفكر في إنجاب هذا الطفلأبدًا.

أدرك نبيل دون جهد أن الفقيه كان يحدثه بنفور ممتزج بتوتر وكراهية غير مبررة، خاصة بعد أن فتح له المندل، وهي وسيلة شعبية لقراءة المستقبل، يقوم بها الفقاء وغيرهم من الدجالين.

والمندل نفسه هو إناء فخاري به ماء، وعلى سطحه طبقة من الزيت.

انقلاب وجه الفقيه، بعد انعكاس الضوء على الزيت والماء، والذي هو دليل على التواصل مع الجن المكلف، كما علم فيما بعد، أكد له أنه رأى شيئًا ما أفزعه، شيئًا أكبر من الوساطة التي سمحت له بلقاء الفقيه،

وأكبر من المال الذي سيحصل عليه لو أعطاه ردًّا مقنعًا حتى ولو كان نصًبا.

شيئًا فاجأ الفقيه نفسه فقلب قبوله نفورًا، وجعله يحاول طرد نبيل والتخلص منه بسرعة، كأنه مرض أو لعنة.

ونصيحته له بعدم الإنجاب، لم تكن نصيحة بل شعر بها كنوع من التهديد والتحذير.

ورغم ضيق نبيل من حديث وأسلوب الفقيه، إلا أنه لم يعول عليه أو يمنحه الاهتمام الكافي، واعتبرها خرافات نصاب لا حل عنده لمشكلته.

ولأن الأمل وغد لا يتوقف عن دفعنا نحو هلاكنا، اعتبر نبيل حديث الفقيه عن أن ميلاد الوريث سيكون لعنة عليه؛ هو نبوءة عن إمكانية تحقق الأمر، وأما عن العواقب سيواجها في حينها. فعندما يحصل على الوريث سيستطيع مجابهة الدنيا كلها.

ولأنه لا يفل الحديد إلا الحديد، ومع إيمانه الجديد بأن الأمر كله عبارة عن لعنة، وحلها سيكون بالسحر، فلم يتوقف لحظة عن السعي.

فبحث بجدية هو ومعاونوه عن دجال أخر وأخر وأخر، ورصد مكافأة كبيرة من ستة أصفار لمن سيساعده في الحصول على ولي العهد، الوريث الذي طالما اشتاقت روحه إليه.

سار في كل الطرق، القانونية منها وغير القانونية، الحلال منها والمحرمة، مع رفضه التام لفكرة التبني، ابنه سيأتي من صلبه ومن زوجته، ولن يكون لقيطًا أو ابن حرام.

غرق في عوالم الدجل والدجالين، أرهق جسده وروحه بطلباتهم و دهاناتهم وعقاقيرهم.

استخدم تعاويذ من السودان يدخل في مكوناتها أجزاء من جثث الموتى، قدم قرابين إلى آلهة هندية لها العديد من الأذرع كالأخطبوط، قام بطقوس وثنية بشعة، قدم الأضاحي لبافوميت، سافر إلى تاهيتي، ونيروبي، وأماكن لم يسمع عنها في أمريكا الجنوبية، ولم يسمع عن معالج، أومشعوذ أو روحاني إلا زاره، و...

وفي النهاية ..

فشل المنجمون والسحرة والمشعوذون ورجال الدين الذين ادعوا امتلاكهم لقدرات خارقة أو كرامات.

وفشل السحر والتعاويذ والخلطات الشعبية والتمائم ..

وفشل تقديم الذبائح للآلهة المختلفة وللأوثان، والصلاة للشياطين والأرواح الشريرة..

فشلت النصائح ونبوءة الفقيه..

وعندما كاد يتملكه اليأس..

ظهرت أنهار ..

كانت شابة ثلاثينة ذات جمال هادىء، تعمل طبيبة في نفس التخصص الذي يهتم به -العقم والإنجاب- وجذبتها وسامة نبيل عمران، وتعلق قلبها به من أول نظرة، وهي التي كانت تهيم عشقًا بممدوح طوال عامين كاملين . ولفظه قلبها دون مقدمات، وأحل محله نبيل الذي هامت به عشقًا من أول لقاء جمعهما معًا..

كان الأمر مدهشًا لها، وكأن هناك قوة قاهرة أزاحت من قلبها ممدوح الذي كتبت فيه بعض الشعر الرديء في العديد من الليالي والمناسبات، وجعلت صورته خلفية لهاتفها المحمول لعامين كاملين، وجعلت نبيل يصعد إلى عرش قلبها من النظرة الأولى.

لابد وأنها قوة الحب الحقيقي..

هكذا أقنعت نفسها..

تلك القوة التي دفعتها دفعًا إليه، وجعلتها تسعى نحوه دون هوادة، فصارا صديقين متلازمين، وحدث تقارب بينهما دعمته بمحاصرتها، وإغوائها المستمر له، ولم يكن هو بحاجة لمجهود أكبر فعرض عليها الزواج.

في البداية رفضت، لتختبر قوة رغبته فيها بتمنعها، وجعلت حجتها زيجاته العديدة السابقة، وعندما ألح عليها، أوهمته بانهيار مقاومتها، وهي التي كانت ترغبه حد الثمالة.

كانت متأكدة من عشقه لها..

لا توجد امرأة لا تستطيع أن تقرأ الحب في عين تعشقها..

وهو برغم ما مر به عشقها.

ولو لم يعشقها لم تكن لتتركه، الأمر كان أكبر من رغبتها وقدرتها، إن تعلقها به كالسحر الذي ربط بين قلبيهما، ومحى كل شيء آخر.

وبدأت قصة حبهما..

وكان على الحب أن يفعل المعجزات التي طالما تحدث الناس عنها..

خاضت معه نفس سلسلة الاختبارات التي قام بها من قبل،

وأثبتت كل النتائج أنه سليم كالحصان، وهذا جعلها تفكر في أسباب أخرى، فركنت هي أيضا إلى الجانب الميتافزيقي في الأمر.

وهنا بدأ عقلها يعمل .. ويجمع قطع البازل المتناثرة ..

كل شيء يدور حول نبيل محاط بنوع ما من الغموض والغرابة، وكأن هناك يد خفية من عالم أخر تتحكم في مسار حياته، وربما في حياتها هي أيضا.

قربها منه وطريقة تعارفهما كانت تثير في نفسها التساؤلات والحيرة، وبرغم هذا لم تفكر في الأمر بجدية قبل الآن، فأي نوع من الفهم حدث لها ولماذا الآن ؟!

عقلها يعمل بشدة، بل بجنون، ويدخلها دوامة عجيبة من الأفكار، كما أنها تسمع إجابات كثيرة عن أسئلة تطرحها بينها وبين نفسها بصوت غامض، وكأن لعقلها الباطن صوت مستقل ..

صوت كريه ..

وكلما حاولت المقاومة، يغمرها يقين عجيب بأن قربها وعشقها لنبيل عمران هو واجبها المقدس الذي لا يجب أن تحيد عنه ..

الأمر بالنسبة لها مشوش..

وفي النهاية وصلت لتفسير أراحها إلى حد ما، ولكنه يدور في نفس العوالم الغامضة ..

لابد وأن هناك من يضمر الشر لزوجها نبيل، وبالتالي أضمره لها.

إنها طبيبة وتدرك أن نبيل لا غبار عليه، إن كل الفحوصات أثبتت فحولته، فما المانع .. ربما هي إرادة الله أو ..

لا تعرف لماذا ارتجفت عندما رددت بينها وبين نفسها (إرادة الشيطان) .

لا إنها إرادة الله التي قد تكون مؤقتة، و يعضدها عمل سفلي أو سحر أسود طمعًا في نبيل وثروته، وربما تزول بزوال المسبب.

وبرغم غموض الأمر، وتضارب مشاعرها، قررت في سرية أن تستعين بدجال شهير في الأوساط المتوسطة التي نشأت فيها، رجل كريه مشهور عنه الجشع والطمع، يدعى (سليمان) ولكنه ينفذ المطلوب منه على أكمل وجه كما ذاع عنه.

وعندما منحته (أثر) نبيل وهي قطعة حميمية من الثياب تحتوي عرقه وسائله المنوي، وفور أن لمسها ارتج جسده وأطلق صرخة مكتومة.

وبدا لها أن الدجال يعاني أو يبالغ في تمثيل دوره ليبتزها في النهاية، ولكنه بعد فترة طويلة من الصمت، ثم الحديث الذي لم تفهم منه حرفًا واحدًا، أخبرها أن تذهب وتعود إليه بعد ثلاثة عشر يومًا.

والعجيب أنه رفض أن يحصل منها على مقابل، وهذا جعل القلق يتسرب إلى روحها، هل سيحاول مراودتها عن نفسها؟.

إنها طريقتهم الحقيرة دائمًا، وهي لا تفتقر للجمال .

وبعد ثلاثة عشر يومًا قابلت الدجال، الذي منحها عبوتين زجاجيتين لكل منها غطاء معدني محكم، بكل منهما دهان داكن لم يخبرها عن كنهه، بل فقط عن طريقة استخدامها، وكان أجره ألا يراها ثانية.

حصلت على العبوتين وغادرت وبداخلها مزيج من القلق والسعادة، لابد وأن هذا النصاب ينتظر عودتها مرة أخرى ليبتزها ابتزازًا أكبر.

فالمعروف أن المرة الأولى تستخدم لجر قدم الضحية، والثانية يكون فيها الطلب الكبير.

ولكنها بينها وبين نفسها أقسمت ألا تراه مجددًا، وهو لن يستطيع العثور عليها، لأنها بدلت هيئتها قبل لقائه، كما أنها منحته اسمًا مزيفًا.

طبيعتها الحذرة جعلتها تتصرف على هذا المنوال.

ما لم تعرفه هي أن المشعوذ منحها عبوتان تحتويان على تركيبتين خاصتين، انتقل إليه سرهما من مشعوذ آخر أطلع على بردية برلين الطبية، والتي تعود إلى زمن الفراعنة، وأن أحد الدهانات كما جاء في البردية، كان يساعد أي إنسان يسيطر عليه أحد الموتى للتحرر، والأخرى تساعد على طرد شبح رجل أو امرأة ميتة، وهذا ما ترجم عن نصوص البردية دون تحريف.

وفي تلك الليلة وبعد أن أطلقت البخور في الغرفة، ودهنت جسد زوجها بمزيج من الدهانين، وواقعها وناما ليلتهما، حلم كل من في البيت من أول نبيل عمران مرورًا بزوجته والخدم، بنار كبيرة تخرج من جسد عمران، وتحرق المنزل بمن فيه.

ليتحول إلى رماد تشكل على هيئة سحب هائلة تحمل وجه مخيف، سرعان ما بعثرتها الرياح، قبل أن تأتي إليه زوجته من قلب الظلام يحرسها شيطانان مخيفان.. بقرونهما المدببة، وعيونهم الدموية التي تكاد النار تخرج عبرها، ومنجل الحصاد الذي لا يحمله إلا ملك الموت.

وبالطبع لم تكن الزوجة وحدها، كانت تحمل بين يديها طفل له وجه كالقمر، ولكن يداه مخضبتان بالدماء..

ويومها شعر الجميع بالهلع إلا عمران الذي آمن بكونها بشارة.

فالأحلام في المعتاد تتحقق على عكس ما تأتي به، والدماء في الحلم تفسده، وتقضي على شره.

كان يتمسك بالأمل..

أي أمل..

وكان على حق..

ولم يمر شهر واحد بعد هذا الحدث إلا وانقطعت دورة أنهار الشهرية على غير العادة، وفاجأها الحمل، وبعد مرور سبعة أشهر كاملة شقت صرخة الطفل الوسيم الذي يحمل ملامح أبيه وشعر أمه البني فضاء الحياة، فأضاء عالمنا.

وعلى عكس المتوقع كان بصحة جيدة برغم ولادته المبكرة، وعلى غير رغبة الأطباء أدخله والده الحضانة، وهيأ له جناحًا كاملًا في مستشفاه الخاص، واستقدم له من ألمانيا أمهر الأطباء وطواقم التمريض لتعتني به، وظل لا يغيب عن بصره أو بصر رجاله حتى بلغ الخامسة من العمر..

ثم بدأ الأمر الرهيب الذي حذر منه الفقيه..

والذي نساه الأب ولكنه كان قد سطر في كتاب الأقدار..

الأقدار السوداء..

فمن سيشاهد نبيل وأنهار، وهما يحملان طفلهما البريء سويًا من يداه وقدماه كالشاه في قسوة، ويقطعان به ظلام منتصف الليل، دون الاهتمام بحالة الفزع التي أصابته، وجعلته يصرخ في هيستريا دون توقف، ويتجهان به صوب حديقة المنزل الخلفية ليقيداه في إحدى الأشجار قبل أن يتناوبا على طعنه، بسكين واحدة حادة، كانا يتبادلانها معًا..

من سيشاهد هذا المشهد الشيطاني العبثي .. لن يخمن مقدار ما أنفق من جهد ومال وصبر ليتمكنا من أنجابه ..

لن يخمن مقدار ما يكنان له من حب وحنان ، وسيعرف شيئًا واحدًا فقط، أن هذا العالم قد أصابه الجنون.

أو أنهما قد أصابهما مس من شيطان كافر.

في اللحظة التالية وأمام عيونهم الذاهلة.. ظهر ابن الشيطان في هيئته المخيفة أمامهما، ليأمر الزوج بقتل زوجته..

ليجد الزوج نفسه يغمد السكين الغارقة بدماء ابنه الوحيد في قلب زوجته دون تردد، وهو يقول كلمات لم يتخيل نفسه قادرًا على نطقها وكأنما إرادته تلاشت تمامًا، وبصوت قوي قال:

- «المجد للشيطان الابن.. أقدمها قربان لك وللخادم الأول ».

وفور أن طعن زوجته بالسكين التي قتل بها طفله، حتى بدأ جسده يهتز في قوة، وكأنما تم توصيل جسده بتيار عالي الجهد أخذ في صعقه، قبل أن ينتفخ جسده في قوة، وكأنما يتم نفخه بمنفاخ هواء قوي.

ليبدأ بعدها جلده البشري في التفسخ، وكأن هناك من يخترقه بمخالبه من الداخل،ليظهر أسفل منه مخلوق له جلد حرَشفي، وجناحان يشبهان جلد الخفاش، ما أن اكتمل تجسده، حتى انحني أمام الشيطان الابن وقال بلغة لم تسمع على الأرض من قبل:

- «المجد لسيد العوالم.. خادمك المخلص أنهى رحلته.. ويقدم الولاء والطاعة بين يديك».

❁❁❁

(13)

وليد ينتقل بسرعة رهيبة إلى ذاكرة جديدة، دون فاصل أو راحة، عقله يتقبل الأحداث برغم قسوتها، ربما اعتاد الأمر أو في طريقه إلى الانهيار، وهما شيئان يثيران رعبه أكثر من الشيطان الابن الذي يجيب عن أسئلته بطريقة عملية، فيريه كيف عاد وما مصير خدمه الثلاثة.

تبقى فقط شيء أخير أن يعرف مصيره النهائي، وهل حدثت بالفعل مواجهة مباشرة بينه وبين الشيطان الأكبر بعد العودة.

لم تمنحه الذكرى أي فرصة ليفند أفكاره أو يطرح تساؤلات أكثر، وجد نفسه في أسيوط، وفي توقيت مقارب للذكرى السابقة، وهذه المرة كان في إحدى المدارس الحكومية، والقصة هذه المرة لن تدور عن فرد أو اثنين بل تسعة وعشرين، بينهم ثمانية وعشرين طالبًا ومعلمهم.

كانوا يطلقون عليهم فصل المتفوقين، واعتبرتهم المدرسة الصفوة من تلاميذها، وقررت لهم على غير العادة جزءًا لا بأس به من ميزانياتها، لدعمهم في المزيد من التفوق، والمسابقات المحلية.

وكانوا هم عند حسن ظن المدرسة، فلم يخسروا تحد واحد، وذاع صيتهم فاشتهرت بهم.

كان يشرف عليهم مدرس أول يدعى الأستاذ: عبد الحميد الجيار، والأستاذ عبد الحميد برغم كبر سنه لم يكن من المدرسين التقليديين، بل كان له فكر خاص، وكان يوازن بين الحلال والحرام في مهنته.

صحيح أنه لا يجد وقتًا ليتنفس مع كثرة مجموعات الدروس الخصوصية التي يمنحها للطلاب في كل مراحل التعليم الإعدادي، ولكنه كان يراعي ضميره في شرحه بالمدرسة، وكان فخورًا جدًّا بهذا الفصل، فعلى الرغم من مرور أجيال عديدة عليه كمدرس إلا أنه لم يجد من هم بذكائهم وتجاوبهم وحسن أخلاقهم.

وكأنهم - كما كان يصفهم دائمًا في كل جلساته بغرفة المدرسين- ليسوا من هذا العالم ..

مجموعة من الطلبة لو تم الاهتمام بهم إلى النهاية لغيروا مسار بلدهم.

لم يكن أي منهم يحصل على درس خصوصي واحد، وكل المدرسين تمنوا لو يضموهم لمجموعاتهم ولو كان مجانًا.

ليكون لديهم أكبر قدر من الأوائل عند إعلان نتائج نهاية العام، فلاشك أنهم سيحصدون جميعًا المراكز الأولى على مستوى الجمهورية، وبالطبع كانوا جميعًا عازفين عن الأمر.

لابد أن أقلهم ذكاء يحمل نفسة درجة ذكاء أينشتين.

الأمر غريب فعلًا، ولفت نظر العديدين ولكنهم لم يستغربوه، وهذا هو الشيء المريب بالفعل.

الطفل المصري أذكى طفل في العالم، ليكن ..

ولكن كل هذا العدد..

ثمانية وعشرون عبقريًا تجمعوا في مدرسة واحدة.. وجميعهم لمن لا يعرف انتقلوا قبل سبع سنوات لنفس المنطقة أو الحي.. ليقطنوا جميعًا في عمارة حديثة الإنشاء مع ذويهم..

مصادفات غريبة تجاهلها الجميع..

مصادفات كان من الممكن أن تمنع الكارثة..

هل هناك كارثة..

أنت لست بالحماقة لتعتقد أنه لا يوجد كارثة..

متى شعر الأستاذ عبد الحميد أن في الأمر شيئًا مريبًا..

في هذا اليوم البارد المشئوم، كان قد أنهى إحدى حصصه المقررة، وكانت لديه الحصة التالية خالية، فقرر أن يقضيها في حديقة المدرسة المحدودة، والخاصة بتدريس مادة المجال الزراعي، والبعيدة في نفس الوقت عن الأنظار ليدخن سيجارتين متتاليتين كما هي عادته..

عندما بدأ الجنون..

كان قد انتهى من السيجارة الأولى، وأنهى نصف الثانية، عندما لمحهم يقتربون من موقعه..

هل تتذكرون مشية الإوزة التي كانت تميز النازيين، نفس المشية والحركة المتصلبة، والوجوه الباردة التي تتوقع منها كل شيء.

صف لا إحناء فيه ولا عشوائية، من الأطول إلى الأقصر في انسيابية عجيبة يقودهم سعيد، أذكاهم وأضخمهم جسدًا.

اقتربوا من مكانه في نظام، ثم انحنوا أمامه بالتدريج، وكل منهم يقول بصوت يحمل نبرة الاحترام والتقديس:

- «تحياتنا للمرشد .. لقد اقترب الموعد».

كان ينظر لهم في عدم فهم، وقشعريرة باردة تغلف عموده الفقري.

في الأيام العادية كان من الممكن أن يستخدم عصاه ليفرقهم، ويجعلهم يتوقفون عن سخريتهم أو تماديهم، أو شجارهم.

العصا كانت الحل المثالي خاصة مع هذا السن المتمرد.

ولكنه شعر بداخله أنهم لا يسخرون منه، نظراتهم وطريقة حديثهم أوحت له، أنهم يتحدثون عن شيء لا يجهله، ولكنه يعجز عن تحديد ماهيته.

ثلاثة أيام تكرر فيها نفس الفعل..

الحصة الخالية..

السيجارتان..

الطابور..

الحديث..

وكأن الأيام أصبحت متشابهة أو أنها تتكرر بلا توقف.

وفي اليوم الرابع كان بانتظارهم، لم يدخن سيجارته الثانية على غير العادة، وكأنه يكسر رتم الأيام السابقة.

كما أنه لم يجلس في ذلك المكان المنزوي ليرى تجمعهم بوضوح، بل وقف قرب نخلة متوسطة الحجم تظلل المكان، وعندما أقبلوا عليه ورددوا عبارتهم الغامضة، شعر بالهواء ينسحب من حوله، وبحرارة شديدة تلفح جسده، وارتج عقله بقوة، وكأنما هناك من ضربه على رأسه بشدة، ثم قال بلا وعي:

- «لقد حان الوقت»

لا أحد يعرف ملابسات الحادث جيدًا، فموت ثمانية وعشرين طالبًا بقفزهم من فوق عمارة حديثة الإنشاء في مكان مهجور، وفي وقت واحد، لتتهشم رؤوسهم وتتحطم عظامهم، هو حدث لا يمكن أن يمر مر الكرام.

ولكن تلاشي الجثث واحتراقها أمام عينا الأستاذ عبد الحميد جعل الأمر يبدو ككابوس مريع، لولا ما رآه في اللحظة التالية.

شيطان له عين مشقوقة طوليًا، وعين بشرية مطموسة، وما بدا له كمخلوق فضائي مجنح لا يستطيع أن يحدد كنهه.

لا يمكن أن يكونا شيئًا أخر.

وقف الشيطان يتأمله، عندما فقدت مثانته تماسكها، وأغرق السائل الدافيء بنطاله، وقد بدا أن قلبه سيتوقف من الرعب.

وعندما أشار الشيطان الابن لخادمه، تحرك نحوه بسرهة مذهلة، وقبل أن يصاب بأزمة قلبية عنيفة، كانت مخالب الخادم الحادة قد شقت حنجرته، ليبدأ جسده في الانتفاخ، ثم التفسخ، ليظهر الخادم الثاني أما الشيطان الابن، ليركع أمامه قائلًا بتلك اللغة غير الأرضية:

- «خادمك المطيع لبى النداء.. وجاهز لخدمتك».

وساعتها غزت ابتسامة كبيرة وجهه الشيطاني المشوه.

في نفس الوقت الذي انهارت فيه تلك العمارة السكنية، التي تحتوي ذوي هؤلاء العباقرة، لتنتهي سيرتهم من الأرض.

❁ ❁ ❁

(14)

ذكرى ثالثة ملتحمة مع الذكريات السابقة، ودون مجهود أدرك وليد أنها ستكون إحدى الكوارث التي سيتجسد بعدها الخادم الثالث، إن الأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء، ولن يحتاج لمجهود إضافي ليعرف أن هذه الكارثة تمت في توقيت قريب من الذكرى السابقة، وبدأت هذه الذكرى بموعد غرامي، ولو لم ينتهِ في المشرحة سيكون أمرًا مبتذلًا فعلًا.

كان منير فهمي حريصًا جدًّا على التنكر وتبديل مظهره هذه المرة، لن يجعل هيئته المألوفة للعامة تفسد لقائه بصديقته الإعلامية ريماس علوي، والذي قرر فجأة أن تكون زوجته..

يطلقون على هذا الأمر اسم الحب..

والبعض يطلقون عليه لفظ الحماقة..

فليس هناك وسيلة أفضل لتفقد صديق أو عزيز عليك، مثل أن تقع في حبه.

وهو يدرك من أعماقه أن ما يمر به هو مزيج من الحب والرغبة، والسعي نحو المزيد من الثراء والنفوذ السياسي.

فمع عائلتها وشبكة معارفها سيصعد درجات كثيرة في الحزب وفي السلم السياسي، ويحقق طموحه الذي يكاد أن ينتهي مع التحولات الكارثية التي تموج بالبلاد طوال الوقت.

ريماس علوي كأنثى دون إضافات مكسب كبير، ولكنه لا يعول على هذه النقطة فقط، هو يحتاج بجوار فتنتها، وجسدها الرائع، مالها، ونفوذها ونفوذ عائلتها.

لا بأس ببعض الفائدة مع الحب؛ طالما لن يفسد أي منهما الآخر..

هو سياسي محنك ويدرك جيدًا أنه لاشيء له وجه واحد، ولا شعور خالص، ولا مصلحة تتم دون غاية خفية ورائها..

فلما لا يربح قلبها ونفوذها ومالها، ويمنح قلبه من عشق.

لاشيء سيمنعه عن التوفيق بين غاياته.

كان هدفه من تبديل مظهره اليوم، أن يبهرها، سيقضيان يوما عاديًّا كعامةالناس،وهو شيء لو تعلمون عظيم بالنسبة لها، مع شهرتها وثرائها ونفوذ عائلتها.

يوم خاص بهما بدون حارسها الخاص أو سيارتها الفارهة، أو الاحتفاء الدائم بها أو التفات المعجبين حولها، أو المؤيدين له والمتملقين حوله، لذا طلب منها هي الأخرى أن تتسلل خارجة من فيلتها، وتغير من هيأتها ليعيشوا أجواء المغامرة..

كانت فكرة مجنونة ستغير من رتابة الأيام..

لذا تحمست لها، ووافقت عليها على الفور..

للفيلا التي تقطنها مخرج سري لا يعرفه إلا أفراد عائلتها المحدودة، وهو سر عائلي غير قابل للتداول، يقود نحو غرفة صغيرة في بناية سكنية قريبة، ويوجد بجراجها دائما سيارة حديثة مجهزة غير ملفتة للأنظار.

تحسبًا لوجـود طـاريء كثـورة غاشـمة أو أعـمال شـغب أو إعصـار سـياسي يتطلـب القبـض عليهـم أو ضبطهـم وإحضارهـم.

لم يعد أحد بالسذاجة كي لا يؤمن نفسه هذه الأيام.

استغلت هي الممر والسيارة، بعد أن أبدلت بثيابها الرسمية الأنيقة، ثيابًا مريحة وغير ملفتة وإن كانت لا تقل أناقة عنها، إنها تضيف لكل شيء ترتديه جمالًا خاصًا، وكان هو قد أعد لها برنامجًا حافلًا.

بـدأ الأمـر بإفطـار شـعبي عـلى عربـة فـول في مـكان راقٍ، هامـت بهـا عشـقًا، واصطحبهـا إلى خـان الخليـلي وجلسـا معًـا عـلى قهـوة الفيشـاوي الشـهيرة، وقـص عليهـا نبـذة مـن تاريخهـا، وتاريـخ الأدبـاء والفنانـين الذيـن عاصروهـا.

ثـم اصطحبهـا إلى رحلـة نيلية، وبعدهـا إلى الأهرامـات، ليعـودا معًـا إلى مطعـم شعبي شـهير أطـار صوابهـا مـن طعامـه الشـهي، وبعدهـا أخبرهـا أنـه يعـد لهـا احتفـالًا صغـيرًا في شـقته الجديـدة.

كان أسلوبه ساحرًا.

فهـو لم يكـن سياسـيًا فقـط. بـل كان زير نسـاء، ويعـرف مـن أيـن تـؤكل الكتـف كـما كان يقولـون.

كانت مستمتعة باليوم.. فقررت أن تترك نفسها له.

وطـوال طريـق العـودة لم يتوقفـا عـن الثرثـرة، ومـن طريـق الكورنيش اشـترى لهـا ترمـس وذرة مشـوي وحمـص الشـام.

متع صغيرة لم تمارسها في حياتها من قبل.

لقد اختطفها من كل شيء والعجيب أنها لم تكن تمانع.

بل ترغب بالمزيد.

ريماس التي كانت تطلب أحيانًا كثيرة، طعامها من مطاعم في لندن وباريس لتصل إليها محمولة جوًّا.. تأكل من الشارع.

ريماس التي تكاد تقيس السعرات الحرارية في الماء قبل أن تتناوله، كانت تلتهم كل ما يقدمه لها دون نقاش.

ريماس التي يشرف على مطبخها مشرف صحي للتأكد من صلاحية الطعام ونظافة الطباخين والعاملين معهم، لا تعرف كيف تجاوزت تقززها في هذا اليوم، وكانت تتناول الطعام بكل شراهة.. بل وتطيعه بكامل إرادتها.

ريماس التي كانت تحكم عقلها في طريقة تنفسها، لم تفكر لحظة وهي معه، ولم تكن ترغب إلا في إطلاق العنان لمشاعرها.

كان قد أعد لها جلسة عربية، وشيشة وأطباق من الفاكهة التي تعشقها، وبخور مغربي اشتراه خصيصًا من عطار أخبره، أنه مخلط بعطور تذيب عناد النساء، وتلين قلوبهن.

وكانت هذه خطته.. أن يبهرها.. ويسيطر عليها.

وكان من الواضح أنه نجح.

فبمجرد أن دخلت شقته، قادها نحو الغرفة التي حولها إلى غرفة من غرف ألف ليلة وليلة، ولا ينقصها إلا الجواري والعبيد.

تفحصت كل تفاصيل الغرفة بشغف، وقبل أن تدخلها، سألته عن مكان الحمام، وأخبرته أنها ستأخذ دشًا سريعًا ليمحو عنها إرهاق النهار.

كان حديثها مفاجئًا له، وطريقتها في التعامل اختطفته، ومنحته أملًا كبير لليلة مختلفة.

عرض عليها أن يحضر لها بعض الثياب، ولكنها أخبرته أنه لا حاجة لها بها، هي ستتصرف.

تركها على راحتها، وبدل هو ثيابه بثياب منزلية أكثر راحة..

أشعل البخور..

أعد الفحم والأحجار..

أخرج من الثلاجة بعض زجاجات البيرة والماء والعصائر، وطلب بعض الطعام دليفري، ثم جلس ينتظرها..

كان صوتها يأتي من الحمام رقيقًا حالمًا..

كانت تغني..

انصت للغناء فلم يفهم من غنائها أي كلمة، وكأنها كانت تغني بلغة يجهلها على الرغم من إجادته التامة لثلاث لغات، ومعرفته بعدة لغات أخرى..

جذبه الأمر فاقترب من الحمام لينصت أكثر..

بالفعل كانت تغني بلغة عجيبة، قريبة إلى حد ما من اللغة التركية، ولكنها ليست اللغة التركية.. كما أنها لم تكن تغني بل كانت تترنم..

جذبه الأمر جدًّا، وأدهشه..

لم تغلق باب الحمام جيدًا، هل تركته مواربًا عن عمد..

لم يقاوم الأمر وقرر النظر والتمتع بحسنها العاري..

وقف بزاوية لا تكشف وجوده، ولكنها تكشف المغطس الذي لم تكلف نفسها عناء جذب ستارته..

كان ماء الدش ينهمر ولكنها لم تكن في الحمام..

الصوت كان خارجًا من الحمام..

ولكنها أتت هي من خلفه..

سمع في البداية وقع خطوات حذائها التي لم تبالي بإخفائها، استدار بسرعة ليواجهها، ولكنها كانت الأسرع..

هل ما مزق وجهه كانت مخالبها أم أظافرها ؟!

هل حملته بالفعل وضربت رأسه في الحائط ليدور بقوة ؟!

هل كان لها ذيل يتلوى أم هي آثار الضربة الثانية التي أفقدته الوعي ؟!

عندما استفاق، وجد نفسه في تلك الغرفة المعبقة بالبخور لدرجة انعدام الرؤية، وسمع صوت كركرة الشيشة، فعلم أنها تدخن، حاول أن يتحدث فوجد فمه مكممًا بجزء تم تمزيقه من ثيابه..

حاول أن يتحرك ولكنه كان مقيدًا لكرسي الصالون الثقيل بإحكام..

كانت عارية..

وكانت فاتنة..

ولم يكن لها ذيل، وبيدها لمعت سكين منزلية حادة، لم تتوقف لحظة عن العبث بها، وهي تتحدث إلى شخص خفي بتلك اللغة الغريبة، التي سمعها تترنم بها.

كانت غارقة في الأمر، وعندما انتبهت لمحاولاته المستمية لفك قيوده، التفتت إليه، وقالت بصوت ناعم:

- «الفريسة لا تنقلب لصياد إلا مع الحمقى أو سيئي الحظ».

لم يفهم معنى جملتها، ولم يكن لديه الوقت ليفهم. وبينما كانت السكينة تخترق قلبه شغله سؤال واحد:

- لماذا لم تقتله أثناء فقدانه الوعي؟

وعندما لفظ آخر أنفاسه ارتج جسدها في قوة، وبدا وكأن هناك شيء ما غير محدد الملامح ينفصل كدخان أسود عن جسدها ابتلعه الظلام، لتنظر نحو جثة منير الغارقة في الدماء أمامها..

وعندما همت بالصراخ لمحته..

لمحت الشيطان الابن يتجسد أمامها وخلفه أبشع مخلوقان يمكن أن تراهما في حياتها..

وعندما بدأت في الاحتضار لم تعرف إن كانت هي من أغمدت الخنجر في قلبها أم أنه حدث بإيعاز شيطاني مخيف.

ولم تشعر إلا بثانية واحدة من آلام تفسخ الجلد، فلم تشاهد تلك المخلوقة الشيطانية التي تجسدت أمام الشيطان وخادماه، وركعت أمامه لتقول:

- «خادمتك.. تقدم نفسها، وكل ما تملك لخدمتك».

وفي هذه اللحظة دوت في رأس الشيطان الابن فكرة واحدة:

- «آجر».

وفي نفس اللحظة دوت الكلمة في رأس الخدم الثلاثة، فصنعو نصف دائرة، قبل أن ينحنوا أمامه ويتلاشون في غمضة عين، في حين ضم هو أجنحته، وردد بعض الكلمات الخافتة، فتلاشي من المكان، وتجسد في تلك الفيلا في المقطم حيث ينتظره أتباعه من البشر..

إن خطته تتكامل بشكل مرضٍ..

وعلى مقعد يشبه العرش جلس الشيطان الابن بكل غرور، وهو يتأمل الواحد وعشرين تابعًا المتحلقين حول المائدة المطلسمة المستديرة، والذين يدينون له بالولاء.

هؤلاء المختارين المقنعين، الذين قدموا من أقطار الأرض ليقابلوا سيدهم المنبوذ للمرة الأولى، وكل منهم يمني نفسه بمنصب ونفوذ وقدرات خاصة، ومكانة في العالم الجديد الذي سيتسيده.

إنهم مجموعة منتقاة من أثرى أثرياء العالم، ولا توجد شخصية بينهم إلا ولها ثقلها السياسي أو الاقتصادي،أو المادي،أو مزيج منهم، إنه يمشى على هدى أبيه الملعون، و ينفذ خطته التي أثبت فاعليتها.

الخطة التي تحتل جزءًا كبيرًا من تلك المخطوطة التي تحتوي كل أسرار إبليس اللعين، والتي سرقها من المدون، والتي سيضمن بها أن يربح حربه الكبرى في النهاية.

الخطة التي عمادها البشر في الجزء الذي يخص كوكب الأرض.

وهذه الخطة تتضمن سيطرة أعوان إبليس على كل الحكومات والجمعيات، والمنظمات والهيئات والمناصب، ذات التأثير المباشر على مقدرات الشعوب، والتي لها القدرة على توجيههم بشكل كامل لتنفيذ مخطط الشيطان في الأرض، والذي هو عكس كل ما أمر به الخالق العظيم.

وأعوان إبليس نجحوا بالفعل في العبث بكل مقدرات هذا الكوكب، من خلف الكواليس، بعد أن احتلوا كل المناصب العليا، ووسائل الإعلام، وبنفوذهم وبتأثيرهم القوي أبقوا الجنس البشري،

منشغلًا طوال الوقت في دوامة البحث عن حياة أفضل، مهما كانت حياتهم جيدة، ساعين نحو ثروات قد يتركوها خلفهم دون أن يشعروا بلذة امتلاكها، مدمنين لملذات الجسد والأنماط الاستهلاكية، مبتعدين عن الخالق، هاربين من خدمته طواعية غير مقدرين لكماله الذي بلا حدود.

متناحرين طوال الوقت بسبب اختلاف ألوانهم، وأعراقهم، ومعتقداتهم، رافضين لإعمار الأرض، متحولين لقطعان لا تهدف إلا للمتعة الجسدية.

لا مشاعر.. لا عواطف.. لا حب.. لا أسر تتكون..فقط شهوات مطلقة، ناشرين الأفكار الشاذة كالقتل الرحيم وغيره من المسميات، لوأد المشاعر نحو كبار السن والمعاقيين والمرضى وغيرهم.

لقد حول إبليس عالمنا بمساعدة أعوانه بالفعل إلى جحيم مصغر، وأصبح ينتقم من الرب بتضليل عباده.

وهو سيطبق نفس الفكرة، ولكن من زاوية أخرى، فخطة خداعه الكبرى ستعتمد على اقتناص أتباع أبيه الواحد تلو الأخر، كي ينشغل في حصر خسائره طوال الوقت ومحاولة تعويضها، في حين يحقق هو هدفه، الذي لم يعد سريًا، بحكم العوالم، بعد إفناء أبيه، أو على الأقل تحيده وإنهاء خطر وجوده..

وهؤلاء هم من سيساعدونه في البداية، لذا فإنه قال بنبرة حاسمة:

- «الآن بدأت مهمتكم».

وعبر قرن كامل بدأت الثورات والحروب، والصراعات على الحكم في الممالك، والدول، وبين الأخوة أنفسهم..

الجماعات الدينية المسلحة في كل مكان بأسماء عديدة ..

لم يعد يقتصر الأمر على تفجير الأسواق أو المنشأت بل طال دور العبادة ..

الفتن الطائفية التهمت الجميع ..

وفي النهاية أصبح الكوكب بحالته التي عاصرها وليد بنفسه، مجرد مدن مسورة للخاصة، وعشوائيات لمن لم يحالفه الحظ ليكون منهم، والصراعات على أشدها، والموت يمرح في كل مكان، والدين استخدم كذريعة لكل الخطايا ..

لقد أفسد الشيطان الابن وأتباعه الأرض أكثر مما فعل أبوه..

وما أدركه وليد ولم يدركه الشيطان الابن، أنه أصبح ينفذ مخطط أبيه، بأفضل مما فعل هو وأتباعه.

وتحتم هنا أن تأتي لحظة المواجهة ..

فاللعب من خلف الستار لا يمكن أن يستمر إلى الأبد.

۞ ۞ ۞

(15)

خرج وليد من الذاكرة الأخيرة وهو يئن، إن عقله ينهار دون شك، إن هذه الرحلات العقلية ثمنًا فادحًا، إنها تدمر اتزانه العقلي ببطء وثقة،هو يدرك أنه لن يخرج حيًّا أو على الأقل بعقله من هذه التجارب المشئومة.

وبرغم أن كل الأمور قد اتضحت له، وبات يتوقع أن تكون الذكرى القادمة، هي الأخيرة والتي ولا بد أن يتواجه فيها الشيطان الابن مع أبيه إبليس، بعد أن عاد من رحلته المشئومة أخيرًا..

إلا أنه يشعر أن الأمور لم تكتمل، هناك فصول ناقصة في القصة..

لقد سفك المنبوذ الكثير من الدماء ليعود أبناؤه الثلاثة أو الخدم كما يطلق عليهم، بعد أن تحرروا من سجنهم الذي امتد لفترة زمنية هائلة بسبب تلك اللعنة التي صحبت أباهم منذ مولده، كونه هجين..

نصفه البشري يفسد معظم قدراته الشيطانية، ولا يتعاطى مع السحر الشيطاني أو التعاويذ بشكل صحيح، وهذا ما أفسد عمل تعويذة الانتقال التي راح ضحيتها كوتار، بعد أن صنع بوابة عبور دائمة بين الكوكبين، فألقت بهم التعويذة، بعد أن فسدت بوصلتها إلى عالم رهيب، لاشيء فيه إلا العدم.

سجن لم يمتلك أن يتحرر منه وحده، لتطول محنته.

إنه العدم..حيث كل شيء هناك يساوي صفر.

لا أمل.. لا حياة.. لا ضياء.. لا قوة..لا غد..فقط الظلام الدامس، وأحاسيس متجمدة وألم أبدي ..

وما وصل إليه وليد دون ذكاء خارق أن آجر المـاردة العجوز مازالت على قيد الحياة، وهي التي أطلقت سراح الشيطان الابن، بعد أن حررها ابن زوهار من سجنها المطلسم بمذبحة مروعة سال فيها نهر من الدماء.

تبقى لوليد أن يعرف أيضًا علاقة الشيطان الابن بمازن شهاب، وكيف وصلت له تلك الذاكرة الملعونة، كي يموت بعد أن أسكن فضوله.

هل سيموت ؟

يعتقد وليد أنه لو كان سعيد الحظ فإن نهاية كل هذه الأحداث الشنيعة، هي أن يلاقي حتفه، بسكتة دماغية تريحه من عناء الحياة وما يكابده فيها، بينما لو كان للشيطان الابن خطط أخرى، فالموت سيكون الأمنية التي سيدعو لتتحقق.

نظر حوله للغرفة العقلية الوهمية التي صنعها عقله، فوجدها أقل إضاءة من المعتاد، وأصبحت تسكنها الظلال، وبات هناك رائحة مزعجة تتخللها، وأبوابها أصبحت أقل، والحواجز العقلية التي صنعها لتحجب عنه صورة الشيطان الابن قد تهاوت ..

كل شيء يوحي بنهاية قريبة ..

والعجيب أنه لم يعد خائفًا منها بل يراها طوق النجاة ..

وكمؤشر فعلي للنهاية، تجسد أمام عينيه الشيطان الابن بعد أن زالت الحجب العقلية الكثيفة التي قللت من حدة تواجده بداخل عقله، والتي لم يعد قادرًا على تفعيلها بعد حالة الضعف الذهني التي اعترته، وهو يتخذ هيئة بشرية، ويحمل وجه وليد قبل أن يشوهه انفجار المحاكي فيحمل ملامح أخرى، وكأنه يضعه أمام نفسه القديمة.

لابد وأن الشياطين تفهم نفسية البشر جيدًا، وإلا فكيف يوقعون بهم طوال الوقت!..

رؤيته للشيطان الابن أمامه أسكن غصة في روحه، عيناه المختلفتان تخبراه ألا يطمئن.

تبادل هو والشيطان الابن النظرات، وإن ظل هو يتأمل ملامحه لبرهة.

ملامح شريرة، قاسية، وباردة..

لابد وأن الروح هي ما تنعكس على جمالنا الخارجي، وإذا تشوهت، تشوه كل شيء فينا.

ووليد لم يعد يتحمل كل هذه التحولات، وبدون مقدمات وجد نفسه يسأل ابن الشيطان بكل وهن العالم :

- « لماذا أنا ، وماذا تريد مني ؟!».

اتسعت ابتسامة الشيطان الابن الذي يحمل وجه وليد القديم، ولأول مرة يكره وليد ابتسامته الشخصية، وبرغم ذلك لم يحيد ببصره عنه، وأنصت إليه وهو يجيبه قائلًا :

- «ربما لأنك أنت، وما أريده منك سيكون».

رد وليد بسرعة:

- «أنا لاشيء.. مجرد نكرة.. لا أملك أي مميزات لأحظى بكل هذه المعرفة المخيفة».

تأمله الشيطان الابن، وكأنه يزنه بميزانه الخاص قبل أن يقول:

- «كل شيء، وكل شخص، وحتى ذرة الرمال وانتقالها من مكان لمكان له قيمة، ربما أنت لاشيء، وربما أنت كل شيء، طالما تحقق الهدف، فلا داعي لإضاعة الوقت في التفكير في الأسباب».

كان ردًّا مطاطًا لم يمنحه أي إجابة، أو راحة،فقرر أن يسأل الأسئلة الأهم فقال:

- «متى ينتهي كل هذا ؟».

نفس الابتسامة المقيتة، إنه على وشك أن يكره نفسه، وكان الرد المخيف:

- «إننا على وشك البدء، و..».

وعندما هم وليد بمقاطعته أشار له أن يصمت ثم قال:

- «عليك أن تكمل رحلتك، عليك أن تعرف أكثر فربما كان في هذا نجاتك، أو نهايتك، المهم أن تصل لوجهة».

هذه المرة قرر وليد ألا يفكر في القادم، وأن يصل لوجهة.

النهاية هي ما يسعى إليها، فهو يعرف أن الشياطين كاذبون، وأنه لا نجاة هناك، إنه كما يقول رجال العصابات في المحتويات الرقمية التي تبثها الشبكة العالمية، صار يعرف أكثر من اللازم .. وهذا له نهاية واحدة..

والمهم أن تأتي..

عليه أن ينهي رحلته قبل أن يجهز عليه الوهن الذي اعتراه، وهو لن يجازف ويستكين، سيواصل الرحلة، وسيعبر الباب الجديد.

وقبل أن ينتهي من الفكرة اقتلعته الدوامة السوداء، ودفعت به إلى ذاكرة جديدة.

ومن أول وهلة هبت عليه الرائحة المميتة..

رائحة قبر قديم، تعفنت بداخله جثث كائنات دنسة نتنة، لم تعرف طريقًا للنقاء قط..

وهذه الرائحة الشنيعة ..كانت رائحة آجر..

الماردة التي تعفنت بداخل القمقم، والتصقت بها الرائحة إلى الأبد..

كان منظرها مقززًا، وجنتها تجعدت، ورأسها خلى من الشعر، وعيناها الصفراء المشقوقة، قد انطفأت.

لقد خرجت من تجربتها مجرد حطام، ومع عوامل السن التي بلغت أرذله، لم يكن لمثلها إلا أن ينتظر الموت لعله يستريح، ولكنها كانت متمسكة بالحياة كمخالب في جسد ضحية بعد طول جوع.

إن حالتها تتردى من سيء إلى أسوأ.

فلم يختم القمقم الملعون، بتعويذة حماية فقط، بل دهن قبل حبسها فيه، بدهن مطلسم سمم بدنها قليل الكثافة، فصارت في هيئتها كالأشباح، وأصبح لجسدها رائحة لا تطاق، وعجزت عن استخدام كل ما تملكه من سحر وفنون سوداء لتحرير نفسها..

كانت تجربة السجن في القمقم مريعة..

لقد ماتت هناك ألف مرة، وتوقف بها الزمن، لدرجة أنها فقدت إيمانها بكل شيء حتى نفسها، وكادت تفقد عقلها، بعد أن عجزت تمامًا عن التواصل مع أي كائن حي بعد أن كبلت تعويذة الحماية يديها..

لم يشفع لها مكانتها السابقة في مملكة الشيطان الأكبر، ولم ينفعها كل ما حازته من علوم سحرية وفنون سوداء، بعد أن ختم إبليس القمقم بنفسه.

وعندما رأت هيئتها التي تشوهت، وبدنها الذي ضعف، أقسمت بينها وبين نفسها، أن تنتقم من إبليس نفسه، وألا تكون بهذا الضعف، وألا تسمح لأحد مهما كانت مكانته أن يغتصب منها حريتها أو يلحق بها الأذى مرة أخرى.

والآن، وقد تحررت ستنفذ خطتها التي عرقلها إبليس اللعين.

ستعيد حليفها الوحيد المنبوذ من سجنه، وتبدأ حربها الخاصة جدًّا، وسيساعدها في كل هذا ابن زوهار.

وقد كان ابن زوهار في البداية خير عون لها، فقضى معها خمسة عشر عامًا كاملة، في مخبئها السري بأحد كهوف الجبال، والذي تم تحصينه بسحر خاص جعله غير مرصود، لسرايا الشيطان أو ممارسي السحر القلائل عبر العالم، أو الزوار من الأجناس المختلفة الذين يحجون إلى كوكب الأرض حنينًا لتلك الفترة التي حكمها الجن.

وخلال خمسة عشر عامًا نهل منها كل ما تبقى في ذاكرتها من فنون وعلوم سحرية، وأتقن السحر الأسود الشيطاني، ووسع نشاطه في ممارسة فنون النيكرومانسي المشئومة، من أجل البحث لها عن ترياق

يمنحها القدرة على التعافي من أثر الدهن السام، أبشع وسيلة تعذيب أنجبتها قريحة إبليس اللعين..

وعندما قام بالتهام جثة أحد رهبان التبت، أثناء إجرائه طقوس استنطاق الجثث الملعونة، استطاع الوصول إلى ترياق.

لم يكن الترياق فعال بالشكل الذي يرضي آجر، ولكنه كان كافيًا ليوقف انهيار خلاياها، وإن لم يستطع أن يقضي على تلك الرائحة الشنيعة التي لازمتها، وبرغم أنها لم تكن أول إصابة سحرية تصيبها، ولكنها كانت الأعنف، والأكثر إثارة لضيقها وسخطها.

ومع امتلاكها لجزء يسير من صحتها وقوتها، بدأت تضع خطتها طويلة الأمد، وكان أهمها ألا تكون تحت رحمة أحد، خاصة ولو كانت مخلوقات دنيا أصلها الطين، كالبشر.

ولذلك، وبرغم ما فعله ابن زوهار من أجلها، إلا أنها قامت بالسيطرة عليه فور أن امتلكت القدرة، وبسحر خاص استعبدته وأفقدته إرادته، فصار بين يديها كالزومبي.

وأجبرته آجر على الزواج من امرأة يمتد نسلها إلى أحد فراعنة مصر القدماء، وباركت ذريته بسحرها، في حرص شديد منها لتنتقل علومه وقدراته الجهنمية إلى نسله، فدورة حياته القصيرة على وشك الانتهاء.

ثم كان قرارها الأخير والحاسم بقتله بعد أن استفحلت قوته، وهزمت سحر الاستعباد، ولم يعد سحرها بقادر على كبحه، وبدأ يرى نفسه بشكل مختلف، وصرح لها ذات يوم بأنه لم يعد يقبل أن يكون تابعًا لأحد، فأصبح مصدر خطر عظيم عليها.

وذات يوم، أنهت مهمتها بيدها، فانتزعت قلبه من جسده، ثم قامت باستنطاق جثته بنفسها، واعتصرت منها كل أسرارها، لتدرك أنها قامت بتلك الخطوة الدموية في الوقت المناسب.

فطموح ابن زوهار الذي ضحى بما يزيد عن ألف روح من أجل كسر خاتم القمقم، وضحى بابنته في سبيل إتمام التعويذة، كان سيأتي عليه الوقت ليضحي بها من من أجل أن يتحرر بعد أن أمتلك العلم والقوة، وصارت عودة الشيطان الابن، وحلمه بالمكانة الكبرى في العالم الجديد، مجرد أضغاث أحلام، بعد أن عجزوا عن التواصل مع الشيطان الابن في سجنه الجهنمي، برغم محاولاتهم التي لم تنقطع .

وطوال ما يقرب من خمسة قرون، ظلت في كهفها السري، تعلم ذرية ابن زوهار الفنون السوداء، وفنون استنطاق الموتى، وتبحث عن الترياق، وطريقة للوصول إلى حليفها الشيطاني.

الأرض كانت بالنسبة لها كالصحراء الجرداء التي تسكن أحد كهوفها، لم تعد تحتوي على سحرة حقيقيين لديهم القدرة على التعاطي مع السحر، ولا منجمين صادقين، ولا معالجين حاذقين كالأيام الخوالي قبل أن ينتزع السحر انتزاعًا من الأرض.

ومن يحمل هذه الألقاب الآن وحاز بعض الشهرة، هم مجموعة من النصابين الأذكياء، يعرف قلة منهم بعض دروب السحر العادي الذي يستخدمه المشعوذون، وهو بالنسبة لها كالسراب لا يستطيع مساعدتها.

وذات ليلية مشئومة، أخذت تتبع أثر ممارسة السحر في أنحاء الكوكب، عن طريق بندول عظمي كانت تمرره على نوع ما من

الخرائط الغريبة، التي تشبه غابة متشابكة من التقاطعات الدائرية، بحثًا عمن يستطيع مساعدتها لتحقيق أي من أهدافها.

عندما رصدت أثر ممارسة أحد أخطر فنون السحر الأسود على الأرض..

سحر العبور.

تركت كل شيء وركزت بقوة على تتبع هذا الأثر..

وكان الأمر سهلًا بشكل يثير الشكوك، وكأن صاحبه لا يعلم حقيقة المجاهرة بهذا النوع المحظور بالسحر، أو أنه أحمق، أو هو الاثنان معا، أو أنه فخ من أتباع إبليس الذين لم يملوا مطاردتها برغم مرور خمسة قرون.

وباستخدام قدرة تخاطرية كادت تندثر عندها، استطاعت أن تتوصل لهذا البشري، الذي كان يسعى بكل قوته للعبور إلى الجانب المظلم من العالم، إلى بُعد الشياطين..

أخذت تحوم حوله لفترة، حتى تأكدت من عدم وجود صلة بينه وبين أتباع إبليس، وتعجبت جدًّا من أن مثله يمتلك هذا النوع من السحر المندثر، وتساءلت أكثر عن الأحمق الذي فرط فيه مقابل بعض الأموال.

وسحر العبور نوع معقد من أنواع السحر الأسود، كانت تفتقر إليه بعد أن طمس من ذاكرتها التي تسممت بالدهن الشيطاني..

وفي هذه اللحظة أدركت أنها في حاجة إلى ابن زوهار، ليساعدها في السيطرة على هذا البشري مع ضعف بنيتها.

ولم يكن هذا ممكنًا، فالموتى لا يعودون إلى الحياة، مهما حاولنا، أو تمنينا.

كانت خانقة، ولكنها لم تندم على قتله، فلم يكن ليحيى كل هذا الوقت مهما امتلك من علوم سحرية، وبإمكانها أن تصنع ألف ابن زوهار.

المشكلة فقط أن أخر حفيد له مازال يحبو.

لذا قررت أن تنسى وهنها، وضعفها، وتستنفر كل قوتها، لتصنع تواصل شبه دائم مع هذا البشري..

وباستخدام قدرتها التخاطرية التي لم تخبو بعد، تواصلت معه، ولم يكن هذا البشري سوى كريم، الذي حاز العلم المفقود، والذي هو مفتاحها لعودة حليفها الشيطاني، فقط عليها أن تبدل في التعويذة قليلًا لتصنع عبورًا مزدوجًا، وهو تعديل صعب ولكنها قادرة عليه، برغم ضعفها.

ومن حسن حظها، أن أثر كتاب السحر الذي استخدمه كريم، كان يقود إلى خبيئة أخرى تحتوي المزيد من الكتب والرقاع التي أخفاها بعض سحرة الشياطين في كوكب الأرض بعيد عن يد إبليس وزبانيته، لحرصهم على عدم ضياع هذه العلوم، بعد حملة عزرا المسعورة وأعوانه.

وفي أحد الرقاع وجدت ضالتها، عزيمة سحرية أعظم قوة من التي كانت ستستخدمها، إن الأقدار في صفها الآن.

ولتفعيل هذه العزيمة، كان على كريم أن يضحي بزوجته التي يحبها حبًا جمًا، وهذا الحب هو المفتاح، ولم تتردد آجر، فأوقعتها في غيبوبة

وحجبتها عنه، في جب سحري خاص أسفل منزله حتى دعت الحاجة إليها.

ثم أوحت له بمكان الثغرة السرية، في قلب تلك المقبرة القديمة، وعندما قدم القرابين الحيوانية والبشرية، وأتم الطقوس، فتحت البوابة التي تقود لعالم الشياطين، ووقع هو في أحد أوهامها المخيفة، فكاد يغرق في نهر من الدماء والأشلاء.

ولكنها كانت تدعمه معرضة نفسها للانكشاف لزبانية إبليس، فهي ستنفذ التعويذة الإضافية التي ستجعل بوابة العبور لعالم الشياطين، هي مدخل عالم العدم، والذي توصلت إليه عن طريق الرابطة السحرية التي تربطها بالشيطان الابن، وبالمخطوطة.

وضحى كريم بزوجته، وعاد الشيطان الابن من سجنه الجهنمي..

ولكنه هذه المرة لم يعد وحده..

بل عاد مع ثلاثة من أبنائه، من نسل غير بشري، أو شيطاني.

وباستخدام قدراته الشيطانية وسحر الإحلال،المدمج بسحر الدم استطاع أن يحررهم من سجنهم..

والآن هاهم يحيطون بآجر..

وهم ينظرون نحوها بمزيد من التقدير والتقديس..

وهاهم يحملونها معهم إلى حيث ينتظرها المنبوذ..

الذي صار يحمل لقب العائد الآن..

ليبدأ أخر فصول هذه الملحمة الدموية الشيطانية..

❁ ❁ ❁

(16)

تابع وليد لقاء آجر بابن الشيطان، بعيون مندهشة ذاهلة، فبرغم كل مشاعر الكراهية والحقد التي تفوح من كل شيء في هذه الذكريات الخبيثة، إلا أنه كان هناك نوع من مشاعر الود والامتنان والحب، غلفت هذا اللقاء.

فالود والامتنان كانا من ابن الشيطان إلى آجر ..

والحب كان من آجر لابن الشيطان الذي لا يخفى عليه طبيعة مشاعرها نحوه، بل هو من شجعها بنفسه من البداية، ليحظى بدعمها.

وكان أول رد الجميل لآجر أن خلصها من رائحتها الشنيعة، مستخدمًا قدراته الفائقة التي تضاعفت برحلته عبر الأبعاد إلى كوكب الطغاة والسينج، واستحواذه على النسخة شبه الكاملة من المعارف القديمة، وإن لم يستطع أن يعكس تأثير مرور الزمن عليها، فشائعة أن الجن عندما يكبرون في العمر يعودون شبابًا قبل الموت، كانت خيالًا لا أكثر ..

كان هذا الاجتماع حدثًا خارقًا للطبيعة ..

خمسة مخلوقات كل منهم من أصل مختلف، أربعة منهم هجناء، وواحدة تنتمي لعالم الجن، وتحمل هي الأخرى لقب المنبوذة.

وكان لهذا الاجتماع أثر سحري قوي، رصده سحرة العالمين، خاصة وأن السحر الذي ربط بين ابن الشيطان وآجر كان من القوة، خاصة وهو يربطهما معًا بالمخطوطة.

ولم يكن هذا يخفى على أي منهما، لذلك فور أن انتهى اللقاء العاصف، انتقلوا جميعًا إلى حيث تتواجد المخطوطة.

إلى دهشور.

حيث يتواجد أخر خمسة أهرامات من عشرة كانوا في المنطقة، وإلى أكثر الاهرامات جدلًا بينهم، والذي دارت حوله الأساطير..

الهرم الأسود..

تتكاثر الأقاويل عن حقيقة الهرم، حيث يقال إنه بُنى للاحتفاظ بالطاقة الغير مرئية، أو للتستر على قتل ابنة الملك أمنمحات الثالث كأضحية، وهذا يبرر العثور على المومياء الخاصة بها فى تابوت الملك.

والحكومة لا تسمح بالاقتراب من هذا الهرم، وتشدد بأنه مغلق أمام السياح ليس بسبب حالته فدعائم توزيع وزن الهرم سليمة تمامًا، وربما بسبب الأقاويل و الشائعات عما يحدث حوله ليلًا فى أيام معينة من السنة، هذا غير الإشاعة القوية، عن ظهور فضائي فوق المنطقة حدث فى العام ١٩٨٩م.

تأمل ابن الشيطان الهرم الأسود بعينيه ونشوة كبيرة تجتاح كيانه، كانت حالة الهرم سيئة حقًّا، على عكس حالة الشيطان الابن، فعند بنائه كانت هناك مشكلة كبيرة في هيكله، وبدأ الهرم يسقط من تلقاء نفسه،

فقام مهندسوا فرعون بتدعيمه بالطوب اللبِن وحزم من شجر الأَرز، فحفظوا الهرم من الانهيار، ليصبح خزينة ابن الشيطان السرية.

مس بيده جزء من هيكله المنهار، والذي أسود طوبه اللبني ليحصل على اسمه الشهير، ووقف أمامه.

كان يعرف أن مخبأه هذا عصي عن الاكتشاف، حيث كان يضم بداخله مجموعة كبيرة من تمائم عين حورس، وتماثيل الأوشابتى أو المجيبات صغيرة الحجم، وتتميز هذه التماثيل بأنه منقوش عليها عدد كبير من التعاويذ لحماية المتوفي، ولإجابه طلباته فى العالم الأخر.

وتلك التمائم والتماثيل مسخرة للدفاع عن الهرم، وقامت بحجب أثر المخطوطة عن سرايا الشياطين، وصائدي الجوائز عبر القرون.

ركز ابن الشيطان ببصره على الهرم، فكشف ما بأعماقه دون أن يطأه بقدمه، كان يوجد بداخله عدد لا يحصى من الممرات والغرف المتشعبة و الممتدة تحت الأرض، وبطريقة معقدة للغاية، ولا أحد يعلم إلى أين تمتد، كانت تشبه المتاهة الأسطورية اللابرينث إلى حد كبير.

وظهر أمام عينيه المشتعلتان الحجر المتحرك والذي يزن عدة أطنان، والمعلق فى سقف الممر، بوسيلة مجهولة تثير التساؤلات.

هرم مخيف برغم حالته المتداعية، ولو راجعنا ما ذكر عنه في بردية وست-كار، لأدركنا أن اختيار ابن الشيطان لهذا الهرم المهدم لم يكن عبثيًا.

وتحكي البردية عن أن الملك خوفو قد جمع يومًا من الأيام أبناءه، وطلب منهم أن يقصوا علية قصة عما يستطيع السحرة أن يأتوه من معجزات.

وقد حكى أربعة من أبناء خوفو كل واحد منهم قصة تحتوي على معجزة معينة، حتى جاء دور أخر أبناء الملك ليخبره عن ساحر فرعونى شهير، فيأمر الملك بأحضار هذا الساحر الذي يدعى چدي، والذي قام أمامه بقطع رأس أوزة، وثور أثم أعادهما كما كانا، والذي تنبأ له: بأنه سيأتى يوم، يحكم مصر رجل ليس ذا أصول أو دماء ملكية. فيسأله الملك خوفو إن كان يعلم مكان معبد تحوت أو يعرف عدد حجراته، ويصر على ذلك للاستفادة من العلوم الفوق طبيعية الموجودة في المعبد.

فيجيبه الساحر بأن من سيعرف مكان معبد تحوت هو أخر من سيولد من الملوك الثلاثة الذين ستلدهم زوجة كاهن رع. وبعدها يحدث اضطراب يسود البلاد و تنتشر الفوضي والدمار، ويأتى ملك يُدعي أميني من -أم أصلها من النوبة- يعيد الاستقرار للبلاد، وأمينى هو الملك أمنمحات الأول، جدأمنمحات الثالث بانى الهرم الأسود.

السحر يدور حول الهرم وصاحبه ..

وها هو يحتوي بداخله أحد أخطر أسرار الكون، المخطوطة التي خطها المدون، والتي تحتوي على خطة إبليس الجهنمية، لإنشاء مملكته التي ستكون موازية لمملكة الرب، وتفاصيل خططه الحالية والمؤجلة، والممالك التي تحت حكمه، ومن يثق فيهم ومن لا يثق من رجاله وأعوانه عبر الأبعاد، وعن خطته لإفساد الأرض، وأسراره القديمة التي لا يعرفها إلا هو بعد موت المدون، وسر اللقاء المقدس مع الخالق، وسر التمرد، وأسرار السحر القديمة، وغيرها ..

إنه الآن يقف أمام الهرم الأسود، يقبض على يد آجر التي أقلقتها

الطاقة السلبية الناتجة عن الهرم، وبكل قوتهم يرددون عزيمة خاصة، وحولهم الخدم الثلاثة يأمنون المكان.

وفور انتهائهم..

سمع صوت رعد قاصف، قبل أن يرتج الهرم للحظة، ويتناثر حوله الغبار، وتظهر المخطوطة شديدة القدم، لتقبض عليها آجر قبل أن يصل إليها الشيطان الابن..

وبسرعة غير معهودة من جسدها الواهن، رددت كلمات تعويذة خاصة، وما أن انتهت منها حتى تلاشت، من المكان أمام عيني الشيطان الابن الغاضبتين، وأبنائه.

ولم ينتهِ الموقف عند هذه النقطة ..

بل فوجيء الشيطان الابن بالمئات من جنود إبليس حوله، وعلى رأسهم..

إبليس نفسه ..

لم يكن هذا مجرد فخ ..

بل كانت خيانة متكاملة الأطراف ..

***

(17)

صدمت المفاجأة وليد، أكثر مما صدمت الشيطان الابن وأبناؤه الممسوخ، فخلال كافة الأحداث الماضية التي عاصرها وليد عبر ذاكرة ابن الشيطان، لم يتوقع أبدًا أن تأتي الخيانة من الماردة العجوز آجر. ولا أن تكون لديها الجرأة والوقاحة على سرقة المخطوطة من حليفها الوحيد. فلم يدعم الشيطان الابن منذ حطت قدماه في عالم الشياطين أحد مثلها.

كما لم يتوقع أيضًا أن يرى إبليس شخصيًّا، يقود كتيبة كاملة من مردة الشياطين، ليقضي على ابنه المنبوذ بنفسه، وكأنما أدرك متأخرًا خطره العميق، بعد أن حاز كل هذه القوى، التي جعلته يرى نفسه إله على كوكب الجبابرة و الطغاة. وقرر ألا يجازف بمنحه الوقت ليصير أقوى وأكثر معرفة، فسعى إليه خارج موضع قوته ونفوذه، ليتصدى له على كوكب الأرض، موطن قوة ابنه الحقيقي.

تابع وليد ذلك الحدث الأعظم بكل شغف، فها هو الشيطان يقود جنوده، في المواجهة الثانية مع البشر لو عدنا لنصف ابنه الأرضي، بعد أن نال الهزيمة الأولى هو ومردته وغيلانه على يد مهلايل حفيد آدم ..

فهل تتكرر المعجزة.

من وجهة نظر وليد الكفة متزنة حتى الآن، والمعركة القادمة ستكون متكافئة بين طرفيها.

فما رآه من قوة خدم ابن الشيطان الثلاثة على كوكب الطغاة، وهم يمزقون قطيع التارون، يوحي بقوة عظيمة إن لم تكن خارقة، وفي المقابل أتى إبليس بكتيبة من مائة مارد، فلابد وأنهم أعظم وأقوى الجنود في جيشه الشيطاني، كما أنه هو نفسه على رأسهم.

لن يستطيع أن يحكم على هذه المواجهة قبل نهايتها، خاصة وأن التسلسل الزمني للذكريات لا يمنح أي إشارات، وعهد الشيطان الابن في حكم العالم، لن يختلف عن أبيه لو كان يخلفه الآن.

ولن يركن لهزيمة إبليس في معركته الأولى، وإن كان يتمنى هذا، فربما زال الشر المنظم الذي يظلل الأرض بمظلته السوداء بزواله .

ساد الصمت التام لدقائق، والغضب يرسم صورته الكاملة على وجه الشيطان الابن، الذي وقف يواجه إبليس وجهًا لوجه، بعد أن كانت مواجهتم السابقة من خلف الستار.

والحقيقة المزعجة، أنه كان يرى أبيه أقل من حجمه الذي يراه عليه كل مخلوقات الكون، التي وصل إليهم نفوذ إبليس وأعوانه.

فوق رمال هذه الصحراء،يراه مجرد شيطان آخر، منزوع عنه القداسة والمهابة التي يصنعها لنفسه، في مملكته بقلب عرينه.

ومن داخله، أدرك أن الأمر محسوم له، إن أباه لم يقدره حق قدره، حتى في المواجهة الأخيرة، ولم يحضر كامل جيوشه وكأنه يحقر من مكانته وقوته، لذلك آثر الصمت، وهو يطيل النظر إلى وجهه، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة، استفزت الشيطان الأكبر، الذي ابتدره قائلًا

بصوته الموتر للأعصاب:

- «لم أتوقع أبدًا، أن يسبب هجين مثلك، كل هذا الضجيج».

لم يبتسم الشيطان الابن، ولكن ظهرت في ملامحه بوادر الاستخفاف وهو يقول:

- «هذا الهجين، لن يجلب لك إلا الموت».

تحفز جنود إبليس الذين غص بهم المكان، وتحفز خدم ابن الشيطان الثلاثة بعد هذه الكلمات المستفزة التي رددها الطرفين، واستعد كل منهم للاشتباك، ولكن الشيطان، رد عليه بصرامة، وكأنه يريد أن يبرز حماقته، ويهينه أكثر، فقال:

- «وكيف سيقضي نصف بشري مثلك، على خالد مثلي .. ملك الموت نفسه لا يجرؤ على الدنو مني».

هنا انطلقت ضحكة الشيطان الابن بقوة ليتردد صداها عبر صحراء دهشور، ضحكة كريهة تحمل كل حقد واستهزاء الدنيا، وهو يقول:

- «لا تحتاج كل المخلوقات للموت كي تنتهي.. الموت أشياء عدة ومراحل، وأنا أحمل لك منه الكثير، ألا تذكر نبوءة الألف عام، ربما حان الوقت لترزح في قيدك، وتكون سجيني، ولكن هذه المرة إلى الأبد».

بدا وكأنما إبليس اهتز للحظة، ولكنه أخفى انفعاله وعيناه تشتعلان بسخرية لا يخفيها الاضطراب:

- «هل أصبحت مؤمن بالكتاب المقدس الآن، هل تظن أن النبوءة تتحدث عني، الحقيقة أني لم أنجب مسخ مشوه، بل وأحمق أيضًا».

وهنا فرد الشيطان الابن جناحيه وقال:

- « هذا المسخ المشوه الأحمق، سيكون سيدك».

ثم أشار بيده للسماء، وصرخ بقوة:

- « الآن ».

وفي لحظة واحدة تردد في المكان صوت هادر قوي بترنيمة وثنية قديمة، بدا وكأنه قادم من كل مكان.

وعلى أثرها، شق قلب السماء برق مخيف تعاظم حتى احتوى المكان كله، ثم اختفى ليسود بعدها ظلام سحري كثيف، حجب جنود الفريقين عن بعضهم البعض.

أخذت المفاجأة مردة إبليس وأعوانه، بينما تحرك خدم ابن الشيطان الثلاثة في قوة وسرعة، وبتناسق مدهش وكأنهم كانوا ينتظرون هذه اللحظة، ليواجه كل منهم فريق من المردة، اللذين كشروا عن أنيابهم، وهم يدورون حول أنفسهم في تخبط .

وخلال زمن لا يذكر، تحول كل منهم لمسخ عملاق مجنح، وانقض على المردة الغافلين المتخبطين بقلب الظلام الصناعي الذي أعمى أبصارهم، وألقى في قلوبهم الرعب.

في الهجوم الأول سقط ثلاثة عشر ماردًا صرعى، وعلى أثره قامت كل مجموعة منهم بعمل تشكيل دفاعي عشوائي، وكل منهم يستخدم قوته السحرية، في توجيه ضربته القاتلة نحو المكان الذي ظن فيه وجود المسخ المهاجم، المسخ الذي كان يتحرك في قلب الظلام بكل حرية وسهولة، دون أن يعيقه شيء، ليجتث المزيد من الأرواح.

وبعد العديد من المحاولات الفاشلة للتصدي للهجوم الضاري، أدرك مردة إبليس، أنهم يقاتلون وحوش منيعةحصنت ضد سحرهم؛ فلم توقفهم تعويذة أو قذيفة نارية، أو فخ مطلسم.

ولم يبتعد المردة كثيرًا عن الحقيقة، ففريق المسوخ كانوا محصنين بالفعل ضد السحر الشيطاني، بسحر فضائي خارق، عاد به الشيطان الابن من كوكب الطغاة.

كل شيء خطط له الشيطان الابن بدقة، فهو لم يكن ينوي أن يترك المجال هذه المرة، ليحظى بهزيمة جديدة في حياته..

وعلى عكسه، وثق إبليس في نفسه وجنوده.

جنوده الذين لم يكن لديهم الفرصة ليتألموا أو يصرخوا..

والحقيقة أنهم بذلوا جهدًا كبيرًا..

وبرغم ذلك، كان المسوخ الثلاثة بأحجامهم العملاقة وسرعتهم الفائقة، يتحولون لأطياف شبحية، ويعبرون بينهم، لتنفجر أجسادهم كبالونات مليئة بالدخان، ودمائهم قليلة الكثافة تمتزج بالرمال.

من يشاهد بداية المعركة، سيعرف جيدًا، أنها قد حسمت، خاصة عندما انجاب الظلام، وانبثق الضوء ليبدد العتمة الصناعية التي صنعتها تلك التعويذة الغامضة، التي استعرت بعدها النيران في كل شيء، وصار مردة الشيطان هباء منثورًا.

لم يستوعب وليد المشهد السريع، ولا نتيجة المعركة الخاطفة، وقد هزه مشهد النيران العظيمة التي كانت تتوهج في كل مكان، وأحيت مخاوفه القديمة وذكرياته السيئة.

كان مرتبك أكثر من مردة إبليس، الذين مزقهم خدم الشيطان الابن، بعد أن تحولوا لثلاثة أعاصير قاتلة، أجتثهم من فوق الأرض، ثم تحولوا الرماد داكن على يد ذلك المقنع الذي يدعى رسول الظلام.

والذي ظهر من أسفل شباك مموهة كانت تحيط بالهرم الأسود، وحوله العشرات من رجاله المحترفين، المسلحين بقاذفات اللهب، وعلى وجوههم أقنعة مخيفة كتب عليها بالدم طلاسم مختلفة كوسيلة حماية إضافية من سحر إبليس وأعوانه.

ومكنتهم تلك الأقنعة من الرؤية الجيدة بقلب الظلام، وهم يطلقون نيرانهم في كل مكان، وباحترافية شديدة، ليحيلوا المكان لجحيم من النيران، وكأنهم لو لم يحرقوا أشلاء الشياطين لعادوا من جديد.

إن الشيطان الابن ليس مستعدًا ليترك ثغرة، تمر منها أشباح الهزيمة..

لقد خطط لمعركته جيدًا..

لم يقع في الفخ.. بل أعده بنفسه لأبيه.. ملك الشياطين.

وما أن خمدت آخر شعلة لهب.. حتى ابتسم الشيطان الابن وهو يصرخ بصوت كالرعد:

- « الشبكة».

نفس الصوت القوي الذي ترنم بالتعويذة الوثنية القديمة التي أظلمت السماء، دوى بعزم شديد، بإحدى تعاويذ السحر الأسود شديدة القوة، والتي على أثرها، تكونت شبكة نارية هائلة الحجم، غطت المكان كله للحظة، قبل أن تتضائل وتهاجم إبليس نفسه.

إبليس الذي لم يتحرك خطوة واحدة، ولم يأتي بأي رد فعل، وهو يرى رجاله، يمزقون إربًا، ويحترقون.

إبليس الذي كان يشاهد ابن الشيطان ورجاله ينتصرون في معركتهم، وكأنه يشاهد فيلم هزلي سخيف ..

تابع ابن الشيطان الشبكة النارية التي توجهت صوب إبليس، وهو يمني نفسه بنهاية سعيدة وشيكة، وهو يصرخ :

- «الآن ستذوق جحيمي الخاص».

كان على ثقة من أنه أعد كل الأمور بدقة شديدة ..

كان على ثقة من أن خطته ستنجح ..

كان على ثقة من أن هذه اللحظة هي نهاية إبليس، أبوه الذي لم يرى منه يومًا جيدًا ليشفع له ..

كان على ثقة كبيرة، حتى تحرك إبليس نفسه ..

لم يكن تحركه عنيفًا ولا متعجلًا ..

فقط أشار لتلك الشبكة النارية المطلسمة التي كانت على وشك الإطاحة به، فتوقفت في سماء المكان للحظة واحدة، ثم انطلقت بعدها لتحصد أرواح رسول الظلام ورجاله المقنعين، وتحولهم لرماد منثور.

لم تأخذ المفاجأة الشيطان الابن أكثر من ثانية واحدة، وبسرعة مذهلة تواصل عقليًا مع خدمه الثلاثة الذين استنفروا كامل قوتهم، وتحول كل منهم لإعصار ناري رهيب هاجم الشيطان الأكبر ..

وبنفس حركاته الواثقة، اطلق إبليس صرخة عاتية، أطاحت بالمهاجمين الثلاثة، وكومتهم، تحت أنقاض الهرم الأسود ككتلة من

الريش والجلد المحترق. ليصرخ الشيطان الابن بعد أن فقد أبنائه الثلاثة بضربة واحدة، وهو ويهاجم إبليس في ضراوة.

ابليس الذي قابل هجومة ببرود شديد، وهو يشير نحوه بيده ويردد كلمات مبهمة، ليتوقف جسد الشيطان الابن، رغمًا عنه بعد أن سيطرت عليه قوة قاهرة، وبكل هدوء رفعه ابليس إلى أعلى، وجعله معلقًا في الهواء أمام عينيه الناريتين المشتعلتين قبل أن يقول في استهزاء:

- «كيف لحشرة مثلك، أن يتحدى إله؟!»

يصرخ ابن الشيطان في قوة، وقد أعماه الغضب:

- «بل أنت أحقر مخلوق في الكون، ونهايتك على يدي».

وتبعها بأن تحول هو الآخر إلى إعصار هائل من النيران، مستنفرًا كل قدراته التي امتلكها في ذلك البعد الخارق، ليقف بجسده العملاق المشتعل، أمام إبليس، ببنيته الشيطانية الضئيلة قائلًا بصوت غاضب:

- «من الإله الآن أيها المنبوذ الأكبر .. أنا أيضا لا يجرؤ أحد على قتلي».

ابتسم الشيطان الأكبر في استهزاء ثم قال:

- «بعض الأشخاص ما كان لهم أن يولدوا قط، وأنت أولهم.. لقد مللت من كل هذا العبث، وعلى الستار أن يسدل الآن».

وقبل أن يقوم بأي فعل عنيف نحو الشيطان الابن، تردد نفس الصوت القوي في المكان، بترنيمة شيطانية فضائية شديدة الصعوبة، وعن طريقتها تم تنفيذ أحد أخطر تعاويذ السحر الكونية.

وأمام أعين الشيطان الأكبر الذي كان يمسح بعينيه مكان المعركة

الذي امتلأ بالأشلاء والجثث المحترقة، بحثًا عن مصدر الصوت الخفي الذي يردد تلك التعاويذ الجهنمية.

تألق الفراغ..

وخرج من قلب فقاعة الضوء الجيلاتينية التي تكونت في قلب الصحراء، مخلوق أخطبوطي أسود، تتماوج بداخله نيران مستعرة، وكأنه بركانًا حيًا يموج بالموت والخراب، مجرد ملامسته للرمال صهرها على الفور وحول بعضها لشظايا زجاجية.

وهذه المرة تراجع الشيطان الأكبر في صدمة، وهو يتأمل ذلك المخلوق الذي تستعر النيران بأعماقه قبل أن يقول:

- «اللعنة عليك أيها الأحمق المنبوذ، كنت أعلم أنك أحمق، ولكنك تستحق الآن لقب أحمق مخلوقات الكون.. هل جرؤت على إحضار حامل النيران إلى الأرض، هل تبلغ كراهيتك لي أن تفني الكوكب كله».

ابتسم الشيطان الابن برغم أنه كان يرى الغضب على وجه أبيه الهلع، وهو يشاهد أحد أخطر أسلحته- حامل النيران- وقد انقلب ضده.

ذلك المخلوق الكوني الرهيب الذي تستعر بأعماقة نيران كونية رهيبة، بقوة عشرة شموس مثل شمس كوكبنا، والذي يستغله إبليس هو وثلاثة غيره من هذه المخلوقات في إذكاء نار جحيمه الخاص، الذي يصنعه على أحد أكبر كواكب مجرتنا غير المأهولة.

كان مشهد حامل النيران مروعًا ومفزعًا، لقد تمادى الشيطان الابن بشدة..

وليد يتابع بذهول..

كائن رهيب يحمل في جوفه نيران جحيمية قادرة على تحويل كوكب الأرض إلى كرة من اللهب خلال ثواني، وجحيم يصنعه الشيطان على كوكب عملاق يفوق حجم الأرض مئات المرات..

إن إبليس لا يكف عن إبهاره بإصراره وعناده..

فها هو يصنع جحيمًا حقيقيًا، وربما جنة أخرى على كوكب آخر.

إنه يقلد الخالق دون هوادة، لا بد وأنهم في لحظة ما سيستغلهم لضرب ثوابت المؤمنين بالخالق العظيم، أو خداعهم كما خدع الجن من قبل، وأخبرهم أنه إله النور و الخير، وأن الخالق العظيم هو إله الشر المطلق.

الأمر أكبر من تفكير ووعي وليد.

فمؤامرة الشيطان لم تكن متعلقة البشر وحدهم، بل هي تتمدد لتشمل الكون كله.

الشيطان الأكبر لم يكن غافلًا أو غير فاعلًا عبر القرون كما أوحى لنا.. بل كان منشغلًا في صنع كون موازي بديل، نسخة مطابقة لما في السماء من جنة ونار، وربما يعد بعض أعوانه ليلعبوا دور الملائكة، قبل أن يقوم بعمل قيامة زائفة، ليتوجه له مخلوقات الكون بالعبادة.

الأفكار برأس وليد تتمدد وتتخذ منحنًا رهيبًا يضرب كل الثوابت في مقتل، ويكاد يصيبه بالجنون ..

وهو شيء لا يمكن أن يسمح به في لحظة المواجهة الحقيقية ..

الشيطان الابن، استغل ما أخبره به المدون قبل أن يتآمر عليه

ويصرعه، وتتبع أثر أحد مشاريع أبيه الجهنمية بعد عودته من منفاه في قلب العدم، وذهب إلى الكوكب الذي يصنع عليه جحيمه الخاص، وسيطر على أحد وحوشه، حامل النيران.

وها هو يستغله ضده بعد أن سيطر عليه بسحر فضائي استقاه من كهنة اليورك المتواجدين على كوكب الطغاة، والذين سيطروا به من قبل على القدماء.

إن لديه من أوراق اللعب والصراع، ما فاجأ إبليس نفسه.

وجعبته لم تنتهي بعد.

وبالطبع لم يقف إبليس موقف المتفرج، وابنه المنبوذ، يستعرض قوته، وما وصل إليه من علم بخططه وشئونه وأسرار مملكته أمامه، بصوت غاضب حاقد قال:

- «انتهى العبث».

في نفس اللحظة التي أطلق فيها حامل النيران قذيفة نارية هائلة اطاحت بالشيطان الأكبر، وأغرقته بداخله، حتى لم يعد يظهر منها شيء، وحولت الرمال حولها إلى زجاج وسلكًا متفحمة.

لم تكن نيرانًا عادية، بل كتلة من معادن مصهورة تشبه الحمم الحارقة التي تطلقها البراكين.

وهنا نظر الشيطان الابن لإبليس الذي غرق وسط حمم النيران المشتعلة، ونشوة عارمة تجتاح كامل كيانه ..

لقد فعلها أخيرًا ..

لقد قتل الشيطان الأكبر ..

قتل إبليس ..

وأثبت أن كل ما كان يدور حول خلوده وقوته المزعومة كانت مجرد أساطير.

إنه الآن سيد كل العوالم، وإله الكون نفسه ..

ما دار في اللحظة التالية كان أسرع من أن يستوعبه عقل وليد، لأنه حدث في أجزاء قليلة من الثانية ..

وكعنقاء تخرج من بين الرماد، هب إبليس واقفًا، وقد بدا لعيني الشيطان الابن سليمًا كأن لم تمسسه نار ..

انتصب جسده للحظة، ثم تضخمت هيئته، فصارت بحجم هيئة الشيطان الابن عشرة مرات على الأقل، حتى أن جناحيه كان يغطيان الهرم الأسود نفسه، ثم هاجم ابنه المنبوذ في سرعة وقبض على عنقه، وواجه بعينيه المشتعلتين، عينيه المختلفتين وهو يقول:

- «هل نسيت أني خالد، هل نسيت الوعد الإلهي أيها الأحمق».

ظهر الجنون في عيني الشيطان الابن، وهو يستمع لأبيه الغاضب، قبل أن يتساءل في ذهول:

- «أهناك إله حقيقي للكون؟».

شدد الشيطان الأكبر قبضته على عنقه، وهو يقول:

- «هل تظن أنك تملك كل العلم أيها النكرة، للكون خالق واحد، هو من أوجد كل شيء».

احتقنت عينا الشيطان الابن، وهو يحاول أن يتملص من قبضة إبليس الحديدية، بعد أن أدرك أنه يجهل عن أبيه وقدراته كل شيء،

وكان سؤاله الأخير قبل أن يطيح به إبليس:

- « ولماذا تعاديه إذًا، لماذا تتحداه، وتنشر الشر في الكون، ولما حولتني لما أنا عليه فصرت عدوك ؟».

انقض إبليس عليه مجددًا، وبمخالبه القوية، انتزع جناحيه، ليتألم في قوة، وهو يجيبه في غضب:

- « لأني قادر على فعل هذا، لأني أستحق ملكوت مشابه، ولأنك حقير، وأنا لا أرغب إلا في الكمال».

هلع الشيطان الابن من قوة أبيه، وردوده التي تشي بغرور لا قدرة للكون على احتوائه، وبآخر ما في جسده من طاقة، حرك حامل النيران ليهاجم إبليس، الذي بدأ في تمزيق جسده إربًا.

أطلق حامل النيران كتلة نارية أعظم مما سبقتها، فترك إبليس الشيطان الابن الذي غرق في دمائه، ودار حول نفسه في سرعة أسطورية، واستقبل تلك الكرة النارية الهائلة، وأوقفها على بعد سنتيمترات من جسده، قبل أن يبدد طاقتها، وينقض على حامل النيران من الوضع طائرًا، والذي كان يفوق حجمه مائة مرة على الأقل، والذي تحفز لالتهامه، بأن فتح فمه العملاق القادر على ابتلاع قاعة أوبرا كاملة ممتلئة بالبشر..

ثم فرد يديه، وهو يردد تعويذة سوداء رهيبة، كادت تطيح بكل شيء في المكان والتي على أثرها، عادت الفجوة الجيلاتنية لتنفتح، وتسترد مخلوقها الجهنمي، وتعود به إلى جحيم الشيطان الأكبر.

وأمام عينى الشيطان الابن الذاهلتين، ردد إبليس كلمات قديمة، تعود لأول ظهور للسحر في الكون، وعلى أثرها، توهج في السماء نجم بعيد.

جعل الشيطان الابن يصرخ في قوة :

- «اللعنة عليك .. كيف فعلتها ؟».

لم يجبه الشيطان الأكبر، وهو يشير لجزء خفي، في طرف بعيد من المكان، ليتجسد منه عجوز بشري، بلغ من العمر أرزله يحمل بين يديه مجموعة من الرقاع، تحتوي على مجموعة من تعاويذ الظلام المحرمة التي كان يرددها عندما كان مجرد صوت خفي، قبل أن ينقض عليه ويمزقه إربًا..

ليستدير بعدها إلى الشيطان الابن الذي كان ملقى بجوار الهرم الأسود ككم مهمل،قبل أن يقول:

- « هل تعرف فائدة العمر المديد.. هل تدرك أهمية الخلود ؟».

وقبل أن يجيب أضاف:

- «إن تكون قد رأيت وخبرت كل ما يدهش حديثي السن مثلك، ويصير كل شيء بالنسبة لك سخيفًا مكررًا.. أنت كما أراك منذ مولدك شيئًا لا قيمة له، وربما لو تعاملت معه بجدية منذ البداية لما وصلنا لهذه اللحظة شديدة التعقيد، أن أترك ممالكي، وأسعى خلفك بنفسي لأجهز عليك ».

قالها وهو يتأمل وجه الشيطان الابن المشوه، وعيناه المختلفتان اللتان سكنهما كل هلع الكون، قبل أن يكمل:

- « هل كنت تعتقد أيها المشوه أن استخدامك السحر المحرم سيعجزني، وأني لن أقدر على التوصل إلى ذلك النجم الذي ربطت به مصيرك.. لو كنت تعقل وتدري لأدركت أنني قادرًا على تفجير هذا النجم، وسحقك، لا معرفة مكانه وكسر الرابطة بينكما، الوقت فقط ما كنت أحتاجه».

لفح أنفاسه الكريهة وجه ابنه الذي رفع ما تبقى منه فوق أطلال الهرم الأسود وهو يضيف:

- «هل كنت تعتقد أنك كنت تسير على هواك، وتصنع قدرك الخاص، لا وألف لا، أيها المنبوذ الحقير، أنت نكرة لا شيء، ولو هداك تفكيرك لأنك تستطيع أن تهزمني أو تسيطر علي، لمجرد أن لديك بعض الطموح السخيف، فأنت أحمق مما كنت أظن.. لقد تحديت الخالق، وأغويت الملائكة، وأفسدت البشر، هل تعتقد أن حقير مثلك يمثل لي معضلة ؟!

أخبرك للمرة الأخيرة أنها لا وألف لا، لو أن الأمور تدار بالسحر والطلاسم والتعاويذ المحظورة، ربما كنت نجحت في مهمتك، ولكنها تدار بما هو أعلى وأكبر من فهمك القاصر..

ولذلك ستموت، لتدفن بطموحك وحماقتك..

ولتعلم قبل أن تأتي النهاية، أنه لولا أنك لست في الخطة الشاملة لتركتك في غيك وإفسادك، فكل ما كنت تفعله منذ أن ولدت أنك تنفذ مشيئتي، ولكن الخطة الكبرى وضعت منذ زمن بعيد، ولعلك أحطت خبرًا ببعض أجزائها، وعلمت ببعض مما يدور في كواليس الكون وعبر الأبعاد..

ستظل منبوذ من الجميع، ستموت وأنت كما ولدت نكرة مشوه، لا قيمة له، فالشر وحده ليس هو الوسيلة لتكون فردًا في حاشيتي، بل الذكاء، الذي قضى عليه نصفك البشري.

والآن، سيقوم نصفك الشيطاني بالقضاء عليك، فالنجم الذي ربطت به مصيرك، يعاني الآن من اضرابات عاتية، ستحجب تأثيره عن الأرض لسنوات قادمة، بعلم لم يمتلكه أحد منذ بدء التاريخ..

الآن ستموت، وكما يقول البشر:

- « لا أمنية أخيرة .. لمن لا قيمة له ».

ومن يديه خرج عمودان من النيران أصابا الشيطان الابن وأحرقاه، فانصهرت خلاياه البشرية، وأخذ جسده يسيل كماء أسود يلفظ كمية هائلة من البخار، والشيطان الأكبر يقول:

- «اذهب غير مأسوف عليك.. أحمق.. نكرة.. ملعون إلى الأبد».

وباشارة من يد الشيطان الأكبر، تلاشى من المكان كل أثار المعركة الرهيبة، ولم يبقى في المكان إلا ذلك السائل الأسود الحار، الذي كان ينبض من فرط حرارته، والذي أخذ يتسرب بداخل الهرم الأسود، حتى تلاشى تمامًا.

ليسود المكان هدوء عظيم ..

كذلك الهدوء الذي سيتبع فناء كل مخلوقات الأرض ذات يوم.

لقد مات ابن الشيطان.

مات بعد أن حاز من القوى ما لم يمتلكه مخلوق أخر من قوى في الكون.

مات لأنه عادى أخبث ثوابت الكون ..

الشر المطلق ..

ولكن هل هذه النهاية؟!

❁ ❁ ❁

-الخاتمة-

عاد وليد إلى تلك الغرفة المضيئة ذات الأبواب، وعقله يكاد ينصهر كما حدث للشيطان الابن أمام عينيه المندهشتين، غير مصدق ما عايشه منذ لحظات، ونهاية الشيطان الابن المفاجئة، التي لم تكن على مستوى الأحداث العظيمة التي كابدها، ولا القوة التي امتلكها.

لقد توقع وليد أن يكون الشيطان الابن أقوى من هذا، أعظم من هذا، ولكنه كان أمام أبيه كشيء لا قيمة له..

إن قوة الشيطان الأكبر هائلة ومذهلة..

أعظم مما يوحي بها إلى البشر، وكافة المخلوقات.

فهل هو الخلود والمعارف التي حازها عبر تاريخه، أم هو شيء أكبر وأعظم من فهمه وتفسيره؟

لا يعرف حقا..

لقد أرهق عقله بعنف في هذه الرحلات العقلية الرهيبة، ويرغب

بشدة في أن يفارق هذه الذاكرة الجهنمية ليستريح.

ولكنه لا يملك من أمره شيء ..

ألآف الأبواب تتراص أمام عينيه ..

وهذا جعله يفكر أن كل ما مر به هو مواجهة واحدة فقط تمت مع إبليس، و انتهت بموت الشيطان الابن ..

فماذا يوجد خلف هذه الأبواب كلها ؟.

وفي هذه اللحظة تجسد من العدم العقلي، وعي الشيطان الابن الذي يتخذ هيئة وليد القديمة، قبل أن يقول :

- «من قال أن الموت هو نهاية من هو مثلي.. الموت ليس النهاية دائمًا».

قالها ثم اختفى.. ليشتعل عقل وليد بالتساؤلات التي لن يجد لها إجابة، إلا خلف أحد هذه الأبواب اللانهائية ..

نظر وليد لأحد الأبواب التي يعرفها جيدًا ..

الباب الذي كان السبب في عمله لشهرين كاملين دون انقطاع، ليحظى بهذه الرحلة العقلية عبر المحاكي ..

ذلك الباب الذي يحتوي ذكريات ذلك السفاح مازن شهاب ..

وحياته السرية ..

نظر للباب بتركيز ..

فخرجت الدوامة الضوئية السوداء وأختطفته إلى قلب الذكرى التالية.

ليجد نفسه بحضرة الحانوتي.

ولكنها قصة أخرى..

تمت بحمد الله

٣/١٢/٢٠١٧م

❁❁❁

أعمال الكاتب:

- نصف حياة - رواية
- أيام الرماد - رواية
- عزيف - رواية
- الاستدعاء الأخير - رواية
- همسات - رواية
- المسخ - مجموعة قصصية
- سايكو - مجموعة قصصية
- شمس المعارف - رواية
- لقاء مع ميت - رواية
- أوديسا الظلام - رواية
- أحبك أكثر - رواية
- الطوطم - رواية
- سايكو ٢ - مجموعة قصصية.
- بدم بارد - رواية

للتواصل مع الكاتب

E- mail: A_elmenofy@yahoo.com

Facebook:https: / /www.facebook.com /a.elmenofy?ref=tn_tnmn

ن
للنشر
والتوزيع
noon_publishing@yahoo.com
0235860372- 01127772007

ساحر الكتب

مخطوطة ابن الشيطان

هل تؤمن بخطة الشيطان الكبرى لغزو الكون؟ وهل تعلم لماذا يصر بهذه القوة على تحدي الخالق الأعظم، وصناعة ملكوته الخاص ؟ من ابن الشيطان؟ ولماذا عجز أبوه عن قتله ؟ من كتب المخطوطة، ولماذا، وهل هي تهديد حقيقي لإبليس اللعين؟. والسؤال الأخطر: هل يمكن أن يموت الشيطان الأكبر بالفعل؟ كلها أسئلة لها إجابات بداخل هذه الرواية، التي ستأخذك إلى المستقبل القريب لتريك كيف تحول إلى جحيم حقيقي نتيجة أفعالنا الحالية؟ ثم تعود بك إلى الماضي، حيث آكلي الموتى، والمماليك، والعثمانيين القساة، لتدخلك بعدها إلى عوالم السحرة والمشعوذين، حيث القرابين البشرية شيء أقل من المعتاد، قبل أن تلقي بك إلى كوكب الطغاة والجبابرة، حيث للفناء اسم واحد وهو القدماء، ثم ستريك جانبًا خفيًا ومفزعًا من مملكة الشيطان السرية، التي تمتد بين الأرض والسماء، إنها رحلة شديدة الخطورة، والأخطر أنك بطلها، فهل تجرؤ على خوضها؟.

تصميم الغلاف كريم آدم

ISBN 9789777780292
9 789777 780292

ن للنشر والتوزيع